

دار الكتب والخط

مكتبة
الشيخ محمد

الأدب السنياني

في

سنة ١٩٨٧

مراجعة فاطمة نوري

الطبعة الأولى

الطبعة الثانية

١٩٨٧

٥

دكتور
نظمى عبد البرىع محمد

الأدب السِّيَاسِيّ

في النزاع

بين "على" و "معاوية"

دراسة تحليلية نقدية موازنة

القسم الأول

الدراسة والتحليل

بسم الله الرحمن الرحيم

تفصير

باسم الله الملهم للقنواب ، والسداد ، للهن الهادي إلى طريق الرشاد
جوسلاة وسلاما على نبي الهداية والرحمة .

وبعد :

فهذه الفترة من تاريخ الأمة العربية الإسلامية بكل ما وقع فيها من
أحداث ليست بخافية على أحد ، فقد حوتها أمهات الكتب التي درنها
عقبات المؤرخين من أمثال « ابن سعد » و « ابن عبد البر » و « ابن
حجر » و « ابن كثير » و « ابن الأثير » وغيرهم .

ولا يخفى أن أدنى شك في أن هؤلاء المؤرخين لم يعترف أدنى تهاون
أو تساهل في النقل الأمين لوقائع العصر وهم يدرون أحداث تلك
الفترة العصيبة من تاريخ الأمة - فما أظنهم نسبوا لأحد من وجالات
تلك الفترة وعلى الأخص الصعابة (رضوان الله عليهم) شيئاً لم يحدث
منه ، أو قولاً لم يقله أحد منهم - بمعنى أنهم لم يتعاطوا الكذب فيما
دونوا بحق أي منهم .

هكذا والأحداث التاريخية للنزاع بين الخليفة الإمام ' على '
والوالي « معاوية » وقائمها ظاهرة شهيرة تجذب كل من يحاول النظر
في التاريخ الإسلامي ، وقد وسعت تلك الأحداث نشرًا وسائل النشر

الحديثة، فحملتها إلى سائر أطراف المعمورة بمختلف اللغات يقرأها العرب والعجم على اختلاف ملهم ونحلمهم .

ولا يملك أحد أن يستطيع الحجب على الفكر الإنساني فيحرمه حق الاضطلاع أو النظر في أحداث تلك الفترة بمحاولة الحجب أو الإخفاء القسرى ، ولا ينبغي أن نترك ترائنا عملا دون تمحيص له طبقا لفكرنا وقيمنا نزولا على أى اعتبار ، أو تخوفا ومروا تحت أى ظرف كان . ولا ينبغي كذلك أن نجبر على تخطى أحداث تلك الحقبة — خاصة وأن اللادة العلمية مدونة مطروحة مبسطة منشورة في بطون المصادر التاريخية وفي مقال أولي الجليل .

غير أن التقصير في المرض السليم لأحداث ذلك النزاع في جانيه التاريخي والأدبي تلمعتنا بسببه للامة نحن جماعة المؤرخين والأدباء أمام أجيال شباب الأمة ، فلربما عرضهم هذا التقصير منا للارتقاء على ما كتبه للشرقون أو المؤلفون للفرضون — مما يشوه صورة التاريخ الإسلامي . ويشوش في أذهانهم ، وما يؤدي بهم إلى اهتزاز ثقتهم في شخصيات كبار الصحابة وضوان الله عليهم نتيجة للنظر في بعض تصرفاتهم إذا ما أولعت بلمحة من مائة مدخولة منقولة لتسقط الثقة في عظام الأمة الإسلامية .

وتكون نحن السبب المؤدى لتلك النتائج للزلة بتقصيرنا في المرض والبيان الأمين لحقائق النزاع الذى وقع — حيث لا ينقصنا الفكر — وزبناً بأنفسنا عن أن تكون مجردة من المزم . وإذا أمكن القول بأن المؤرخين قد أدوا دورهم حيال تلك الأحداث

تجلية وإيضاحاً فإن استطيع القول بأن الأدب لم يؤد دوره بمدنيا يتعلق بهذه الأحداث - حيث قد خشي القران منها القملتها بشخصيات لما خطر لها في التاريخ الإسلامي ، فقصرت الكتابة الأدبية في حق العرض والبيان لنداء غراض والفنون والخصائص والسمات الأدبية التي تنبعث عن أحداث القوران العاطفي الناجم عن ذلك النزاع - مما عرضها للشفاء وعدم الانضاح في أذهان دارسي الأدب - حيث قد أصبح من المؤلف لديهم الاقتتال من أدب صدر الإسلام وتخطيه إلى أدب العصر الأموي معتصمين في الغالب على مجرد العرض التاريخي السريع لانقال مسئولية الحكم إلى الأمويين ، والإهمال للربيع لأخصب ألوان الأدب المنتج في تلك الآونة .

وإذا كانت المصور الأدبية سلسلة متعاقبة الحلقات فلا ينبغي الإهمال لحنقة منها بقطبها وإغفال الحديث منها .
وإذا كان الأدب صورة لفكر الأمة وسجلا لأحداث حياتها فلا يسوغ لنا الطمس لفكرها حتى وإن كان الفسك في قمة غليانه غضبا ، ولا يسوغ لنا التفتير في حق الجلوة للأحداث التي ألت بالأمة حتى وإن كانت أحداث حرب أهلية اجتليت بها في مسار حياتها المدينة أعاقها عن تحقيق آمال أرحب كان يمكن أن تمتد إليها .

وإذا كان قد صح الحكم لدى الأدباء بأن الشاعر لا يجيد القول إلا إذا استغضب فبناء على هذا نستطيع القول بأن أدب ذلك النزاع يمثل القمة في الصدق الفني من أدب الاستغضاب العنيف الواقع على أوتار الشاعر الملتهبة ، فقد أنتج خطر النزاع ، والنزاع الخطر بين الخليفة للبايع له

والوالى الذى يرفض التسليم بملك البيعة، وقد انماز إلى كل مفاسرون ومؤازرون، والجميع عرب فصحاء بلغاء شعراء خطباء ورسول سفراء - ورنه أخصب عصور الفصاحة والبلاغة التى وفرت بها أقطابها من مدد. بيان القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

ولما كان النزاع سياسيا لتعلقه بنظام الحكم طبقا للشرع فى الدولة الإسلامية فكيف يسوغ لنا الإهمال لتقييم الأدب السياسى التى خلقها العرب بسبب أن ذلك الأدب نتاج نزاع بين كبار الصحابة ١١٩
إن النزاع بين الخليفة الإمام « على » وبين والى الشام « معاوية » يمثل فترة التحول السياسى فى نظام الحكم فى الدولة الإسلامية من الخلافة الراشدة إلى الحكم للتوارث.

ولما كانت هذه فترة تحول خطيرة إذن لابد وأن يكون نتاجها الأدبى للواكب للنزاع والتحول خطيرا أيضا - خاصة أن الأمة العربية ما تزال خلال تلك الفترة تسطر بشعرها سجل تاريخها، وتنبض مشاعرها. ولما كان العرض السليم لتاريخ أحداث ذلك النزاع كفيلا بصون عقول الأمة وتحصينها من أدواء الانحراف والتلاعب بها بما يدسه المفرضون من المستشرقين^(١) فكذلك نحن المشتغلين بالأدب علينا التنبه بواجبنا الأدبى بحثا ودرسا وبيانا لمواطن القوة وتبددا للثغناء حتى يتم التضام والاتحاد والوصل بين حلقات العصور الأدبية، ويبدأ التأريخ الصحيح السياسى لحياة الأمة العربية، فليس من المقبول ولا من المقبل عقلا

(١) راجع ملحق الخلافة والملك - لآبى الاعلى المودودى ص ٢٠٣ وما بعدهما.

أن تكون الأمة العربية قد بدأت شعرها السياسي بسفاحم النقائص المرونة كخصيصة للأدب الأموي مزدهرة كما وجدت دون أن يكون النزاع أى أثر على صفة ما أنبتت تلك الأهاجى وأزنت لما فاستحاتت نيا بعد إلى ماصارت إليه من إقذاع فى السب والشتم ثم فيه التخطى للقيم الإسلامية مؤدّا إلى رذائل الجاهلية .

فأولدفن شمى كاملاً منذ ميلاده ، إذ لا بد له من فترة حضانة سابقة تُنضجه ، ثم يُلقى به وليداً بعد أن تهباله الظروف السياسية والاجتماعية التى تعين على تنشئته وازدهاره .

هذا - وللصحابة (رضوان الله عليهم) أقدارهم التى لا تطاولها عظمة أحد ، وهم قسم لهم فى نفوسنا كل تجلّة وإعظام ، وقد استوجبوا علينا ذلك بما كان لهم من كفاح بطولى فى سبيل الدين حفظاً وصيانة وفداء وإعلاء ونشراً - استحقوا به وضعا دينيا كريما لا يبرم فيه أحد .
ونحن هنا بعدد التناول لأدبهم خلال فترة النزاع أراى قد أثّرت نفسى ألا أخرج فى المرض للموقف المياسى عن حدود ماورد فى أمهات للصادر التاريخية الوثيقة .

وفى مجال التحليل البيانى والنقد للنصوص لن أتعدى دائرة للمعانى التى تحويها وتضمنها الألفاظ دون عمد إلى تأويل أو تزيد يدنع إلىهما أو إلى أى منهما التعامل أو المائلة - مما يخرج بنا عن حدود الإنصاف فى التحليل أو النقد للنص .

والدلالة المعنوية للنص هي الوسيلة للنقل والكثرة لدينا لعجلية
البيان الأدبي .

ولن يكون منى وقوف إلى جانب الدفاع والسائدة أو المعارض والمضادة
لأى من المواقف التي حدثت :

فالموقف السياسي لا يمتنع منه غير التقدم والبيان للدوافع التي
أسهمت ودعت إلى ميلاد النص وإنشائه : قصيدة كان أو خطبة
أو حواراً أو رسالة - لتتضح المناسبة التي قيل فيها ، ويرتبط النص
ويظل موصولاً بدوانه ، وتظل الأحداث تترى مشلولة في تيسار
جريانها .

ولست في مجال التقييم للمصرفات التي صدرت ، أو النقد والتعريض
بمن صدرت عنه - وإنما الذي يمتنع فعلاً هو البهتان الأدبي ، والتقييم
لقنون الأدب الذي أنتجه النزاع .

ولن أتعلل المأذير ، أو أحاول ارتكاب القأويل في محاولة
البيان لمعنى لفظ ناب ورد على لسان أبي من رجال النزاع ، وإنما
سأقتصر على بيان المعنى المراد طبعاً للدلالة التي تميزها اللغة فقط .

هذا - وليس في الدنيا عظيم ليست له فلتات لسان عند الإغضب
الهم إلا من معمد الله - وقليل مأم .

والفاعة لا تتلح في عظمة العظيم ، وانخطأ لا يمكن الدفاع عنه ،
ونحن بشر ، وكل ابن آدم خطأ !!!
فالهم جبا الخطأ ، وألمنا السداد والرشاد .
هذا ويأله التوفيق .

دكتور
نظمي عبد البديع محمد

القاهرة في ٢٥ / ٧ / ١٩٨٢

تقديم

فضلت السرد التاريخي للأحداث وفق تسلسل حدوثها ، ومرضت النصوص في أثنائها متصلة مرتبطة بالأحداث والحوادث التي دفنت إلى إنشائها - من بعد أن مارستُ فعلاً منهج الفصل بين الأغراض والفنون الأدبية ، وجمعتُ كل غرض على الغرض المجانس له .

غير أني وجدتُ أن الفصل للنص الأدبي عن الحدث الذي بعده أمر يميته ، ويحرمه حيويته ، ويقضى على الحساس له لافصاله عن جذوره التي أنعمت ، ودفنت إلى ميلاده .

كما أني تحققتُ من أن اقتلاع النصوص قصد تجميعها في أغراض وفنون يقضى على أسر للكتابة لسلسال السرد التاريخي للأحداث مما يشنت القارئ ، ويفقده حماسه للاضطلاع ، ويدفعه إلى اللل ، وربما يخل بالوضوح الفكري عنده وينشئ الأحداث عليه نتيجة للتوزع الذي تؤدي إليه فكرة البتر للنصوص عن الأجواء والناسبات التي قيلت فيها بحجة التجميع والضم - كوجهة نظر عند من عتاها - لارتباط الفنون الأدبية بأحداث تاريخية ، وممارك سياسية وقتالية دفنت إليها .

لذا - تراني قد عدلتُ من السور طبقاً لمنهج النصوص للفقلة المبدورة من مناسباتها استجابةً مني للأسباب السالفة التي صحت عندي وجاهايتها .

وأخذت نفسى بالالتزام للثابتة للسرد التاريخى للأحداث، وأورد فى أنشائها النصوص فى مواضعها طبقاً لأحداث وقوعها ، حتى لا أعزل القارئ العربى من تاريخه، وأستعين بارتباطه بتاريخه على تزويده ببيان واضح من المعانى والدلالات التى يمكن أن يعمد إليها ويتناولها النص. عند الدراسة والتعليل له وهو فى مهن مكانه ، وفى موضع ميلاده غير مثبت الصلة بدولفه ومناسبته ، والأحداث المتبعة له التى ترتبت عليه. هذا - وقد عمدتُ إلى تقسيم المؤلف إلى قسمين :

(أ) الدراسة والتعليل :

سالكاً فى ذلك منهج العرض للوقوف السياسى متخذاً منه مقدمة ومناسبة تعين على تفهم النص ، ثم البيان الأدبى عنيب القصيدة والتملوق إثر الخطبة أو الرسالة أو الحوار للتعليل والتعليل .

(ب) التقييم للفنون والأغراض الأدبية التى شملتها الفترة الزمنية للدراسة - وهى المحددة ببدء نشوب النزاع وحتى التحكيم . سالكاً منهج النقد للأغراض والفنون الأدبية ، والبيان للجديد منها ، وانغصائص والسمات التى تميز بها كل غرض .

ولقد حاولتُ الجمع للنصوص مما انتشر فى بطون كتب التاريخ غير أنى لحظتُ أن عملية التفتيح والجمع ، ورصد الحدث ونصوصه مرتبة فى خاص السكان الذى لما كان أمراً مُعتنّاً وعسيراً .

وأثناء التفتيح كان أن تمّ الاهتمام إلى مصدر تاريخى وثيق جليل.

المأونات الجمع ، ووفر منى الجهد للدراسة والتقييم — وكان هذا ممثلاً
في كتاب (وقعة صفين) لـ « نصر بن مزاحم المقرئ » حيث لم يكن
على يد من أن اعتمد على متسكاً تاريخي وثيق يقودني بأمان عبر أحداث
الفتراع .

حول المصدر التاريخي

كتاب (وقعة صفين) لـ « نصر بن مزاحم » يعتبر أقدم نص
محمود لدينا في هذه الوقعة .

ومؤلفه أقدم من ألف فيها ، ويمتد في طبقة شيوخ شيوخ « الطبري »
الذي روى أحداث الوقعة أثناء سرده التاريخي لأحداث عام ٣٣ - ٣٧ هـ .
وقد روى « الطبري » أحداثه تلك عن روى عن « أبي مخنف
الأزدى » الذي يمد للؤلؤ « ابن مزاحم » الذي معنا من طبقة ومن
معاصريه .

قال « ابن النديم » عن « نصر بن مزاحم » إنه من طبقة « أبي مخنف »
للتوفى قبل عام ١٧٠ هـ .

وبرى للزرخون في صاحب (وقعة صفين) أنه كان من النفاة كما
ذكر « ابن حبان » أنه كان من أصحاب الحديث .

وقال عنه « ابن أبي الحديد » هو ثقة ثبت صحيح غير منسوب إلى
هوى أو إدغال .

وقد عاصر للؤلؤ « عبد الله بن عمر الراقي » للتوفى ٢٠٧ هـ وهو
تأخر مؤرخ لوقعة صفين .

هذا- وقد ساق المؤلف أحداث الوقعة في خلق وحصافة ، وصور
حروبها بدقة واسقضاء ، وروى الأحداث والأحاديث والأشعار .
والخطب في انسجام واستواء واتساق .
ويُلمس في مؤلفه هذا روح الهدوء التي يفعل بها المؤرخ الثبت الذي
لا تسفزه عصبية أو هوى يخرجانه من انزانه في موقفه بين الشخصيتين .
والكتاب فوق تسجيله لأحداث الوقعة هو مؤلف زاخر بالحوادث .
والأعلام والشعر والرجز والخطب والآثار الأدبية القيمة^(١) .

(١) راجع مقدمة الطبعة الثانية لوقعة صفين .

في الطريق إلى (صيف)

للووقف السياسي : غادر الخليفة « حل » (البصرة) بعد أن خرج
من معركة (الجبل) متقصرا حيث قَدِمَ الكوفة ^(١) فاستقبل من
أهلها استهلا حافلا كريما ثم آوى للمسجد فسطحهم قائلا :

« أما بعد يا أهل (الكوفة) فإن لكم في الإسلام فضلا ما لم
تبدلوا وتغيروا — دعوتكم إلى الحق فأجبتم ، وهذا تم بالمشكر فغيرتم
إلا أن فضلكم فيما بينكم وبين الله في الأحكام والتقسيم ، فأنتم أسوء من
أجابهكم ، ودخل فيما دخلتم فيه .

ألا إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى ، وطول الأمل .
فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق — وأما طول الأمل فيُنسى الآخرة
ألا إن الله قد تَرَحَّلَتْ مُذْبِرَةٌ ، والآخرة تَرَحَّلَتْ مُقْبِلَةٌ ، ولكل
واحدة هَنُوءٌ :

فكونوا من أبناء الآخرة — اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب
ولا عمل .

الحمد لله الذي نصر وليه ، وحذَّلَ هُتَدُوهُ ، وأَعَزَّ الصَّادِقَ الْحَقَّ ،
وأَذَلَّ النَّاكِثَ الْبَاطِلَ .

عليكم بفتحى الله ، وطاعة مَنْ أطاع الله من أهل بيت نبيكم —

الذين هم أولى بطاعتكم فيها أطاعوا الله فيه من اللعينة المذمومة القائلين
 لا إلهنا . يقتضون بفضلتنا ، ويحادلونا أمرنا ، ويهازونا حقنا ويدانسوننا
 عنه ، فقد ذاقوا وبال ما اجتزحوا نسوف يلقون خيئاً .
 ألا إنه قد تم من نصركم رجال فأنا عليهم مانِبٌ زار ،
 فامجروم وأسعوم ما يسكروهن حتى يُمتبوا ^(١) — اعرف بذلك
 حزب الله عند التفرقة »

التعليق :

وفي الخطبة بيان وتوضيح لأمر جدت في زمن الخليفة الإمام

« علي » :

(أ) فالفضل في الإسلام أصبح مفقوداً بالثبات والاستمساك بالأسس
 والأصول التي ألزمها للسلع وأباع عليها ، ومحاولة التنوير والتبديل لما
 ألزم به مُسقطاً لفضله - وانتقاع الخطبة دعوة صريحة لأهل الكوفة أن
 يلتزموا بما يستهم « عليا » .

(ب) استخدام أسلوب الوعظ المطوّل للعث على جماعة الله ، وسحب
 هذه الطاعة على المظلم لله من آل بيت النبي عليه السلام (ومعنى بذلك
 نفسه) مما يترك في الخطبة باسم حُسن الاستخدام للمطابقة الدينية في
 نفوس المخاطبين جذباً لهم تجاه طاعته ، والانضواء تحت سلطانه —
 لظهور حقه في ذلك دنيا وعقيدة .

(ج) حديث من العصر والذلان ، والبرق ، والقل ، وإظهار الحاجة

(١) يقدمون ما يرضى عنهم

في مقام التعبير لفعل عند النقاش لإقناع الموالين ، ودفع الشك عن نفوس المناصرين ، والرد على مَنْ حاول التشكيك في صنع « علي » بضرب المثل بمن خرج على بيعته بقتلهم في موقعة (الجمل) (فقد ذاقوا وبال ما اجتروا) بمنازعتهم حقه ، ومدافعتهم إياه .
والمباراة تحمل معنى التهديد بأن مثل ذلك الصنيع من القتل والقتال أمر قائم في وجه كل من يحاول الخروج على الخليفة الإمام .

عقاب وإعقاب

في جانب الخليفة الإمام

الموقف السياسي : يدخل « سليمان بن مرد الغزالي » على « علي » ابن أبي طالب ، وكان ممن تخلفوا عن وقعة (الجمل) فيمات به الخليفة الإمام قائلا :

علي : ابرئت وترهبت وراوغت ، وقد كنت من أوثق الناس في نفسي وأسرعهم - فيما أظن - إلى نصرتي .

فأقدم بك من أهل بيت نبيك ؟ وما زعلتك في نصرم ؟ (١)

سليمان : (مُعْتَبَا إِلَى الْإِمَامِ) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - لَا تُرَدِّدْ الْأُمُورَ عَلَى أَهْلِهَا وَلَا تُؤَيِّدْ بِمَا مَضَى مِنْهَا ، وَاسْتَبِقْ مَوَدَّتِي تَخْلُصَ لَكَ نَعِيتِي - وَقَدْ بَقِيَ أُمُورٌ نَعْرِفُ فِيهَا وَلِيكَ مِنْ عَدُوِّكَ (٢)

ويدخل « سميد بن قيس » على الإمام فيلقى السلام فيرد عليه بمفودة وقسوة ومرارة عاتبا فيقول :

«وعليك - وإن كنتَ من التَّريِّثين»

ويطلب «سعود» لنفسه البراءة فيقول :

حاشا لله يا أمير المؤمنين - لستُ من أولئك »

فيردُ الإمام قائلا : « فإله ذلك »

ثم يعقب الإمام على أشراف (السكوفة) قائلا :

« ما أبطأكم عني وأنتم أشراف قومكم ؟ والله إن كان من ضيف

النِّية ، وتقعير البصيرة إنكم ليؤر - والله إن كان في شك في فضلي

ومظاهرة على إنكم لمنور^(١) »

ويعقب الأشراف الخليفة الإمام قائلا :

حاشا لله يا أمير المؤمنين - نحن سِلْكٌ وحزبٌ عدوك .

ويعكث الخليفة « على » بالسكوفة بعد العقاب لمن قعد عن نصره

وبعد توضيحه لدوائمه إلى فقال أصحاب (الجل) حيث اتفق شك الشاكين ،

واستبان خطأ المقصِّرين ، واعتذر من اعتذر ، وهدأت النفوس وقرت .

فما كان من الشاعر الأعور الشقي « بشر بن مُنفذ » وكأنه قد استعطل

فترة قرار الخليفة « على » بالسكوفة دون نهج . فالتحرك إلى الشام لقتال

واليها الذي لم يبايع .

فما كان منه إلا أن أنشأ قصيدة تُعتبر من البدايات الشعرية في العصر يعنى

على - معاوية « قال فيها^(٢) :

قل لهذا الإمام قد حَبَّتْ الحرْبُ ، وَتَمَّتْ بِذلِكَ القَمَاءُ

(١) وقعة صفين ص ٧ (٢) وقعة صفين ص ٩٨

وَفَرَقْنَا مِنْ حَرْبٍ مَنْ نَقَضَ الْمَنْعَ وَتَفَثُ السَّمِّ لَمْ يَنْهَشْهُ
 سَدَّ ، وَبِالشَّامِ حِمَّةٌ صَمَاءُ إِنَّهُ وَالَّذِي يَحْجُجُ لَهُ الْفَسَاءُ
 فَأَوْمَرَهَا قَبْلَ أَنْ تَعْمَضَ شَفَاءُ لَضَعِيفُ النَّخَاعِ إِنْ رُمِيَ الْهَوَا
 مَنْ ، وَمَنْ دُونَ يَفْقَهُ الْبَيْدَاءُ جَانِحَاتٍ^(١) تَحْتَ الْعِجَاجِ مَعَالَا^(٢)
 مَ يَحْمِلُ كَأَنَّهَا الْأَسْلَاءُ^(٣) تَهَارَى بِكُلِّ أَصِيدٍ^(٤) كَالْفَصَا
 تُجْبِهَضَاتٍ^(٥) نَحَالَهَا الْأَسْلَاءُ^(٦) ثُمَّ لَا يَنْفَى الْحَدِيدَ وَلَا
 يَهْلُ - يَكْفِيهِ صَعْدَةُ سَمَرَاءُ إِنْ نَذَرَهُ فَمَا «مَعَاوِيَةُ» الدَّهْرُ
 يَغْضِبُ الْعَامِلِينَ مِنْهَا الدَّمَاءُ وَلِنَيْلِ الْبَيْكِ أَقْرَبُ مِنْ ذَا
 رَ يَحْمِلُكَ مَا أَرَاكَ تَشَاءُ فَاحْرَبِ الْحَدَّ وَالْحَدِيدَ إِيْلَهُمْ
 لَكَ وَنَجْمُ الْعِيُونِ وَالْمَوَاءُ^(٧) لَيْسَ وَاللَّهِ غَيْرَ ذَلِكَ دَوَاءُ

البيان الادبي :

التصيدة : تُمتدح من الهدايا الشمرية في التعريض على الرأى
 « معاوية » والافتتاح فيه التذكير بالنصر المحرز على ناقضى البيعة

-
- (١) خيل كثيرة منتشرة
 - (٢) تكسر الجوانح
 - (٣) الصغير من ولد الضأن والمز
 - (٤) ألقي بها جنيثا قبل تمام الحمل
 - (٥) السل - كيس جلدى رقيق يحيط بالجنين يلمس عند الولادة - والمراد به
 - تغير خيل تعظم صنوع الاعداء التى لم تقو بعد .
 - (٦) فارس قوى يحسن القتال بالحرب .
 - (٧) الديك والعيون والمواء هجوم فى السماء

عن أصحاب (الجبل) ثم أتبعه سريعاً لفتَ نظر الغليظة « على » إلى أن
حواطن الخطر لم تنقته بعد حيث ما تزال بالشام خطورة أعظم . صدرها
والحيا (الحية الصماء) والذى يذهب للساعة للقضاء عليه لتأمين النصر
في يوم (الجبل) قبل أن يقبهاً لفت سيمومه والنهش والقتل ، وخصوصاً
أه الآن في حالة ضئف تقضى احتسبال الفرصة والتعجيل بالإجماع
عليه .

من أجل هذا ينصح الشاعر الغليظة ألا يقباً في حرب « معاوية »
حتى يستجيب فيبايع ؛ بل نجد الشاعر يقطع في معرض التصدير بأن
« معاوية » لن يُبذل الغليظة « عليها » من ذلك شيئاً بطريق سهل مسلم
مؤسور . ولم يعد من دواء حالته هذه سوى الجِدُّ في قتاله دون تَرْتُّب .

الرؤيا الشعرية

الرؤيا الشعرية لدى الشاعر كانت واضحة دقيقة في حينها حيث
استنبأت الأحداث بصدق فاق كل حقيقة ، ما تكشفت عنه حُجُب النسيب
غيا بعد :

(١) فقد صورَ الشاعر والى الشام حياً قاتل سمها - وهى الآن
كامنة ، ولسكنها نهيماً للنهش ، ولن تنوائى من المهاجمة والانتفاض ،
وألمها فقط تتحين الفرصة للواتية .

لذا تنجب السامرة إلى القضاء عليها وهى لم تباشر هجومها بعد .

إله يُبَدِّ النظر الشمري الذي أدرك مكن الخطر فحذر منه ، ودعا إلى تأمين النصر بإحراز نصر آخر على خطر حقيقى يهدده .

(ب) أعلم الشاعر الغليظة « عليا » أن « معاوية » لن يُنجمه ما يريد منه بأن يباهمه سلفاً إطلاقاً ، ونجوم السماء أقرب إليه من بلوغ ذلك الهدف (ويبدو أن هذا رأى كان مُدركاً واضحاً لدى أتباع علي) عما دعا الشاعر إلى أن يطلب من الإمام أن يسارع إلى القتال ، ولا يطمئن إلى نصر (الجمل) ولا ينتظر استجابة مرجوة من « معاوية » . فليس له من علاج أصح من القضاء عليه حرباً .

(ج) ولما كان أمر الحرب مخوفاً مفرغاً ، وليس من السهل الإقدام عليها إلا بعد أخذ الحذر والحيلة ، وإجراء حسابات دقيقة لهذا — نرى الشاعر قد تفرغ خلال القصيدة من الممانى ما يهون من حرب أهل الشام ، خاصة أنها إثر حرب لم يفرغ منها إلا حديثاً قترأه يصف معولاً (الشام) بأنه ضعيف اللئاع لا يقوى على حرب الإمام إن دُمى بها اليوم قبل الغد .

وهذه — دعوة إلى اقتناص فرصة الضعف إلى هو نهها الآن قبل أن تغلث ويشعل عوده وتقوى عظامه .

(د) والشاعر المدرك لأمر الحرب — نراه — في تقييمه لقوى الغليظة الإمام وقوى منازعه « معاوية » ومن معه — نراه قد خرج بنتيجة مؤدبها تفوق الإمام في احتيازه لمناصر القوة :

١ — لجيشه في قمة الروح المعنوية لخروجه منتصراً في وقعة (الجمل) -

٢ - وقوة (سلاح الفرسان) أم الأسلحة آنذاك واضحة لدى الإمام ، وهي السكينة بأن تحقق النصر له لو فترتها وقوتها التي تمكنها من فرض سيطرتها على ميدان القتال إذا ما انتشرت فيه .

٣ - وتقوى الفرسان على الأعداء أمر واضح لأنهم سيمتلون أعداء ضامنا كالشمال المجهضة في برانسها ، والتي لن تملك لأنفسها كحولا سوى أن تَداس بسنائك الخيل .

٤ - وقوة الفرسان كامنة في قوة المقاتلين المغفلين ظهور الخيل وهم بكامل أسلحتهم التي يمجيدون استخدامها ، وقد تودوا ألا يودوا إلا وقد ألقت رماحهم ، وتخضعت بدماء أعدائهم . وليس أوضح من ذلك بيان أرجح من كفة الإمام في ميزان قوى الجيوش ١١ بما يبدو مفعرا بالتشجيع على الهجوم ، وركوب هؤل المخاطرة .

(٥) أوضح الشاعر وأبرز منصر التنوين من شأن « معاوية »

وأهل الشام في ميزان قوى الحرب ، واتخذ من ذلك دافعا للإمام المتملك لعزوب القوة مما ينقسم فرصة ربما لن تنجح له إذا ما أطلقت ، وربما انقلب ميزان القوى ولم يعد صالحه فيما بعد ، وقد كانت هذه من الشاعر رؤيا ممتدة بعيدة القوَر في أبعاد الزمن للقيمة ، وقد صدتها الأيام والأحداث التي تَلَتْ .

والشاعر لم يَهمل عنصر الزمن ، فقد دعا الإمام إلى المسارعة بالإغارة قبل أن تغتير الظروف ، وتختلف موازن القوى ، ويتبدل ضف الغصم

إلى قوة فيصبح الموقف في حاجة إلى تقييم من جديد ، وربما لا توافي الإمام فرصة كما هي مواتمة له الآن - وهيئات أن يمود ما انتضى . وهكذا - تعتبر القصيدة مبادرة داعية إلى التعريض على وإلى الشام ومن تيمه - وقد تمت في وقت مبكر ، وكانت محسوبة بدقة طبقاً لموازين الحزب التي وازنت بوضوح بين قوى المتنازعين ، ورجعت كفة على كفة طبقاً للاعتبارات الحربية للظفورة ، ولم تهمل عامل قوة الروح المعنوية ومدى الحساس الزائد الذي كان يعتمق به جيش الإمام في ذلك الحين .

إنها رؤيا الحس الشاعري الصادق صاحب القدرة على الإدراك المبكر ، والتنبؤ بأحداث تصدقها الأيام بنتائجها التي حسبت بميزان دقيق في عالم الأفهام ذوات الرؤى الشاعرية الواضحة المقتدة .

عتاب

للموقف السياسي : بعث الإمام « علي » - « الأشتر » واليا من قبته على (الموصل ونصيبين ودارا وسنجار وآمد) وما غلب عليه من أرض الجزيرة .

وبعث « معاوية » - « الضعاك بن قيس » واليا على ما كان مسيطراً عليه من أرض الجزيرة أيضاً (حران والرقه والرها وقرقيسيا) - فخرج إليه « الأشتر » فاصداً إليه - « حران » وعلم بذلك « الضعاك » فاستعد أهل المناطق للولاية له فأمدوه والتقى واليان بمن

مهما من جند في منطقة (مرج مريتا)^(١) واقتلا قتالا شديدا
اضطر « الضمك » رجل « معاوية » إلى الانسحاب تحت جناح الظلام.
ويبلغ ذلك « معاوية » فهاخذه التعب على المنسحبين^(٢) ، وعدم بمدد
يغيثهم فلم يحدث أثرا — فيصرفون من بعد أن هددهم « الأشتر »
رجل « علي » قائلا: ألا إن الحى عزيز — ألا إن الضمار منيع .
ألا تنزلون أيها الثعالب الرواغة ؟

احتجرتهم احتجار الضب .

ويبدو أن « معاوية » قد أحس الانكسار نتيجة اللقاء الحربي
الأول بينه وبين « علي » وما في مرحلة السبق والسرعة إلى بسط النفوذ
على أطراف الدولة قبل أن يتم التجهيد والتفصل للوفاق وتجهيز
الجوش للقائهما القتلى الرئيسى الفاصل للارتقب .

وقد كانت تلك بادرة تقطع بأن الاحكامك بين المتنازعين وما
في مرحلة محاولة بسط النفوذ للوزع بينهما تقطع بأن اللقاء القتلى بينهما
أمر أكيد ترتيبا على النزاع الناشب بينهما ، والمساءلة لاحتياج طويل وقت
تستغرقه إلا وبما يستلزم لسل^٣ أنباهه بالفصل بين الموالين منهم والمخارجين
عن الولاء .

(١) نفع بين (حران والرقه)

(٢) لم ينص على عتاب « معاوية » وإنما ذكر عتاب « أيمن بن خريم »
فقال ، ويبدو أن العتاب كان بحضرة « معاوية » إثر عودة المنسحبين فكانت
المناسبة له شعرا .

فالوالى — لم يكتف فى نزاعه عند حد محاولة التثبيت لنفسه على ولاية (الشام) قطعاً ، وإنما أخذ يحاول فرض سلطانه على أطراف من الدولة الإسلامية أبعد من حدود ولايته معارضاً بذلك سلطان الخليفة وحقه للشروع .

وبهذا — يكون الوالى « معاوية » قد أخرج نزاعه مع الخليفة الإمام من أن يكون نزاعاً بين (وال وخليفة) حول وجهة نظر إدارية مميّنة وإنما صتده إلى آفاق أخطر حيث أصبح نزاعاً بين الخليفة الهامج له والوالى الطامع إلى الخلافة ذاتها — من بعد أن طعن على الخليفة فى خلافته اعتماداً على ما أظهره من الدعوى بأنه لم يقتص من حقّ الخليفة للقتال (عثمان) .

ولما كانت رواكبر الاقتتال بين جند الوالى « معاوية » وجند الخليفة الإمام قد أظهرت تفوقاً حريباً لجند الخليفة فما كان من « معاوية » الاّدى أحسن بدايات غير مشجعة لبواكبر الاقتتال إلا أن عاتب جنده المنسحقين — وما كان من جنده إلا أن ردوا عتابه بما هو أقسى منه .

فقد ابهرى « أيمن بن خريم الأسدى » يعاتب « معاوية » ذاكرًا بلاء قومه (بنى أسد) فى (مرج مريتا) وساق عتابه شمرًا فقال (١) :
أبلغ أمير المؤمنين رسالة من عاتبين مساعين أنجاد
متينهم أن آثورك مشوبة فرشدت إذ لم توف بالمهاد

أُنسيت إذ في كل عام غارة
غارات «أشتر» في الظهول يريدكم
وضع المسالحي مُرمداً لملاككم
وحوى رساتيق الجزيرة كلها
لما رأى نيران قومي أوقدت
أَمْضَى إلينا خوله ورجاله
ثَرْنَا إليهم عند ذلك بالقنا
في (مرج مرينا) ألم نسمع بنا
لولا مقام عشيرتي وطعناهم
لأنك (أشتر مذحج) لا ينشئ
في كل ناحية كرجل جراد
بمترقة ومضرة ونسباد^(١)
ما بين هاتات إلى زباد
غضبا بكل طيرة وجواد
وأبرأيس قاتر الإبساد
وأغذ لا يجري لأمر رشاد
وبكل أبيض كالمعينة^(٢) صاد
نهنى الإمام به ، وفيه نقادى
وجلادهم بالمرج أى جلاد
بالبش ذاق حق عليك وآد^(٣)

البيان الادبي :

(١) القصيدة مقاب صريح لـ « معاوية » من قبل أنبأه الدين
ناصره في نزاعه مع الخليفة الإمام وخاصة في الجانب القتالي — وإن
كان القتال ما يزال في بواكيره !

(ب) ركز الشاعر عقابه في التذكير لـ « معاوية » إن كان قد نسي
وقوف قومه - (بني أسد) في وجه غارات فرسان «الأشتر» القتالية ،

(١) الأشتر رجل وعلى المولى من قبله على (المفضل) وما جاورها .

(٢) البرق يبدو في وسط السحاب كالسيف المسلول

(٣) مثل الأيدى أى القوة

والتي شابهت أرجال الجراد في شمولها لعديد من المناطق ، وقوة تأثيرها في إحداث الضرر والإفساد - وكل هذا تقدمه وإرصاد لإهلاككم - وعلى الرغم من أن « الأشتر » يستهدفكم بفارائنه غير أنكم لم تقابلوه إلا بفتور ، وكنا نحن مركز المقاومة الوحيد الذي انبرى له ؛ فإ كان منه إلا أن ركز حملاته الانتقامية - ومع ذلك لم نمنع فقد لاقيناه في (مرج مريتا) نبى قتاله وقتال من أرسله ، ولولا خروجنا وقتالنا له لأطهت عليكم فرسانه بكل ما لديهم من قوة وحقق .

(ج) وفي القصيدة روح الإدلال بادية من (الأسديين) على « معاوية » بأنه لولا خروجهم لقتال « الأشتر » وفرسانه لاندفع بكل قواه حتى بلغ « معاوية » وما استطاع أحد أن يتصدى لرحنه ، أو أن يحاول الوقوف في طريقه .

ويمكن رد المعنى في مجز القصيدة على صدرها الذي افتتح بلقب (أمير المؤمنين) زبطاً للمعنى ما بين الصدر والمعجز والحاوى للمعنى الإدلال على « معاوية » بأن الشاعر يريد أن يقول :
لولا بنو أسد لما صح في « معاوية » أن يشدو أميراً للمؤمنين ؛ ابتناء على التوقع اللاشمورى المؤمل في خلافة « معاوية » للمسلمين -
فيا بمنى - وفي هذا الإدلال القاسى على « معاوية » .

(د) وسراحة العربى في التعبير عن رأيه موفورة عند كل من المعتزلين « على » و « معاوية » .

فلا تبايع يناقشون ويحاورون ويقاتلون - خضوعاً لخاصية التى .

تميز بها العربى التى تمثلت فى شجاعته فى التعبير عما يريد دون خشية — حتى ولو كان النقاش الحوارى والعتاب مع خليفة أو والى، وسمة الصدر فى التقبل للنقاش والحوار والعتاب موفورة لدى القائمين بالأمر؛ فلهذه القدرة على الإنصات والسماع والرضى والتقبل إذا ما توفرت الدواعى لذلك .

غير أنه يبدو أن « معاوية » قد استطاع أن يضع حداً لدى النقاش وحرية الرأى فى التعبير بين الموالين له .

فقد حدا بما أن لا يتجاوزا المعايير التى رسمها لها ، فلم يسمح لهما أن يتعديا قدرهما فيفسدا عليه وحدة المجتمع والجند منه فى الشام وقد استطاع بما أوتى من مقدرات شخصية أن يوقف الأمر فى النقاش فى حينه عند حده الذى لا يفسد عليه أمر الموالين له ويستطيع إلزام النقاش طريقاً واحداً لا يتعداه ويقف به عند حد معين مما يضمن له حضرة فى الحيز المحدود الذى يمكن التحكم فيه ، ويملك صواب الحكم عليه ، وإمكانية الإقناع به ، وتطويعه لصالحه .

وبما لا شك فيه أن إمكانية العديد لمسار النقاش فى الرأى ، والقدرة على التوقف به حيث يجب أن يتوقف تحويله لصالح صاحبه ، وعدم تسريبه إلى مسارب عديدة ~~تتميز~~ ^{بأن} كل ذلك يمثل قدرات شخصية خاصة — وبما تكون قد وضعت عند « معاوية » بشكل ظاهر ، وانضم إليها ما تميز به من مقدرة على المداورة والحوارة والمناورة والتحكم فى أسلوب التعامل بالإخفاء والتمغنى والإعلان والكشف لمنهزم الذى يريده فى الوقت المناسب طبقاً لما يراه ملائماً لصالحه .

كل هذه الإمكانيات قد صنعت من « معاوية » شخصية الداهية التي عُرف بها وكان بها رجل الدولة الأقدر على سياستها ، من بعد أن تحولت الأمور في الدولة الإسلامية من خلافة راشدة إلى ملك محض آل إليه .

مع سير الأحداث

الموقف السياسي : يادر الإمام عتيب وقمة « الجبل » بالكتابة إلى الولاة والعمال ميّداً لهم حقيقة الأمر في تلك الوقعة — ليعنى ون نفوسهم أى شك يعلق بها يمكن أن يسىء إلى تصرفات الإمام بدها من البيعة العامة له عتيب « عنان » وحق الفراغ من قتال من ناواه جند البيعة منهم .

ويمثل هذا من الإمام الإعلام والترشيد لهم ليسكونوا على بيعة من الأمر ، ولم يتركهم في حالة عجز كامل تجهلهم بحقيقة ممالك الخليفة إثر مبايعته ، وخاصة أن الأمر يعلق بقتال مربريدبره ، وحرب خاطفة طاحنة بشنها ، تُقتل فيها شخصيات إسلامية مشهورة لها قدرها ووزنها ، وتخرج فيها « عائشة » أم المؤمنين تناصر فريقاً على فريق . فكان لا بد من المسارعة إلى إطلاع الولاة وإعلامهم بحقيقة الأمر كتفسير صريح لتصرفات الخليفة الجديد .

وقد عمد الإمام في وسائله الترشيدية هذه إلى التحليل السياسي للكاشف لحقيقة وقمة (الجبل) بما يصوب موقفه ، ونراه يزواج

ترشيده بالدعوة إلى مبايعته ، لئلا يتبين مواقف الولاة منه ، ولئلا يهمل من معه ، منهم ومن عليه .

وقد اتبع ترشيدها عاما على الولي أن يلتزمه فيما يتعلق بمطالبته بالاستعانة والأمانة في نظام الحكم .

وبسلوك هذا الأسلوب السياسي الرشيد يستطيع الإمام أن يجري تصفية عامة للولاة تكشف حقيقة مواقفهم منه .

وقد كان من كذب إليهم الإمام من الولاة — « جريز بن عبدالله البجلي » ^(١) وقد هت إليه يقول ^(٢)

« أما بعد — فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ؛ وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال .

وإني أخبرك عن نيا من سرتنا إليه من جوع « طلعة » و « الزبير » عند نكحهم بغيرهم ، وما صنعوا بما لي « عثمان بن حنيف » ^(٣) إني هبطت من المدينة بالمهاجرين والأنصار — حتى إذا كنت به — (الدَّزَب) . بعثت إلى أهل « السكونة » به « الحسن بن علي » و « عبدالله بن عباس » .

و « عمار بن ياسر » و « قيس بن سعد بن عباد » فاستنقروهم فأجابوا فصرخ بهم حتى نزلت بظهور (البصرة) فأمضت في الدعاء ، وأقلت المرأة ، وناشدتهم عقد بيسهم — فأبوا إلا قتالي ، فاستعفت بالله .

(١) كان واليا الخليفة عثمان ، على مصر (ممدان)

(٢) صفين ص ١٥ — ١٦

(٣) كان د علي ، قد ولاه البصرة قبل قدومه إليها فطلبه طليها ، طلعة به

و « الزبير »

عليهم - فقتل من قُتل ، وولّوا مدبرين إلى مصرم ، فسألوني ما كنت
دعوتهم اليه قبل اللقاء ، فقلتُ العافية ، ورفعتُ السيف ، واستمعلتُ
عليهم « عبدالله بن عباس » وسرتُ إلى (السكوفة) وقد بعثتُ إليكم
« زحر بن قيس » فاسأل عما بدا لك »

التعليق :

وما يلحظ على رسالة الإمام الترشيدية لـ « عبدالله الهجلى » أنه
قد عرض فيها للمعانى التالية :

١ - التوضيح للصير الذى حلّ بنا كفى يمتدنى وقعة (الجبل) وقد
أورده على سبيل التهديد لكل من تحدّثه نفسه بسلك طريق الدسكث
أو الخائفة والخروج على الخليفة الهايع له .

٢ - إظهار أن الخليفة الإمام محرز للتأييد من قبل كل من له سبق
إلى الإسلام من المسلمين ، « ذوى الفضل من المهاجرين والأنصار -
أصحاب الحلّ والعقد في المجتمع الإسلامى .

٣ - التعديد لأسلوب الخليفة الإمام في التعامل مع الرعية ، وبيان
أنه يرتكز على الإعذار إلى القوم أولاً - لعلمهم يذهبون ويمدّون من
موقف الخائفة والتسكث ، ويدخلون من جديد في عقد يميته .

٤ - اللجوء إلى القتال كحلٍّ أخير لا بد منه لمن أصرَّ على الدسكث
للبيمة .

٥ - بيان أنه مؤيد من الله في قتاله لنا كتين - بناء على أن النقص
للبيمة عريان لا يرضى الله عنه .

٦ - القبول بالعفو ، ورفع الهيف ، ووقف القتال عند الاعتراف بانظماً والعودة إلى الصواب بالدخول في البيعة مجتهداً .

٧ - الرسالة فيها الإعلام لكل من يهجه الأمر - ولادة ورعية بالأسباب التي دعت أغلبية الإمام إلى قتال أصحاب (الجبل) ؛ أنهم : تقضوا بيعته وقتلوا عامله الميّن من قبله ، وغلّبوه على أمره ، وتركيز على بيان صحة حكم الإمام في ذلك - خاصة وأن من بين القتلى جمع من أعيان الصعابة من أمثال طلحة وإثيرة .

هذا - ولم يذهب « زحر بن قيس » إلى « جرير بن عبد الله البجلي » وهو خاوى الوفاض من الشر - وإنما وجدناه إلى جانب رسالة الإجماع يحمل أيضاً قصيدة يث بها إليه أحد أبناء أخت « جرير » من العاطنين موجهة إلى خاله « جرير » وإلى (همدان) وفيها يقول :^(١)

« جرير بن عبد الله » لا ترد المدي	وبائع « عليا » إنى لك أصبح
« عليا » خير من « علي » الحصى	سوى « أحمد » ولولت غادورا نوح
وبائعه إن بايعة بنصيفة	ولايك منها في ضميرك قايح
فإنك إن تطلب به الدين تخطئه	وإن تطلب الدنيا فبيمك راج
وإن قلت « عثمان بن عفان » حقه	على « عظيم » والشكور مناصح
لحق « علي » إذ وليك كعقه	وشكرما أوليت في الفاس صالح
وإن قلت لا ترضى « عليا » إمامنا	فدع منك جراح في الشوايح
أبي الله إلا أنه خير دهره	وأفضل من ضمت عليه الأباطح

البيان الأدبي :

التصيدة تتضمن نصصاً يسوقه ابن مخلص إلى خاله الوالي - وهذه الاعتيار سابق على أن تكون التصيدة نصيحة يسوقها أحد أتباع الخليفة « على » إلى والي وضعه الظروف السياسية التي تمرُّ بها الدولة الإسلامية فرصة التعيير في الاختيار بين أتباعين ربما كان لا يُدرى أيهما أصوب - في وقتٍ كثير فيه القيل والقال ، وعلا فيه الأهط وتهدتْ أتهم وتوزعت ذات اليقين وذات اليسار ، وخيم فيه ظلام الفتنه ، ووسع الأرجاء واستحال على الولاة المنتشرون في سعيق الأصوات التي يلونها التبيين لحقيقة الأمر ، وصواب ما حدث ، ودخل الجميع في مفاقة يكادون لا يتيقنون لأنفسهم منها مخرجاً - ليمد الشقة ، وبطء وسائل الاتصال وهنا تظهر قيمة النصيحة ، وتضخ أهميتها ، وتبدو كشامع هادٍ في ثغلا دياجير ظلام الفتنه المدممة .

وقد وكر الشاعر في نصحه على أمور نجملها فيما يلي :

(أ) البايعة للخلافة الإمام قبول للهدي الذي لا ينهى أن يرفضه أحد من يريدون صواب الأمر ، وسلم المنفذ في الاتباع لمن هو أولى بالاتباع والمعاينة ، فالرد لبيمته رد قهري ، ورفض انخالص المنصوح .
وقد بنى الشاعر رأيه هذا اعتماداً منه على أن الخليفة « عليا » قد انحصرت فيه التخييرية بحيث لا يفضل أحد فيها سوى الذي عليه السلام فـ « على » خير من قبيلى الحمى سوى « محمد » ولا يوجد من يستحق التقدم عليه في هذا الأمر (الثلاثة) من بقية الأحياء ما دام حياً -
فإذا ما انتهى من الدنيا خضوعاً لقاعدة الموت القادى الرامح انتقلت

الأفضلية منه إلى مَنْ سواه من بقية الأعيان الذين يستحقون شرف الاتِّصاف بهلاً ما وهو كَيْفَ فلا ينبغي أن يُتعداه إلى من سواه .
 ١١ - يتَّبعون أن يُبايَع الخليفة « على » بكل إخلاص لا تشوبه شائبة شك .

(ب) للبايعة - للخليفة « على » كفاية بتحقيق الربيع المرجو للمبايعة سواء كان مرغوبه أمراً دنيوياً أو أخروياً .

فالبايعة تضمن للوالى « جرير » البقاء على الولاية بكل ما لها من مظاهر الحكم ، وأبهة السلطان في الدنيا ، والبايعة تُكسب المبايعة رضا الله لما بهته ما شرعه من وجوب الموالاة للخليفة للمبايعة له ، وطرح التكت له مهما كثرت الأفاويل حوله ، أو نُقِضَتْ له التهم ، فالبيعة له نافذة ما لم يثبت على الخليفة انحراف فيقوم شريعة أيضاً .

(ج) يسوق الشاعر قياساً يهدف من ورائه إلى إنبات الحق للخليفة الإمام « على » في المتابعة له ما دام قد ولى أمر الخلافة بنفس القدر الذى كان يعتبر للخليفة « عثمان » فليس هذا بأقل من ذلك ، ومستولية الخلافة هي عين المسئولية ، وقد انتقلت من سابق إلى لاحق بنفس الثقل والعجم إذن - لا نُكَلِّت من وجوب المتابعة له « على » الخليفة الجديد (حق « على » إذْ وليك كعته) عِقلاً ، ومستولية ينبغي أن تُلتزم أداءاً بالمتابعة لكل خليفة تتم له البيعة العامة الواضحة جِهارةً نهاراً من رضى كامل ، وحرية موفورة .

(د) يطلق الشاعر فرضاً يهوداً يحذر منه خاله إذا ما مرض له - ومؤداه أن الرضى لبيعة الخليفة « على » تلقى بالرائضين في بحر من (٣ - أدب سياتى)

الضلال لن يقوى على عبوره أحد ويضل فيه كل من يحاول خوضه .
 وإن قلت لا ترضى «علياء» إمامنا فدع عنك مجراً ضل فيه السوابع
 ويُمدّ الفرض بتجلى في سلامة وحسن الاستخدام لأداة الشرط
 للشككة في موضعها (إن) وصواب النصح يتصمر في فعل الأمر (دع)
 تعالى لقاء الترتيب وكان الشاعر يريد أن يُسلم خاله الوالى من الوقوع
 في ضلالات لا تُضنّ فيها السلامة ، وأن يبرأ فسكره من فروض متينة
 لا تقود إلا إلى متاعات مُضنّة .

وكانى بالشاعر يبرىء نفسه أيضاً من أن يفقاد وراء خاله
 الوالى إذا ما اختار خاله على سبيل الفرض الخوض في بحر الضلال ، وكانى به
 يستأذنه في عدم المتابعة له ، ويستسمحه في أن يُباعد بينه وبين متابعته .
 غلظه خوفاً في الضلال ، فوجوده مع صاحب الحق الخليفة «على» يكفل
 له البراءة والسلامة .

وبناء على هذا فلن يتابعه في هذا الطريق ، وسُحفاً لرابطة خُثولة
 تقود إلى الضلال .

(هـ) ويختم الشاعر قصيدته بما بدأ به (إذا ما استبعدنا بيت النداء
 الأول) وفيه يكون ردّ المصدر على المعجز المفيد حصر التخييرية في شخص
 الخليفة «على» ما دام حياً .

وقد زاد الأمر قوة في الهيئ الأخير حيث نسب الحكم بذلك الى
 الله جلّت قدرته وبذلك يكون حصر التخييرية والأفضلية في «على»
 حكماً إلهياً يتحتم التبول به ، ويُضنّد هذا بحكم رفيع آخر يقضى بأن
 الأنضلية ، لا تبارحه الى من سواه من البشر بمن هم سوى «محمد» .

والاختتام للتصيدة بهذه السكيفية فيه التذكير بأن « عليا » هو
الناصر الوحيد الموصى بالخيرية والأفضلية دون غيره من هم في زمانه من
المناصرين له طبقا لشرع الله في الحكم بين خلقه .

والتذكير الخاتم بهذه الطريقة فيه دفع من الشاغل لشاغل الوالي برفق
إلى ما يُعتقد تماما أنه عين الحق والصواب فيما يتعلق بوجوب المباينة
والتابغة للخليفة « علي » وقد استخدم في ذلك النصح الرقيق وسبيل
تصله إلى ما يهدف إليه من خير لشاغل الوالي ، ولخليفته الإمام - مما
كان له أطيب الأثر في استجابة « جرير » ومباينته الخليفة « عليا »
والتصيدة على الرغم من أنها منصبة على النصح في طابعتها العام
ولسكنها تعتبر من شعر التأييد والناصرية - لـ « علي » طبقا لأفضليات
معيّنة قد أحرزها .

ولم يتم التمرض للمخالفين إلا لحظاً من طرف خفي لم يصل إلى حد
التجريح والتدح في شخص أي منهم .

اعتراف وإحقاق

الموقف السياسي : يبدو من الرسائل الجوابية التي تلقاها اغلظية
« علي » من الولاة في عديد من الأمصار أنهم يرتفعون بهيمته .
فقيا يتعلق بشأن والي (همدان) « جرير بن عبيد الله البجلي » الآنف
الذكر نجد أنه فور فراغه من القراءة لرسالة اغلظية الإمام قام في الناس
خطيبا فقال^(١) :

(١) وقعة صفين ص ١٦

« أيها الناس — هذا كعب أمير المؤمنين « علي بن أبي طالب » وهو المأمون على الدين والدنيا ، وقد كان من أمره وأمر مدوه مانحده الله عليه وقد بآيه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان — ولو جُبل هذا الأمر شوى بين المسلمين كان أحقهم بها . ألا — وإن البقاء في الجملة ، والفناء في الفرقة ، و « علي » حاملكم على الحق ما اسقستم — فإن ملتم ألام مملكم »
فقال الناس : سمعاً وطاعة — رَضِينَا رَضِينَا .

التعليق :

ويمكن أن تلبس من خلال المبادرة الخطابية التي سارع إليها الوالي « جرير » في أهل ولايته فوز وروء رسالة الخطبة « علي » إليه أنها قد ارتكزت على فكرة أساسية مفادها أن « عليا » هو الأحق بالخلافة ، والأولى بالمعاينة اعتماداً على الأمور التالية :

١ — « علي بن أبي طالب » رجل مؤمن على أمور الدين والدنيا .
وهذان الاعتباران هما مغايط التفكير والاحكام من السلم في الدولة الإسلامية لدرجاتها حول الاحكام الذي ينشده فوزاً في حوائه ويمد ممساته .

٢ — أمير المؤمنين « علي » رجل جسر ، وله من الشجاعة ما يقتل له إحرار النصر على كل من يحاول الوقوف ضده — كما أنه لا يتورع من الإيقاع بمن يصاديه كما حدث منه في موقفه الأخير ضد من ماداه^(١) .

(١) يشير الوالي إلى ما كان من انتصاره على أصحاب الجمل .

٣ - «على» هو الحق بالبيعة والأولى بها اعتقادا على الأصول
الدينية للرعية فيما يتعلق بصاحب الحق الأولى بأن تُسند الخلافة إليه
في دولة الإسلام .

ففضلا عن تقدمه لكونه للأُمون على الدين والدنيا - فهو أيضا
الذي قد انمقت له البيعة صحيحة من أصحاب الحل والتقد وأصحاب الرأي
الذين يُعتمد برأيهم في المجمع الإسلامي من ذوى السبق من : المهاجرين
والأنصار وعلى الأخص منهم (البدريون من أهل الشورى) .
وليس يمد رأى هؤلاء أى صواب آخر يمكن أن يؤخذ به ،
أو أن يكون له أى وزن أو قيمة في مجمع الدولة الإسلامى .

٤ - يطرح الوالى « جرير » في خطبته فرضاً جديداً يظهر في فكر
الولاء المسلمين - ومؤداه - أن الخلافة لو حُكِّمَتْ في أمرها الشورى بين
المسلمين ، وحُصِرَ النظر عن البيعة الثابتة الأكيدة القائمة للإمام «على»
لأنجاتٍ عن أحقيته فيها من جديد مرةً أخرى .

وافترض الشورى الذى طرحه « جرير » الوالى قد زاد من وثاقة
حق الخليفة « على » في الخلافة طبقاً لأى وضع يمكن أن تسير عليه
الأُمور ، ويتم الاختيار طبقاً له بين جماعة المسلمين .

هذا - ولم يهل الوالى في خطبته الكشف عن رد القبل عنده وأهل
(همدان) إزاء ما أحرزه الخليفة « على » من نصر ، وما أصاب الخارجين
على بيعته من أصحاب (المجلس) من إيقاع وهزيمة وذلك بحمد الله
في خطبته على ما كان من أمر الخليفة وأمر عدوه .

وبهذا يكون الوالى قد أبدى تأييداً مستوفياً للإمام الخليفة — كما أنه قد أظهر فى الوقت عينه أنه قد خرج عن دائرة المأفأة له ، بل مال إلى جانبه هو ومن يلى عليهم — اعتراك منه يومته .

• — إنقاذ البهمة للخليفة « على » يحوى أهدافاً سياسية سامية علياً تتحقق للأمة الإسلامية ؛ إذ فيه الإبقاء على وجودها حية قوية الإبقاء على الوحدة بين رعاياها من جماعة للسلمين ؛ لأن داء هذه الأمة القى يهدد وجودها كامن دائماً فى تفرقها واختلافها .

ونظراً لأهمية هذين العنصرين فى كيان الأمة الإسلامية إحياء وإحلاكا — نرى الوالى قد صذر تمبيره للتلحق بهذين الأمرين بالأداة : (أَلَا) للشارة بأهمية ما يليها شذاً لنفوس السامعين لتقبهن خطورتهما — حيث يتملقان بحياتهم وهلاكهم لكونهم هم رعايا هذه الأمة التى تفارح بين عنصرى الإحياء والإفناء بالتجمع والفرق .

كما أن الوالى السطليب قد أتبع (أَلَا) أداة (إِنْ) المؤكدة لمضى الخطوة للزورة فى حياة الأمة الإسلامية نتيجة لاختيار السير فى أحد الطريقين الآتيين .

ولما كان الطريق للفضل والذى ينبى أن ينصب عليه الاختيار هو طريق الإحياء والحياة بالتجمع — لذا يمكننا أن نعتبر الوالى السطليب قد كان بارها فى الطريقة التى مرض بها الموقفين ضمناً منه لتسكيل السامعين بمحذيرهم عن طريق الإقناع الفسكرى لم يمدوى الانحياز إلى جانب الجماعة المهتدية للتمثلة فى جماعة الموالاة للخليفة « على » .

فمكون حياتهم في حياة أمهم ، والتنوير لهم من المبادئ من تلك الجماعة فيكون في تفرقهم هلاكهم بهلك أمهم ، ولن يرتضى عقل لنفسه ولا لأمته إلا الحياة والازدهار .

٦ - ويختتم الخطيب الوالى خطبته باعتبار يؤكد به سلامة ما ذهب إليه ومؤداه أن الخليفة « عليا » أولى بالخلافة عليكم لتمييزه بشخصية قوية كفيلة بأن تحبسكم على ما يصلحكم بحزمكم على التزام الحق ، وسلوك جادة الصواب - كما أنه موفور الحزم والعزم والاذان بكفلاق له قلوبكم إذا ما رأى منكم ميلا أو انحرافا . وماذا تريد الرعية المسوسة من إمامها سوى الغيان لغيره وعده باستقامته عليهما ؟ ثم التعديل لانحرافه للتعاسب ومدى حيدته . إذا ما حاد أو انحراف ؟

هذا - ولم يكف الوالى « جرير » بخطبته القوية في معانيها الرائعة في أسلوبها ، والتي أحدثت فيها في نفوس سامعيها اقتناعا بصواب التأييد للخليفة « علي » فلم يلبسوا إلا الاعتراف بالسمع والطاعة له ، والرضى والافتناع به خليفة لهم .

ولم يكف الوالى بهذا - وإنما رأيناه قد اهتزت مشاعره بجلال الموقف من بعد أن جمع القلوب فاجتمعت عليه رضى به « علي » فأنشأ قصيدة ساق فيها مشاعره لتواكب روعة منطقته الخطابى ، وتكون احتفاء

واحتمالاً بظك النتيجة الباهرة التي توصل إليها مع أهل ولايته ما نشأ
يقول (١) :

أنا كقاب « على » فلم	زود الكتاب بأرض المعين
ولم نمن ما فيه لنا آتى	ولما ندم ، ولما نل
وعن ولادة على فخرها	نعم العزيز ، ونحيي الدم
نساقيهم للوت عند القاء	بكأس النالا ، ونشفي الترم
طعام طعمة بالقنفا	وضرب سيف تكلم الدم
مضينا يقينا على ديننا	ودين الدي مجلى الظلم
أمن الإله وبرهانه	ومذل البرية وللمقيم
وسول للهلك ، ومن بسده	خليفة القائم المدم
« عليها » عنيت ومي النبي	مجاد عنه غواة الأمم
له الفضل والسبق والكرامات	ويث النبوة لا يهتضم

البيان الأدبي :

تترجم القصيدة في عرضها الأساسى إلى المناصرة لل خليفة « على »
في خلافته ، وتنفخ بتلك البياضة ، وبالصر مع « على » في معركة
(الجمل) ويتخذ الشاعر من قصيدته ممرضا لأحاسيسه فيذكر أنه :
(أ) قد سارع بالبياضة للإمام فور ورود كتابه إليه وهو على
البعد في أرض المعجم ، ولم يكن منه عصيان بالخائفة وهو الوالى على
خمر (همدان) القصى يقوم بواجبه من الحماية والمذل .
(ب) يعرض الشاعر لصور من بطولته في لقاء الأعداء ، وما كان

له فيها من انتصارات طعن فيها أعداؤه بالقتل وأطاروه وسهم بالسوف.

(ج) ينتقل الشاعر إلى (الدين) والثبات عليه ، وإلى (النبي)
الأمين على وحى الإله ، والرسول المختار هداية وعدلاً للبرية .

(د) وقد أعاد الشاعر من هذه الانتقالة تمهيدا وطأ به لإظهار
مضيقه على التأييد للخليفة القائم بالأمر « عليا » وصلى الله عليه وسلم ،
وصاحب الفضل والسبق والكرامات من بين عامة المسلمين ومن بين
خامة آل بيت النبوة أصحاب الحقوق للرعية .

وفي تصرف الشاعر على هذا الوجه يتعدى للمعاقب والأفضليات
التي حازها الخليفة « علي » يكون قد وضع الدواعى التي من أجلها
قد العزم على المناصرة للإمام الخليفة ومجالة سائر الخلفاء له
(هـ) جمل الشاعر من المضي في الدين ثباتا عليه (مضينا بيقينا على
ديننا) فضلا ينبغي أن يتسحب فيشمل (المضي) في الوالاة للإمام القائم
بالأمر « علي » .

(و) وقد اعتمد الشاعر على القياس على الدين ، وأخذ دليله بثبت
به صحة سلامة الخلافة لـ « علي » :

فكما لا يصح التغيير في الدين كذلك لا يصح التغيير للخليفة « علي »
القائم بأمر الخلافة فعلا .

هذا - ما كان من موقف وإلى (عبدان) « جرير البجلي »
ويبدو أن الاستحسان لموقف أنوالى « جرير » قد استبد بالحضور
لحرك مشاعرهم فلم يتالكوا أنفسهم فتناسلوا إلى التصديق تلك للناسبة ،
وفي صنيع واليهم الذي أحسن التصرف في هذا الموقف .

فقد أشد « ابن الأزور القسري » يمدح الوالي « جريرا » قال :^(١)
 فتمر أبيض والأبناء تنسى لقد سجل بخطيبه « جرير »
 وقال مقالة جدعت رجالا من الحيين خطيبهم كبير
 بدا بك قبل أمسه « على » ونحك إن رددت الحق رير^(٢)
 أنك بأمره « زحر بن قيس » و « زحر » بالي حدثت خبر
 فكنت بما أنك به سميما وكدت إليه من فرح تطير
 فأت بما سجدت به ولي^٣ وأت لما تمد له نصير
 ونم للبر أنت له وزير^٤ ونم للبر أنت له أمير
 فأحرز الثواب — ورب حاجر^٥ كذا بالركب ليس له بعد
 ليحك ما سبقت به رجالا^٦ من العلياء ، والفضل الكبير

البيان الأدبي :

ثناء عمدة عريض ، ومدح رائع لكل ما أتاه الوالي « جرير » في
 تلك المناسبة :

(١) فقد كانت خطبته عين الجلاء لأموه سرث بذكرها الأبناء
 وتماثلت ، وكانت خطبته مضاء الحزم في إيقاف للتقولين ينير علم عند
 حردوم ، فقد قطعت الخطبة ألسنة القبول منهم .

وعما لا شك فيه أن مقدرة الوالي على التوضيح لما أثبتهم من أمور
 في أذهان من على عليهم — في حينه — والسارعة إليه ما أمكن أسرار
 كفيلا بإزالة أي لبس يخالط أفسكارهم — ومن للرعية سوى واليهم .

يزيل عنهم ما خاطبهم من إيهام أو شك ؟

وإذا اتهمت التجلية للأموح حزمًا ، كان ذلك آية النجاس من الوالى فى سياسته وعيته مما يكسبه الثقة فيه كوال ، ويمود عليه هدمًا واستقرارًا وتقدمًا فى ولايته ، وهذا مما كشف عنه الشاعر فى بيته الأولين .

(ب) ما كان فى استطاعة الوالى « جرير » أن يخطئه موقفًا غير ما اتخذ — فهو صاحب فكر فاضح لا يقود إلا إلى الصواب — كما أن خلافة « حل » هى عين الحق الذى لا يرد إلا كل من فكده عنه واختل به « جرير » ليس كذلك ؛ كما أن مبادئ « حل » إله بالعودة إلى البداية تكبريم لـ « جرير » تظهر ماله من خاص منزلة عند الإمام — وما أراها ألا تميزه بقول سليم يقبل الحق ولا يرفضه ، وقد كانت عين الحق فيما وافى به رسول الإمام « زحر بن قيس » حيث هو الأدرى بحقيقة ما حدث .

(ج) الامتداح للوالى « جرير » لساوعه إلى الاستعجالة للبايعة التى كشفت من أنه الجدير بأن يندب إلى مثل هذه المهام ، وهو الذى يمدد لوالاة والنصرة إذا ما تطلب الأمر ذلك .

وتكرار لفظ (أنت) فى صدر شطري البيت يشعر بهذه الجداوة فى الإسماء والنصرة^(١) ، وقد رتب الشاعر على هذا الامتداح لـ « جرير » أنه خير وزير وأمير أحرز كل الخير فى سبقه من سواه من الرجال إلى هذا العمل العظيم .

(١) راجع البيت السادس من القصيدة

والنصيذة قد حوت لحماً خفيفاً إلى ما يمكن أن يحدث مستقبلًا من نزاع نتيجة لما يحدث في المجتمع من نقولات تسرى بها الأنباء .
وقد حدد الشاعر موقف الوالى منها — بأنه يتم الإعداد للماصرة الإمام حيث يقول :

« وأنت لما تمد له نصير »

باعتبار أن « جريرا » الوالى هو الأولى بالماصرة والتأييد لما هو حق .

والنصيذة تأييد للإمام في خلافته — فهو فيها صاحب الحق الذى لا يُنكر ومن أجل ذلك ساغ للشاعر للديج « الوالى » « جرير » الذى سارع إلى السمع والموالاة للحق وصاحبه .

وكان الشاعر رائماً في التقاطه للسعى الفريد الذى أوردته من أن من استبد به الشعور بالقياد حُداءً وقيادة لقافلة فليس من الضرورى أن يكون صاحب بغير فيها وهكذا كان الشاعر — لم يكن على درجة من المسئولية تلزمه سلوك تصرف معين إزاء الأحداث القائمة ، ولكنه مع ذلك قد أسهم فيها بالتعبير عن رأيه كنزاد في المجتمع — وإن لم يكن ذا مسئولية تامة فيه وتولى الصدارة في القيادة والتوجيه للرأى العام في الأمة وأصبح كما قال : « وَرَبَّ حَائِيَّ حِداً بالركب ليس له بغير . »

* * *

ويتوالى الشعراء يسيرون عن مواقفهم إزاء ما أصاب المجتمع الإسلامى من اغتيال للخليفة « عثمان » والمبايعة للخليفة « على » .

فري « النهدى » ينشد قائلا :^(١)

أنا بالنبأ زحر بن قيس
تغيره أبو حسن (على)
رمى أعراس جاجعه يقول
فتر الحى حن بمن وأرضي
ولم يك قبته فيها خطيب
مق يشهد فصن به كثر
وليس يوحشى أسرا إذا ما
له دنيا يمشأ بها ودين
عظيم الخطب من (جف بن سعد)^(٢)
ولم يك زلته فيها يمسك
أخوذ القلوب بلا تعد
ذوى العلماء من سلفي ممد^(٣)
مق قبلى ، ولا أرجوه بئزى
وإن غلب ابن قيس غاب جدى^(٤)
دنا مقى - وإن أفردت وحدى
ولى الحيجا كذى شبلين ورد

البيان الأدبى :

القصيدة مساقاة للديح زحر بن قيس رسول اخطيفة وعلى « ويكتسب
للديح الرسول على حسن تأتية في مقالته التى عرض فيها لطبيعة مهمته
التي آتى من أجلها فقد كان (أخوذا القلوب) دون أن يتعدى القصد .
وقد ترتب على هذا اللديح الضمى للإمام على وذلك لحسن تغييره .
رسوله الذى جلى أمورا عظما خطبها .

ويبدو أن الرسول زحر بن قيس كان بارعا في عرضه للأحداث التى
أدت إلى مقتل زعمان حيث أظهر أن هؤلاء هم تسكن معه مشاركة

(١) وقعة صفين ص ١٨

(٢) المصنفون م ينو سعد المشيرة بن مذجح (حى من اليمن)

(٣) يريد أرضى أسلاف ممد بن دبيعة ومضر بن زاذن هذنان

(٤) الجاد بفتح الجيم : الحظ

فيها بما أدخل السرور والرضى على المدنانين من ربيعة ومضر :

(أ) فقد سُرُّوا لثبوت براءته مما يفتوه عليه للفتون .

(ب) وقد وُضُوْا بقوليه الخلافة من بعد (عُثْمَان) باعتباره الأصح
لحا والأولى بها من سواه من الأحياء الذين يمكن أن تسند إليهم
الخلافة .

ويبدو أن الرسول كان بارعاً في خطابه - حيث ثبت الشاهد أنه
لم ينهض فيهم خطيب يماثله من قبل ، كما لا يرتجى أن ينهض خطيب آخر
يماثله فيما بعد من بين سائر الخضور غيره .

ولا يسهل الشاعر الترحيب الشغوى بالرسول حيث ربط ازدهار
حظه والإحساس بالافتقار بحضور الرسول - وعامل إحساسه هذا
بما أورده في البيت الأخير من أن الرسول صاحب دنيا ودين ، وشجاع
في الحرب - مما دعا الشاعر إلى القول : متى يشهد فنحن به كثير .
ومما لا شك فيه أن سائر ألوان التمجيد التي أغرق بها الرسول مدحا
تنسحب آثارها على مرسله الخليفة الإمام تأييداً له في توليه الخلافة -
واحقاق الحق إلى جانبه .

وهذا هو النرض المتضمن الذي قدور معاني القصائد السالفة حوله

- فمى من شعر التأييد للخليفة الإمام زوعل بنو .

الخطوط العريضة للسياسة الجديدة

الموقف السياسي :

الترشيد لولاية : لم يُضَيَّع الخليفة الإمام وقتاً ، وإنما نواه يسارع
بحرم السياسة العليا للدولة ويُعلم بها وولاته بغية التنفيذ الفعلي بين الرعية
فكتب إلى « الأشعث بن قيس » وإلى (أذربيجان) فقال : ^(١)

« أما بعد - فلو كانت كُنْ فَيَكُ كُنْتُ المَقْدَمُ في هذا الأمر قبل
الناس ، ولعل أَمْرَكَ يحصل بمَعْنَى بعضنا - إن اتَّقَيْتَ اللَّهَ ، ثم إنه كان من
بِهْمَةِ الناس إِيَّايَ ما قد بَلَغَكَ ، وكان « طَلْعَةُ » و « الزَّيْهَرُ » ممن يَأْمَنُ
ثم نَقَضَا بَيْعَتِي في غَيْرِ حَدَثٍ ، وأَخْرَجَا (أُمَ الْوُضْنَيْنِ) وسَادَرَا إِلَى
(الْبَصْرَةِ) فسرْتُ إِلَيْهِمَا فَالْتَقَيْتُمَا ، فدَعَوْتُهُم أَنْ يَرْجِعُوا فَيَا خَرَجُوا
مَعَهُ - فَأَبَوْا ، فَأَبْلَغْتُ فِي الْوَعْدِ ، وَأَحْسَنْتُ فِي الْبَقِيَّةِ .

وإن عَمَّاكَ لَيْسَ لَكَ طَلْعَةُ ، وَلَكِنَّهُ أَمَانَةٌ ، وفي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ
مَالِ اللَّهِ ، وَأَنْتَ مِنْ خِزَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ حَقُّ تَسْلَمِهِ إِلَيَّ ، وَلَمَّا أَكُونُ
شَرُّ وَلَاتِكَ لَكَ إِنْ اسْتَقَمْتُ - وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ »

التعليق :

الرسالة تؤجج الوالي « الأشعث » بين اليأس والرجاء - لما ورد فيها
من حديث الإمام عن (هنات) الوالي ، ثم حُلَّ بعض أمره على بعضه

الأخر عما دعا الوالي إلى أن يفتق على الرسالة بأنها : قد أوحشته .

هذا — إلى تعيين الخليفة الإمام على القسطنطين (أذربيجان)
منه — غير أن الخليفة « عليا » قد شد الوالي أكثر إلى الأمل بإعلامه
بإتمام في نهاية الرسالة بأن « عليا » لن يكون شر من تولى أمره من
الولاية غيره — مما يشعره بالاطمئنان إليه نوعاً ما ١١

والفترة العامة لطريقة صوغ الرسالة تُشعر بأنها كانت مُرسلة
لوالى « الأشعث »^(١) وهى بمجانب ذلك توضح ما يلي :

(أ) « علم الإمام بالمطامير ومواطن الضعف عند الولاية — مما ذكر
به « الأشعث » في قوله : فلولا هذات كن فيك .

(ب) « يُفسح الإمام المجال أمام الوالى ، ولا يفتق دونه السبل لراجعة
نفسه فيما يتعلق بتلك (الهذات) فأبان أنها مُرضية للصفح إن تمت من
الوالى العتوى لله واعتدلت مهورته .

وما أظن هذا التمهيد إلا دفعا من الخليفة الإمام للوالى ليترك بالمحق
أصاحب الحق لإرضاء لله — والحق يقتل في المباشرة للخليفة « على »

(ج) يؤكد الإمام أنه قد بُيع بيعة عامة مجمعة — اجتمع عليه
فيها الناس ، وترامى خبرها إلى القاصى والدانى ، ومن ذلك ما بلغ
الوالى فى (أذربيجان)

(د) يقرر الإمام أن « طلعة » و « الزبر » قد بايما ثم تقضايتهما

(١) جعلته يفتكر فى الحاق بماوية لولا تحذير قومه له بأن الموت خير له
من أن يكون ذليلاً لاهل الشام مما يكشف عنه شمرهم فيما بعد .

دون أن تكون قد صدرت من الخليفة مخالفة لمقد القيمة توجب مخالفتها له .

(هـ) ثبت الإمام تهادي « طلحة » و « الزبير » في الكيد له منذ النقص لبعثته بمدحها إلى الضرب عنده ، وللضادة لحقه ، وجميع المجموع لهذا النقص وزادة في الإحياء دفعا (أم المؤمنين) إلى الخروج على رأس تلك المجموع المنتقضة ، وتحشد الجميع في مسيرة إلى (البصرة) في جبهة معارضة للإمام .

(و) سارع الإمام - ولم يحسن من الخروج إليهم والبقاء بهم - ثقة منه بأنه صاحب الحق الواضح في الخلافة ، ولا بد له من الانلقاء بالمخالفة له من ناقض يبعثه ليعلم اختلاف منهم سلفا أو خيرا .
(ز) سلك الإمام مع جبهة المعارضة الحسنة منها إسلاميا بإعذاره إلى المخالفين له بدعوتهم أولا إلى النود لطاعته ، ثم رقا في ذلك فبالخ في دعوتهم إلى النود إلى ما كانوا عليه من طاعة وموالة أئمة وعرفاء ألام الدعوة وصدر الخليفة .

ويبدو أن الإمام قد أسهب في دعوتهم - آخذا غنة بأنه يجب أن يحسن إليهم بالإبقاء عليهم مادام هناك أمل يرجى - يتبدل له فيهم - عليه يقتسمهم بمودم إلى الطاعة .

(ح) يسوس الإمام واليه بالتلويح له بهوارق الأمل من الرفق واللين القذان يتوقع أن يحظى بهما الوالي من خليفته إذا ما سلك طريق الاستقامة في تدمير كل أمر أنهط به كوال .
(٤ - أميباني)

والاستقامة - للمروضة في قالب الشرط - تمثل المنفع للوالى إلى الاعتراف بخلافة الإمام الباطن له - فهي استقامة منه في عمله - باعتبار أن النفع للبيعة نفع وإخلال بصحة تلك الاستقامة - كما أنها دافع إلى وجوب الالتزام بالأمانة حفظاً وصوناً لما تُؤدّه الولاية من دخل يرصد لحساب الرعية في الولاية خاصة والرعية عامة في سائر أرض الخلافة كحياسة اقتصادية يجرى السّجّ الإسلامى عليها، وأسلوب الإمام المعروض في صورة الترجي والشرط لإيراد ذكر لمراعاة فيما يقصده أساساً من الإنفاذ لبيته، وتمسك منه إلى أهدى مدى بالتقوى والاستقامة يُطلبان من الوالى دفناً دائماً إلى إحداث الحق، والالتزام به في كل ما يتوّه من أمر الولاية .

إنه أسلوب السياسة والحياسة العربية في الترشيد للولاية .

رأى في الولاية للوالى

والرسالة فيها التوصيف لمهمة الوالى فيها يباشره من أعمال في ولايته بتحديد وضعه فيها (بأنه خازن) وفي هذا التقييم القانونى لمهوم الولاية بأنها (أمانة) استودعت عند الوالى لحساب رعيته .

١ - فالولاية ليست مقاماً شفعياً أعطيه الوالى ليمتع به نفسه كمنما شاء اعتبلاً لفرصة سنحت له بالتولى لشئون قطاع من الرعية ، فهي ليست لمة سائفة يسهل إزديادها ، وإنما هي خدمة مرصودة لحسابهم يتم فيها التدبير لشئونهم طبقاً لما تعلمه التقوى عليه .

٢ - والشأن في الولاية أنها أمانة ينبغي أن تحفظ وتسان، وتُرمى بها يصلحها انتظارا ليوم أدائها إلى صاحب الشأن في حق اجتماعه عليها ومراقبة الرعية .

٣ - والشأن في الولاية أنه خازن يقول الصون لما جُمع منها بحق من مال الله ، ومهمة الولاية تنحصر في الحفظ لتلك الأموال للملكة ملكية عامة للجميع - حتى تؤدى إلتزاماتها بصلح أهل تلك الولاية ، أو تؤدى تسلياً إلى رأس الدولة للتوكل للأمر ليتفقوا في حاجة رعية الخلافة على المستوى الأوسع والأشمل لفهم الرعاية التي أنيطت بالخلافة كسبوتية بكون بشأنها على التقدير في حق من وكلت إليه رعايتهم .
وترتيباً على الأحداث السابقة يهبط « الأشعث بن قيس » خطيباً في أهل ولايته ليرتقيه رسالة الخليفة الإمام فيقول (٥) :

« أيها الناس إن أمير المؤمنين علياً ولأبي (أبو جعفر) مهلك ومهي في يدي ، وقد بايع الناس وملكاً وطاعتنا له كطاعة من كان قبله ، وقد كان من أمره وأمر « طلحة » و « الزبير » ما قد بلغكم ، وعلى المؤمنين على ما غاب عنا وعنكم من ذلك الأمر .

التعليق :

وهذا يكون (الأشعث) الولاية قد اعترف بخلافة (علي) حيث أثبت أن طاعته له ثابتة ثابتاً للخليفة « عثمان » كما أنه قد قضى على الأحداث المترتبة للناس فيما يتعلق بمقتل الخليفة « عثمان » ووقعة الجبل

وبأن قول الخليفة « حل » في ذلك هو عين الصدق - لأنه المؤتمن في هذا الأمر الذي لم تكن من شهوده حتى تقطع فيه برأى - وبهذا - يكون قد طرح جانباً مُفتريات القَتُول على الإمام ، وأثبت له صواب السلوك إزاء الأحداث طبقاً لأمانته العامة في كل تصرف يزاو له كخليفة .

ويبدو أن « الأشعث » قد خشى على نفسه أن يأخذ الخليفة الإمام بمال (أذربيجان)^(١) فإيكاد يغلو بغاصته حتى يلوح لهم بأنه سيلحق « معاوية » فإذا بهم يردون عليه فكرة قائلين :

« أتدع حصرك وجماعة قومك ، وتكون ذنباً لأهل الشام ١١٩ »

وينهض الشر ليفعل فعله في محاولة تنقذ الوالي « الأشعث » من التنفيذ لفكرة التي عرضت له بالاجوء إلى معاوية موييان أنها فكرة - ينهى أن تطرح من ذهنه جانباً لأنها لا تلحق بمقام سليل (كعدة) التوقيع منذ صغره ، ومن الظير له أن يُنفذ البهمة للخليفة « حل » ويدفع إليه بأموال الولاية كأمثل حل وأصوبه - فيقول^(٢) :

إلى أميذك بالقي هو مالك^٣ بمعاذة الآباهر والأجداد
عما يظن بك الرجال ، وإنما بامورك خطه ممشر أوفاد
إن (أذربيجان) التي مزقتها ليست لجذك فاشتها^(٤) ببلاد
كانت بلاد خليفة ولا كها وفضل ربيك رائع أوفاد

(١) روايه الإمامة والسياسة

(٢) وقمة (صفين) ص ٢١ - ٢٢ ، الشاعر : الأسكوفي ،

(٣) فإليك ألا تحبها لأنها ليست ملكاً لكم تستمسك به

خَدَعَ الْبِلَادَ فَلَيْسَ فِيهَا مَطْعٌ ضَرَبْتَ عَلَيْكَ الْأَرْضَ بِالْأَسْدَادِ^(١)
 غَادَعُ بِمَالِكَ دُونَ نَفْسِكَ لِنَانَا قَادُوكَ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
 أَنْتَ الَّذِي تُقَيِّمُ الْخَنَاصِرُ دُونَهُ وَهَكَشَ (كَنْدَةَ) يَسْتَهْلِكُ الْوَادِي
 وَمُعَصَّبٌ بِالتَّاجِ مَفْرُقٌ وَأَسْرُ مُلْكُكَ لَهْزَكَ رَاسِخُ الْأَوْتَادِ
 وَأَطْعٌ « زِيَادًا » إِنَّهُ لَكَ بَاصِعٌ لَأَشْكُ فِي قَوْلِ النَّصِيحِ « زِيَادًا »
 وَانْظُرْ « عَلِيَا » إِنَّهُ لَكَ جُنَّةٌ تَرَشُّدٌ ، وَيَهْدِيكَ لِلْسَّادَةِ هَادِ

* * *

البيان الأدبي .

القصيدة تنحو إلى استثارة الشهامة في نفس « الأشعث » وإحماها
 من طريق تذكيره بأنه صاحب السيادة والصدارة والملك والتاج في
 (كندة) ومن له هذا التاريخ الخافل من الأجداد لا يلقى به إلا أن
 يتابع الخليفة « عليا » .

وفي سبيل محاورة بلوغ الشاعر هذا الغرض نراه يركز في قصيدته
 على نقاط أربع — رتبها وأحسن الانتقال فيما بينها وهي كما يلي :

١ — (أذريبعان) ليست أرضاً موروثة لك عن أجدادك فتعصمك

بحكمك لها ، وإنما هي ولاية يجوز أن تُزَلَّ عنها .

٢ — ادفع بأموال الولاية إلى الخليفة الإمام ، واستغل من بها

نفسك من أن تبقيها إلى الآخرين لإبقاء على الأموال .

(١) جمع سد أي حبل يملك وبينها بمواقع ليس من الميسور تخطيطها

٣ - استشارة النضوة في الوالى دفناه إلى الشمامه أخذا بالحل
السالف حيث لا يلقى بشريف (كثرة) صاحب الملك والناعج إلا أن
يسلك إلا هذا الطريق الشريف ، وبباعد بينه وبين أكلة بالتبعية
لأهل الشام^(١) .

٤ - الدعوة إلى الأخذ بنصح الشاعر فيما يشهر به من للقامة-
للخليفة « على » .

ولما كانت بطانة الوالى هى سر بلاته إن فسدت - ١٣ - نرى
الشاعر يميز الوالى بمال الملك وما كان لأهائه وأجداده من أجداد وملك
أن يعنى نفسه من مخططات برسمها له الأوغاد من مستشارى الشر والنساذ
الذين يبدو أنهم كانوا يزهدون له الاحتفاظ بالأموال والعاق بماوية
عما يخل بكرامته كسلول بيت ملك تالدراسخ .

وعلمية النفس والنفس لأفكار مستشارى السوء اتخذ منها الشاعر
مدخلا ينفذ منه إلى الواقع الفرضى الذى ينشده - حيث نراه قد اتخذ
من ذلك توطئة ليقيم الوالى بحقيقة الأمر - وهى أن (أذربيجان)-
ليست من مملوكات أجداده ، ويرتب على ذلك أمره الناصح (ندم
البلاد) حيث لا موجب لأى مطمح له فيها ، وأتبعه أمره التناسى التالى
يدفع الأموال دون النفس ، ثم يخلص الشاعر إلى الوالى فيواجهه

(١) العبارة « وتكون ذبا لأهل الشام » تشير أن الإقليمية قد تدخلت
في النزاع ولم تقف عند حد الأشخاص وسياساتهم فقط .

بتذكيره بأجاده للورثة التي تدفعه إلى سلوك طريق الشرف الذي يهتم
عليه أن يستجيب إلى الرشد بالعناية للتعلمة الإمام « على »
ولا يبرىء الشاعر الوالى من الاوم بخصوص الولاية حيث أثبت
عليه أنه للمزق لها ، وربما كان تمزيقها يعود إلى الأموال التي جمعت
بطريقة أدت إلى ذلك التمزيق للشاعر إليه .

ظاهرة وتعليل

ويُلاحظ في القصيدة أن الشاعر وهو يصدد استشارة مشاعر الأشعث
بأنه قد أحاذه من أن يكون مجرد والٍ بولاية حتى يُحميه ويذم بالآل والى
إلى التعليل « على » ويأتى من المعاق بـ « معاوية » لذا نلاحظ أنه قد
ذكره بما كان له في التقديم من (مُلك) أصيل منعد راسخ ثابت ، ومن
(تاج) انمقد فوق رأسه منذ صفرة ، وحتى مشيبه مما أصل فيه وقومه
الملك منذ أمد بعيد .

وعندما يناشده مُعيذاً إياه من الاستماع إلى ما يدبره الأوغاد الذين
لم يلق منهم غير الشر — نراه يُعده بأبانه وأجداده (ولأن كان قد
قدم على ذلك إحاذته بما لُك الملك)

وهذه ظاهرة جديدة تحدث في المجتمع الإسلامى ثم فيها البحث للأجناد
الشرفية التي كانت لبعض قبل الإسلام ، والتذكير بها لإظهار التفوق
والأصالة وللأستقراطية الأمور التي قضى عليها الإسلام باشتراعه
(السواسية) كأشنان للشط محمداً لى تمييز لأحد على أحد في ظلال الدين

الجدد بما كان سابقاً شاملاً وسائداً في الجاهلية .
وظاهرة أخرى تمت فيها الإعادة بما كان للآباء والأجداد من عفة
وترفع عن الإساءة لتدبير الأوغاد .

وغاية ما يمكن قوله في هاتين الظاهرتين أنه قد سم فيهما التخطئ
والتجاوز لما كان مطبقاً في صدر الإسلام من عدم التفاخر أو التحدث
بما سلف من أجداد أو أجداد كانوا في الجاهلية وفيهما العود إلى الماضي
الذي يمثل ردةً نفسية بدأت تطل بقرونها على حياء ، ثم استعصمت
فيها بعد حيث عظمت سخائمها في تقاض العصر الأموي حيث مازج
التفخر المجاء .

وغاية ما يمكن التعليل به أنه ربما تكون الانشطارات
والانقسامات التي حدثت على المجتمع الإسلامي نتيجة للنزاع السياسي على
الخلافه والحكم وتسم السلطة في الدولة الإسلامية هي الأمور التي
فجعت المجال للمعصيات القبلية لتظهر ، ولأمجاد الماضي وعظمة الآباء
والأجداد اكتشف ويتم التفاخر بها والتحدث عنها والإعادة منها .

وما كان البعث انبليث للمعصيات والتضر بماضى الأمجاد أن يظهر
لولا النزعات السياسية التي استعصمت .

وهي إذا ما كانت ياب شر قد انفتح فقد كان فيها النهوض لنف
القول في الأدب — حتى وإن كان فيه الأحاسي القديمة ، واستتارة
المعصيات القبلية المردولة .

ولا يستغنى الشاعر « السكوني » بقصيدته الآفة ، وإنما ترى خوفه

الذى تسلط عليه كرامة أن يلحق « الأشعث » بـ « معاوية » فيضيع
عظمة الأمجاد التي عرف بها (آل كندة) و « الأشعث » سليلهم للنمذ
عليه تاج الملك ، والناس في ظلاله .

فن منطلق التذوق هذا كشمور وإحساس داخل سيطر عليه نرى
« السكوني » يلاحق « الأشعث » بشمره الذي يدور حول هذا اللحن
خيس كتب إليه قصيدة أخرى قصد التأكيد على الفرض الذي يهدف
إليه فيقول :^(١)

أبلغ « الأشعث » المصعب بالثا ج غلاماً حتى علاه القهر^(٢)
يا ابن آل الزرار من قبل الأ ثم ، و « قيس » أبوه فبث مطير
قد يصيب الضميف ما أمرا لا ، ويحطلي المدرّب الثعير
قد أتى بهلك الرسول « جرير » فتلقاه بالسرور « جرير »
وله الفضل في الجهاد ، وفي المعجزة والهدى - كل ذلك كثير
إن يكن حظك الذي أنت معه فخير من الخطوط صير
يا ابن ذي القاج ، والمبجل من (كندة) ترضى بأن يقال أمير
(أذربيجان) حسرة فذوئها واثنين الذي إليه تصير
واقبل اليوم ما يقول « علي » ليس ذبا يقوله بخير
واقبل البيعة التي ليس لنا س سواها من أمرهم قطير
عزرك اليوم قد تركت « علياً » حل له في الذي كرهت نظراً ؟!

البيان الأدبي :

ما زال الشاعر « السكوني » يركز على التذكير « للأشعث » بأنه
 سليل بيت الملك ليبحث في نفسه عن الأصالة في بيت الملك من (آل كعدة)
 ودافعه في ذلك أن يطلق به إلى الشريف من القصر فات ، فسليل بيت
 الملك لن يقبل بالإمارة ، ولن يرضى بولاية وهو سليل ملك تليد ، وتاج
 الملك كان يحمل جبينه منذ صغره وحتى مشيبه ، والمعرق في الأصالة
 لا يلق به أن يعلق قلبه بولاية مهتزة مُتَفَضِّلَة (كأذربيجان)

ولما كان الشاعر قد اعتبر أنه قد بلغ الغاية في الإسهاء والسود
 به « الأشعث » والاعتقير بولاية (أذربيجان) لذا — ساغ له أن يتقلد
 إلى الهدف الأسمى من قصيدته ، وغواه الدعوة إلى الرضى بما يُشهر به
 الخليفة « علي » حيث لا مُنصرف للناس منها — كما أن « عليا »
 لا يوجد من يشرکه في الصلاحية لتولّي الخلافة .

وورود قصيدتين ملاحقتين لشاعر واحد ، وفي غرض واحد يشمر
 بأهمية الشمر في نقوس القوم في تلك الفترة ، ويمدّي استنثارته لحاسهم
 تجاه غرض معين ، فقد استخدم الشمر أداة لتأثير عن طريق التحسيس
 المستثير لمصرف (الأشعث) من التجزؤ إلى « معاوية » تكريماً لنفسه
 وتاريخ أمجاد قومه ، ويأتي نصيح الشاعر له بأن يتابع (عليا) المكتمل
 الصلاحيات التي تؤهل للخلافة ، حيث يندم من يناظره في وُهماته
 تلك ومن الشرف للأشعث سليل الملك أن يكون والياً من قبل
 (علي) هذا .

ويبدو أن شعر (السكوني) قد أحدث أثره في نفس الوالي بلاشك ، حيث وجدنا له شعراً يعلن فيه وجهة نظره في الخليفة ، على بشعر يحمله إليه اسبقه ، وفضله في قصيدتين معواليتهين أيضاً - قال في أولهما (١)

أَتَانَا الرُّسُولُ رُسُولُ اللَّهِ ﷺ
رَسُولُ الرَّسُولِ - وَمِثْلُ النَّبِيِّ ﷺ
بِمَا نَصَحَ اللَّهُ ، وَالْمُصْطَفَى
يُجَاهِدُ فِي اللَّهِ لَا يَنْتِي
وَزِيرُ النَّبِيِّ ، وَذُو صَهْرِهِ
وَكَمْ بَطْلٍ مَاجِدٍ قَدْ أَذَقَ
وَكَمْ قَارِصٍ كَانَ سَالِ (٢) النَّزَالِ
فَذَلِكَ (على) إِمَامُ الْمُؤْمِنِينَ
وَكَانَ إِذَا دُمَا لِنَزَالِ
أَجَابَ السُّؤَالَ بِنُصْحٍ وَنَصِيرِ
فَالْقَلْبُ مِنْ شَأْنِهِ
وَمَا وَرَدَ عَلَى لِسَانِهِ أَيْضًا قَوْلُهُ (٣)

أَتَانَا الرُّسُولُ - رَسُولُ الرَّسُولِ ﷺ
رَسُولُ الرَّسُولِ - وَمِثْلُ النَّبِيِّ ﷺ
وَزِيرُ النَّبِيِّ ، وَذُو صَهْرِهِ
« على » لِلْهَيْبِ مِنْ هَاشِمٍ
وَخَيْرُ الْبَرِيَّةِ مِنْ قَائِمٍ
وَخَيْرُ الْبَرِيَّةِ فِي الْعَالَمِ

(١) وقعة (صفين) ص ٢٣ - ٢٤

(٢) غطفه من سأل - بمعنى طلب القتال فأورده نار جهنم إثر قتله.

(٣) الذين أصابهم الهيب (٤) وقعة (صفين) ص ٢٤

١. الفضل والسبق بالعالمات لهدى النبي به يأتمى (١)
 محمدٌ ألقى رسول الإله وغيث البرية والنظام
 أجبتنا «علياً» بفضل له وطاعة نصح له دائم
 قبيحٌ حلسم له صنوفاً كليث حرين بها سام
 حلیمٌ حفيفٌ وذو شجدة يميل عن الخلد وللأم

وعلى الرغم من أن التصديتين لا تملآن قوة تمهوية تلت النظر
 لهما أكثر متميز - غير أن أهميتهما تنحصر في أن فيهما الإبانة عن
 وجهة نظر والى (أذربيجان) في الخلافة «على»

وما لا شك فيه أن رأى الحاكم الإقليمى في رأس الدولة يختلف من
 رأى العامة من الناس فيه - فضلاً عن رأى الجهل والسوقة منهم .
 فهو يمثل رأى الحكومة والرسمى لوالى باعتباره حاكماً من لدن
 الخلافة ، وبلغة المصر نقول إنه رأى أحد المسئولين التنفيذيين في
 الخلافة المسئول للأمر حديثاً وهو ما زال يصدد التلقى لمواقفات الولاة -
 بما يضى على رأى أهمية خاصة في تلك الآونة !!

وينضم إلى تلك الأهمية - ما أثر عن «الأشعث» من أنه سليل
 الملك ، وصاحب التاج من آل (كندة) .
 وأهمية الرأى ووجهة النظر الصادرة من «الأشعث» تنحصر
 فيما يلى :

(أ) لا تقاثلهما من أهمية على المستوى الرسمى - باعتباره حاكماً
 لأحد أقاليم الدولة الإسلامية - في وقت يتعلق فيه الخلافة الجديد
 (١) أى يؤتم به بقلب الميم الثانية ياء

المبايعات من الولاية في سائر الأصقاع ، ولم يستعقب له الأمر تماماً بهذا :
 (ب) ولما رأى « الأشعث » من وزن من بين الولاة باعتباره .
 سليل ملوك (كندة) فهو بين العرب ما هو . وتلك الاعيادات تجعل
 من رأى الوالى « الأشعث » فى الخليفة « على » حكماً غير قابل للظن فى
 خلافته ، وتضع وجهة نظره فى موقف يحبطها خالصة من أى تراف أو
 أو مدافعة أو تدليس - مما يؤدى إلى التقدم لموقف الخليفة « على » .

(على) فى نظر (الأشعث)

وطبقاً لما صدر عن « الأشعث » فى خطبته والشعر للنسب إليه من
 آراء فإننا نستطيع أن نستشف من خلالها رأى الوالى « الأشعث » فى
 خلفيته « على » ويساطة ويسر يمكننا أن نجمله فيما يلى :

(أ) « على » ورعى النبي ، وصاحب الفضل والسبق إلى الهدى من
 بين سائر المؤمنين - إذن - فهو إمام الهدى والمهتدين .

(ب) « على » المجاهد فى الله بعزم لا يلين ، والسيف المصلت على
 رقاب الظالمين ، والفارس ذو النجدة الحامى للحماة .

(ج) « على » صهر النبي ، ورَجُلُهُ فى المهمات ، وهو التقية الحليم
 العفيف الذى لا يفتد ، ولا يؤثم نفسه .

وبما يلحظ : أن الوالى « الأشعث » قد أضيق على الإمام « على » .
 كل الصفات التى يحرص الربى المسلم المتدين على الاتصاف بها .
 فالعلم والعفة والشجاعة والمسارة إلى إنجاز المهام المستعصية -

جميعها أخلاق يحرص على الانعاف بها كل عرب نابه نشأ وترقى في بيئة
الصحراء النزيهة ، وهي إذا كانت تمدُّ من الحامد التي يقدر العرب
بالتعلُّ بها فقد جعلها الإسلام خلقاً دينياً يشرف كل من يلتزمها انصافاً ،
ويطبقها أسلوب حياة ينهجه ويتعامل به مع الآخرين ، ويلقى عليه الجزاء
الطيب في آخرته .

هذا - وقد صكّر الشعر في كثرة قصائديه بالصفات ذوات الأثر الثابت
في « على » من آله ، ابن عم النبي ، ومن آل بيته ، والمحرِّز لشرف
بمصاحرتهم وتذيبه المثل لشخصه في أخلاقهم بهائمه .

وهكذا - كان الكلمة التي صيغت بها رسالة الإمام أثرها القوي في
الإقناع لقوال « الأشعث » في أن يسلك طريق الصواب الذي حدد
مضمونه الإمام الخليفة . فقد كانت الرسالة محكمة وقيمة قوية في مبادئها ،
وكانت واضحة انبجحت مباشرة إلى الغرض الذي صيغت من أجله ،
وأثمرت خير ثمار خلقت عليها ، وكانت فيها السكافية لإحلال الفهم
وقبول التصحيح والانصياع له - بدلاً من المخالفة والمعيان وما يترتب
عليها من اشتجار السيوف .

فازال الفكر العربي والأحاسيس المنبثقة في النفس العربية تهزها
قوة الكلمة المتعة الصادرة عن صدق وفي أوفق مناسبة تُقال فيها
عما انجلى عنها أطوع إجابة كانت حين الطاعة والقبول للنصح ،
والاستجابة لا أشار به الخليفة الإمام « على »

وفود التأييد

الموقف السياسي :

قدّم على الخليفة « علي » بالسكوفة أشرف بن تميم ^(١) وفيهم « الأحنف بن قيس » و « جارية بن قدامة » و « حازقة بن بدر » مقام « الأحنف » وجعل تميم الأول فتكلم قائلاً ^(٢) :

« يا أمير المؤمنين - إنه إن نكّ (سعد) لم تنصرك يوم (الجل) »
فإنها لم تنصرك عليك ، وقد مجبوا أس من نصرك ، وجبوا اليوم
من خذلك - لأنهم شكوا في « طلحة » و « الزبير » ولم يشكوا
في « معاوية » وعشيرتنا بالهجرة - فلو بعثنا إليهم فقدموا إلينا فالتفأ بهم
العدو ، واتصفنا بهم وأدركوا اليوم ما فاتهم أمس ؟ !!

التعليق

ويبدو من هذا أن موقف « تميم » كان حيادياً في موقفه (الجل) بسبب عدم انتزاع المواقف في ذهنهم إزاء بعض الأشخاص من أمثال طلحة والزبير ومعاوية ، وأبأنوا أن حيادهم لم يكن مخافة ومعارضة للإمام في مواقفه - بل دليل هذا المرض الذي قدموه للخليفة « علي » أن يستقدموا قومهم ، ويقفوا إلى جانبه ويبدو أن الخليفة الإمام يريد الاحتياط أكثر من صيغة ما عرضه عليه « الأحنف » في كلمته -
فقرأه ينقل الحديث إلى الرجل الثاني في (تميم) قائلاً :

(١) وكانت (سعد) من تميم لم تنصرك وعاليا ، في قتاله أهل (الجل)
ويبدو أن الإمام يشعر بوجوده إزاء تصرفهم هذا (٢) صفين ص ٢٤

الإمام : ما تقول يا « جارية » ؟
 جارية : « أقول هذا جمع حشره الله لك بالتقوى ، ولم تستكره
 فيه شائخاً ، ولم تشخص فيه مديماً .
 والله لو لا ما حضرك فيه من الله لفنك سياسته ، وإيس كل
 من كان معك نافعك !
 ورب مقدم خير من شاخص ، ومصرأك خير لك - وأنت أعلم .

• • •

إذن - فقد جاءه « بنوعمهم » مدغمين بنرض سام شريف أسامة
 التقوى لله يفتلنا منهم أن الحق إلى جانب الإمام .
 لذا - ترام وقد وفد بهم الحب دون استكرام .
 وكان « جارية » حكماً غيا جرحه من رأى من أنه : ليس كل من
 كان معك نافعك !!

كما أنه زاد الإمام إيضاحاً في أمر يفترض أن الإمام يعلمه ؛ ذلك
 الذي أنهاه بقوله : وأنت أعلم - حيث حدد له بدقة (من ممة - ومن هليمة)
 بقوله : مصرأك خير لك ^(١) .

هذا - مع عدم الإعمال للشككة الذهبية في تعامله مع (من ممة) بأن
 ليس كل من ذقت إلى جواره كان نافعاً له .
 وهذه دعوة إلى الاستيثاق بمن تأميه ، وفيما البصيح ألا يرد من
 جاء به الحب نتيجة لتحكيم حامل الدين (التقوى) التي جمعه بأشراف
 (نعمهم) .

وما زال الإمام يحاول استزادة الأمر وضوحاً ، والوضع وثوقاً من
سائر الأفراد الرؤوس الذين يحضرونه قراءه ينقل الحديث إلى « حارثة
ابن بدر » فيقول :

على : ما تقول يا « حارثة » ؟^(١)

حارثة . يا أمير المؤمنين - إنا نشوب الرجاء بالخيانة .

والله لوددت أن أمواتنا رجعوا إلينا فاستمعناهم على عدونا
ولسنا نلقى القوم بأكثر من هدم ، وليس لك إلا من كان
ممعك ، وإن لنا في قومنا عدد لا نلقى بهم هدوا أعدى من
« معاوية » ولانسبهم قرا أشد من (الشام) وليس به (البصرة)
بطانة تُرصد لها ، ولا عدو يُهدم له .



والحوار هنا فيه الإقناع السكافي للخطبة الإمام بأن (عميم)
تقف إلى جانبه ، وتماهى « معاوية » في موقفه المضاد للإمام يستوى في
ذلك المضاء الأحياء والأموات من (عميم) وقد أبان « حارثة » أن تأييد
أهل (الشام) لـ « معاوية » في نزاعه للخطبة قد اعتُبر بمثابة الجبهة القتالية
للمادية الطغرة التي تنهض المسارعة إلى سُدّها بالقضاء عليها ، وتكثير
الجموع الفاتنة لهم إلى حد استعداد الأموات على سبيل التمتع !!

وقد كان في الآراء الحوارية التي أدارها الإمام مع السادة من (عميم)
مطمان الإمام إلى سلامة موقفهم ، وصحة الاطمئنان إليهم من بعد

(١) شاعر (عميم) وفارسها ، وكان موثقاً به في سداد الرأي .

أن هيركل منهم بصراحة وحرية ووضوح عن رأيه في مجريات الأمور والأحداث ، وأنهم طبقا لما تعلقه عليهم تتوأم لن يقتوا إلا إلى جانب صاحب الحق انظيفة « على » ولن يمدوا إلا « معاوية » ولن يماربوا إلا جهة أهل (الشام) .

وما أن بلغ الحوار مباحثه اطمئنا من نفس الإمام حق نراه يشير إلى « الأحنف بن قيس » زعيم (تميم) بأن يكذب إلى قومه (بنى سعد) يستقدمهم إلى (السكوة) فكتب :^(١)

« أما بعد - فإنه لم يبق أحد من (بنى تميم) إلا قد شقوا برأى سيدم غيركم - شقيقت (سعد بن خرشة) برأى « ابن بشرى » وشقيت (حنظلة) برأى « حليان » وشقيت (مدي) برأى « زفر » و « مطر » وشقيت (بقو عمرو بن تميم) برأى « عاصم بن الدلف » .

ومعكم الله برأى لكم حق تلتم ما رجوتهم ، وأمنتهم ما خفتهم ، وأصبحتهم منقطعين^(٢) من أهل البلاء - لاحتقن بأهل العافية .

وإني أخبركم أنا قد معنا على (تميم) السكوة فأخذوا علينا بفضلهم مرتين :

بمسيرهم إلينا مع (على) وميلهم إلى المسير إلى (الشام) ثم أخبروا^(٣) حق صرنا كأننا لا نعرف إلا بهم - فأقبلوا إلينا ، ولاتنكسوا عليهم .

(١) صفين ص ٢٥ .

(٢) أصبحتم بميديين عنهم

(٣) غلبتنا أفضالهم التي غطت علينا

فلان لهم أعداءنا من رؤسائهم ... فلا تبطئوا ، فإن من العطاء حرمانا
ومن النصر خذلانا .

فحرمان العطاء القلة ، وخذلان النصر الإبطاء ، ولا تقضى الحقوق
بالأرضى ، وقد يرضى للضطر بدون^(١) الأمل .
التعليق :

الرسالة ترشده من (الأحرف) إلى بنى قومه تدور حول ما بنى :
(أ) أنه قد رأى لهم الرأى المنبجى لهم من المصلحة فى الوقت الذى
شئى فيه غهرهم برأى سادتهم .

(ب) الإيماز إليهم أن بنى حومتهم من (تميم) السكونة قد انضموا
إلى الامام ، وماوا إلى السير مع إلى الشام ، وهم فى الانتظار لتقدمهم
حون إبطاء .

(ج) التحذير من الانضمام الى الطريق المناوىء حتى لا يقيموا معاذير
الحرمان من العطاء والنصر ، والاضطرار إلى الرضى بالهون .

وعلى الرغم من أن الرسالة صادرة من عظيم القوم وخطيبهم وصاحب
الرأى فيهم ، وهى وافية من حيث الفرض الذى صيغت له ، وعنصر
الاقناع فيها واضح بما أحرزوا من أمن وطاقة وخلوص من البلاء بإقياهم
على الإمام بـ (السكونة) وفيها التحذير من الخائفة لما يترتب عليها
من عقوبات خطيرة تلحقهم . - ولكننا نلاحظ مع ذلك مواكبة الشمر غالبا
لرسالة باستنارته الوجدانية للمضمون الفكرى الذى تحويه الرسالة .

(١) أى أقله .

فأمن رسالة أوسيلث إلا وشفت بقصيدة شعرية تدعم معانيها.
وتستثير الحاس النفس لإفناذ ما تضمنت - حتى طلى الشعر في هذا المجال.
وغدا الأتراسل به أمرا مألوفا في تلك الحقبة من النزاع .

فمع رسالة (الأحقف) هذه - نرى (معاوية بن صهيم) ينشئ
قصيدة ويبعث بها مع الرسالة ونحوها ورد فيها حيث يقول .^(١)

«عيسى بن ممر» إن «أحقف» نسمة	من الله لم يخص بها دونكم سدا
وعم بها من يمدكم أهل مصركم	ليال ذم الناس كلهم الرندا
سواء تقطع الحبل عن أهل مصره	فأمسوا جميعا آكلين به وغدا
وإعظامه الصاع الصغير، وحذقه	من الدم الوافي يجوز له البقا
وكان لسعد رأي أمي صفة	فلم يخطلا الإصدافهم ولا الوردا
وفي هذه الأخرى له تحض زينة	سيخرجها حقوا، فلا تملوا الرندا
ولا تبطئوا عنه، وعيشوا برأيه	ولا تملوا عما يقول لكم بندا
أليس حطيب القوم في كل وفدة	وأقربهم قريبا، وأنهدم بندا
ولإن (عليا) خير حليف وناهل	فلا تمنعوه اليوم جهدا، ولا جدا
بحارب من لا يخرجون محربه	ومن لا يساوي دينه كله ردا ^(٢)
ومن نزلت فيه ثلاثون آية	تشيء فيها مؤمنا مخلصا فردا
يرى موجبات جن فيه وغيرها	بها أوجب الله الولاية والودا

(١) ابن أخ للأحقف .

(٢) صفين ص ٢٦ - ٢٧ .

(٣) الرد - الزائف من النقود - أي من لا يساوي في دينه شيئا -

البيان الأدبي :

القصيدة موجهة إلى فكرة أساسية يجعلها :
الدعوة لـ (بنى سعد) من (تميم) أن يستجيبوا لزعيمهم «الأحنف»
خياً دعاهم إليه من الغاية للعليلة « على » .
والفكرة بوضوحها هذا نراها دعوة ذات شقين :
(أ) الدعوة إلى الامتثال لرأى زعيم القوم (الأحنف) فيما ارتأه
لهم من صواب وخير .

(ب) الدعوة إلى الناصرة للعليلة الإمام « على » .
وقد أتبع الشاعر كل دعوى طرحها بالمبررات التي تظهر صواب
ما يدعو إليه :

فقياً يتعلق بـ «الأحنف» نراه يتمته بأنه :

١ — نعمة من الله حبا بها (تيميا) بأسرها ، وامتدت حتى شملت
جميع ساكني للنطقة ، ولم يقصر خيره على (بنى سعد) وحدهم ، فالرجل
كريم دون ماحد ، وصواب رأيه فيه الصواب والحفظ لبنى قومه دائماً ،
وعلى الأخص فيما اعتمده من رأى بالأمس بالناصرة لـ « على » .

٢ — الرأى في المناصرة لـ « على » خير كله - وإن لم تتضح خيريته بعد
وقد بنى على هذا الحث على السارعة إلى اعتناق ما يراه لهم «الأحنف» .

٣ — «الأحنف» خطيب القوم الذى يملك ناصية القول في كل
مناسبة والذى يحدد فن الشافهة لسامعيه ، والأقدو على التمهيد من رأى
القوم ، وخاصة عندما تنفجأهم الوفود ، ولم يصل إلى مركز خطيب القوم

إلا بعد تجربة أثبتت جدارته ، وصواب رأيه ، وهو القريب مُلتصاً به
والأسمى أداءً .

وفيا بتملق بالإمام لا على ما نراه قد نصته بما يلي :

١ - أفضل من وُجد في زمنه على سبيل القطع .

وذلك - بما صدر به البيت من توكيده وبالأستغراق للخيرية وتركيزها
فيه دون غيره من سائر الحفاة واللتعلمين من أهل زمانه . وقد بنى على
هذا - الطالبة له (تميم) بالناصره له إلى أقصى الجهد والجِد في ذلك
غاية الجِد .

٢ - لا على «أولى» بأن يُصَف ويُتَرَف بخلافه لا أن يُنَازَع
ومُحَارَب .

فقد نزل فيه وحى يفرده بالآيمان الغالض بلفت آياته الثلاثين .

٣ - لا على «عجب» للوالاة له ، وبذلك الحب والود له لم يجباها من الله .

لما له من سبق وفضل وجهاد ووضع متميز في بيت النبوة .

وقد كان الرسالة المنشورة «للأحنف» والرسالة الشعرية للأقصدة .

له معاوية بن صعصعة «بالغ الأثر لدى بني سمد حيث استجابوا لما

دُعوا إليه ، وساروا بجماعتهم إلى (السكوة) حيث الإمام ومن معه .

حوار وعرض

حول بحث رسول الى « معاوية »

لوقوف السياسي: أراد الخليفة علي أن يبعث برسول إلى (معاوية) لله يقلمه بطرح النزاع ، والدخول فيما دخل فيه الناس من إيكال الأمر له والتسليم فتحدث في ذلك مع من كان يحضره .

وهنا يديرى من بين الحضور « جرير بن عبد الله » قائلا :
جرير : ابعثنى إلى معاوية فإنه لم يزل لى مستنصحا ووديا ،^(١) فأتبه فأدعوه على أن يسلم لك هذا الأمر ، ويمامك على الحق - على أن يكون أميرا من أمرائك ، وعاملا من عمالك - ماعل بطاعة الله ، واتبع ما في كتاب الله ، وأدعو أهل (الشام) إلى طاعتك وولايتك ، وجلهم قومي وأهل بلادي ، وقد رجوت ألا يصونى .
الأشتر : (موجها الكلام إلى الإمام) لا نبعثه ودعه ولا تصدقه ، فوالله إني لا أظن هواء هواهم ، رايته نيتهم .
الخليفة : دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا .

(١) الصديق الطالب لنصحي .

وهنا يتجلى الرسول « جريز » ليقوم بمهمة سياسية أساسها (الوساطة) لمحاولة الإنقاذ لوالى (الشام) المنازع « معاوية » أن يبايع الخليفة « عليا » ولا ينافعه - صارفاً النظر عن الاعتراضات التى أبدأها « الأشتر » وهنا يزود الإمام رسوله « جريز » بتعليماته ، والأُسُس التى يمكنه أن يجرى فى حدودها مفاوضاته ولا يهمل أن يمرض للأسباب التى من أجلها صبح عنده الاختهار لرسوله فقال :

الخليفة : إن حولى من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل الدين والرأى مَنْ قد رأيت ، وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله ﷺ :
« إنك من خير ذى يمن » ^(١) لميت « معاوية » بكتابى —
فلن دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا فانيذ إليه ، وأهله أنى
لا أرضى به أميراً وأن العامة لا ترضى به خليفة .

رحلة الوساطة

وينطلق (جريز) إلى (الشام) مُوقِداً من الإمام يحمل رسالته حقوا ومزودا بمصالحيات محددة ، ويصل إلى (معاوية) . وينزل عنده ويدخل عليه فيقول : ^(٢)

(أما بعد يا معاوية فإنه قد اجتمع لابن حنك أهل الحرمين ^(٣) وأهل المصرين ^(٤) ، وأهل الحجاز وأهل اليمن ، وأهل مصر وأهل العروش

(٢) وقعة صفين ص ٢٨

(٤) الكوفة والبصرة

(١) من خير أهل اليمن

(٢) مكة والمدينة

وعان وأهل البحرين والجماعة فلم يبق إلا أهل هذه الحصون التي أنت فيها — لو سال عليها سيل من أوديته غرقها .
وقد أتيتك أدهوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مباينة هذا الرجل .

التعليق

الجانب التهديدي في كلمة الرسول واضح — فالإجماع ذو الأهمية في تقرير مصير الأمة الإسلامية قد وقف ضد « معاوية » منعازاً إلى الخليفة (على)

وما بقي في يد الوالي فكتم لا يُعْطَا به ، فليست (الشام) في نظر الرسول الوسيط غير مجرد حصون محدودة الأثر — تمرض طوفان التأييد العارم للخليفة الشرعي المباح له ، وسوف لا تبقى ولا تقوى على الصمود أمام دقّ صول التأييد الذي لن يعرقه عائق .

وفي ختام الكلمة يوضح الرسول مهمته بأنه : الداهية إلى الرشاد والهداية ، ويركز هدايته وترشيده على الاستجابة بالمباينة .

ولم يهمل الرسول النصيحة في صدر كلمته أن يحاول من قلب (معاوية) حيث يذكره بأن الخليفة الإمام — هو ابن عمه — لعل رابطة الدم تنزعه فتمطّنه نجاهاه فينصاع للمباينة له — صارفاً النظر عن النزاع معه .

إنه التركيز في أسلوب المواجهة بالكلمة ، واندفاع إلى الغرض مهاجرة دون تفريعات ، وترتيب في العرض ، وسلامة في استخلاص النتائج — فقد قدم عملية الهزّ لشاعر الوالي تهديده بالحق ، ثم أتبعه

الدموية المادية إلى النهاية حيث لا نجدى المكابرة — إنها المواجهة
الأسلوبية بين الوعد والوعد .

ثم يدفع إلى (معاوية) برسالة (على) ويُلحظ أن البادئ بالمراسلة
الخليفة (على) بناء على فسكر عن له .

ولربما كان القصد أن يعيّن الإمام من طريق الرسالة والرسول
من الإقناع له (معاوية) أن يطرح جانب النزاع والخلاف ، ويعود
إلى المحرزة معترفاً بخلافه الإمام .

وهذا يكون الخليفة (على) قد أحل الإقناع بالسلطة المادية التي
يحصلها بمبوث ومثل شخصي جوسط وفاوض محل إعمال السيف .

حيث لا يوجد مأور أقسى من تحكيم السيف بين للتنازعين ، وعلى
الأخص بين رءوس في الدولة الإسلامية .

وبما لا شك فيه أن في تقابلهما تفرقاً لصفوف جماعة المسلمين ،
وإضماراً لذيتهم التي تنازعها الأهواء والفتن في تلك الآونة وتهدها
الحرب الأهلية ، وربما — كان الخليفة الإمام راغباً في الإحذار إلى
« معاوية » بأن يحاول رده بالحسنى إلى صواب الرأي إقناعاً بالدخول
في طاعته قبل أن يحكم السيف في أمر نزاعهما — شأن الإمام دائماً
في إعداده إلى مخالفته ^(١) — فقد كان هذا مبدأ عاماً عنده — يحاول
به تغليب جانب السلم والمصالحة فيه على القتل والحرب .

(١) راجع صنع الامام مع طلحة ، و الزبير ، قبل الدخول معهما في معركة
(الجبل) وفي لقاءه برءوس الكفر مبادرة قبل التحام الصفوف قتالاً في غزوة بدر

ويدفع « جرير » رسالة الخليفة « على » إلى « معاوية » فإذافها^(١):

بسم الله الرحمن الرحيم

« أما بعد - فإنَّ بعضَ المدينة كُرمك وأنت بالشام - لأنه يابى
القوم الذين يابىوا « أيا بكر » و « عمر » و « عثمان » على ما يؤموا عليه
فلم يكن لشاهد أن يخاف ، ولا لقائب أن يردوا إنما الشورى لهم جرين
والأنصار ؛ فإذا اجتمعوا على رجل فسوه إماما كان ذلك وضاً - فإن
خرج من أمرهم خارج بطن أو رغبة رفته إلى ما خرج منه ؛ فإن أتى
قالوه على اتباعه غير سبيل للؤمنين ، وولاه الله ما تولى ، وبصاياه جهنم
وسادت مصيرا وإن « ملحة » و « الزبير » يابىا ، ثم تقضا يهتى ، وكان
نقضهما كدحما ، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق ، وظهر أمر الله
وم كارهون - فادخل فيما دخل فيه المسلمون - فإن أحب الأمور إلى
فيك العافية - إلا أن تعرض للهلاء . فإن تعرضت له فالتفتك ؛ واستمعت
الله عليك .

وقد أكرت في قفلة « عثمان » فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، ثم
حاكم النوم إلى أحلك وإياهم على كتاب الله .

فأما تلك التي تربدها فمؤذمة الصبي عن إلهين ، ولعمري - لئن
فطرت بمثلك دون هواك لتجدني أبرأ (قريش) من دم « عثمان » .
وأعلم أنك من الطلقاء^(٢) الذين لا تحمل لهم الغلالة ، ولا تعرض
فيهم الشورى .

(١) وقمة (صفين) ص ٢٩ .

(٢) الذين أطلق سراحهم النبي عليه السلام بعد فتحه لمكة عنوة .

وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك « جرير بن عبد الله » وهو من
أهل الإيمان والمهجرة - فبايع ولا قوة إلا بالله .

التعليق :

الاسمة والمضمون : الرسالة حادثة في طائفتها العام وودية فيما نص عليه
عن حب العافية لـ « معاوية » ، ونحو مضمون ما مؤداه للطالبة لـ « معاوية »
بالإخول في طاعة الإمام الذي أكدته بتكراره له في موضعين مختلفين
من الرسالة لاثلاً : فادخل فيما دخل فيه للصلون .
وقد رتب الإمام مضمون الرسالة في تناسق اعتبارى مسرود
كالى :

(أ) التصدير للرسالة بما يؤكد لزوم « معاوية » وإلى الشام المباشرة
للخليفة « على » مهما كان قصياً في أطراف الدولة .
(ب) يورد تعليلاً لصحة هذه المباشرة بأن مبايعته هم مبايعته ولا يوبخهم
و « حر » و « هنان » الخلفاء الراشدون الأول :

(ج) يتصلب عن الشورى ويقصرها على المهاجرين والأنصار .
(د) عرض سريع لما حدث من « طلعة » و « الزير » وصنعتهم ما
الذى أودى بهما في موقعة (الجمل) .

(هـ) مطالبة « معاوية » بإيفاء طلبه للإمام - من بعد أن وضح
وبين ولم يدع مجالاً للشك في صحة بيعته في ترتيب تسامى موجز
حقص .

(و) للمعاوضة والمنازعة بعد ذلك في أمر البيعة تعرض للبلاء بالعرب
وإن كان من الآكد حبة السلامة له ، وتقديمها على البلاء وموجباته .

(ذ) التعقيد لمعوى « معاوية » المطالبة بدم « عثمان »

وقد أورد الإمام لذلك حكلاً فقهاً سلباً مؤداه : أن الموقف السامى الحالى بين الخليفة والوالى يتضمن أمراً جوهرياً وآخر ثانوياً الجوهرى هو المطالبة بإفناذ الوالى لهنمة الخليفة أولاً ثم بعد ذلك يُنظر فى حقيقة الأمر الثانوى المتعلق بمعوى المطالبة بدم « عثمان » إذا ما صح له « معاوية » أن يكون صاحب حق فى اللطالبة بهذا الدم .
وحقاً يسوغ له أن يحاكم الثقة إلى الخليفة فونفذ حكم الله فيهم .
من بعد أن يكون قد استقر نظام الحكم فى الدولة .

(ح) العطن على « معاوية » فى دعواه بأنها خدعة لا تنطلى على عاقل .
وشهد .

(ط) « معاوية » لو نظر بفكر مجرد من المعوى لصحت عنده براءة الإمام من دم « عثمان »

(ى) « معاوية » من طلقاء نفع مكة الذين لا تحمل لهم اغلانة .

(ك) « معاوية » ليس من أهل الشورى التى حُصرت فيمن هاجر ونصر .

وتلك اعتبارات أوردتها الإمام ليصحح الفكر عند « معاوية »

إذا ما كانت نفسه تمدنه بشيء فيما يتعلق باغلانة حيث قد تمت المباشرة الصحيحة له « على » فإزمت لذلك « معاوية » بناء على هذا .

وقد أبان الإمام له « معاوية » أن لا حق له فى التقرير لنظام .

للأمر من الخلافة أو الشورى من بعد أن قُنَّ كلاً منهما، وحده بشرطه وأسقط حقه في كليهما .

ولم يهمل الإمام إبراء نفسه ، وتصحيح موقفه في تصرفاته إزاء ما حدث منه في موقعة (الجمل) وإزاء مقتل الخليفة « ثمان » تلك الأحداث التي هزت كيان المجتمع الإسلامي ، ولم تترك الرسالة في وقتها مجالاً لفتلت الوالى معاوية من البايعة إذا صحت منه الفية متجهة إلى الصواب من بعد أن قضت على كل ما يثبت على الشك أو التنازع بما قرره من قضايا أساسية تتعلق بالخلافة والشورى .

إنها للنهج لشرعية الدولة في نظام الحكم ، والتبصير للوالى في مقام الإقناع بالكلمة المأذنة ، والدعوة إلى التصفية والصفاء بعد زوال الشكوك ، والتصد نحو إقامة نظام الحكم للستر أولاً شغل الأمة الشاغل (الخلافة) تنفذ وتجرى ، ثم يتم بعد ذلك الإنهاء لسائر المشاكل الفرعية .

ويرأ « معاوية » رسالة الخليفة « على » وإثر فراغه منها ينهض الرسول « جرير » فيخطب قائلاً : ^(١)

« الحمد لله المهود بالموائد ^(٢) ، ولأول منه الزوائد - للربحى منه الثواب - السعمان على القوائى .

أحمد وأستعينه في الأمور التي تحترق دونها الأبواب ، وتضمحل عندما الأسباب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كل شيء حالك إلا
وجهه - له الحكم وإليه ترجعون .

وأشهد أن (محمدًا) عبده ورسوله - أرسله بمدالفترة ، وبمدالرسول
للاضية ، والقرون الخالية ، والأبدان البالية ، والجليلة الطاغية - فبلغ
الرسالة ، ونصح الأمة ، وأدى الحق الذي استودعه الله ، وأمره بأدائه
إلى أمته ﷺ من مُبْتَدِئِ مُتَعَبٍ وَمُتَعَبٍ مُنْتَجِبٍ^(١) .

أيها الناس - إن أمر «عثمان» قد أعيا من شهوده ، فاعظكم بمن
غاب عنه ؟

وإن الناس قد بايعوا «عليًا» غير واثق ولا موقوف ، وكان «ملحة»
و «الزبير» من بايعه ثم نسكتنا ببيعة من غير حَدَث .
ألا وإن هذا الدين لا يحتمل الفتن - ألا وإن العرب لا تحتمل
السيف .

وقد كانت بـ (البصرة) أمس ملحة وإن يشفع البلاء بمنحها
فلا بقاء للناس !

وقد بايعت العامة «عليًا» ولو ملكنا الله أمورنا لم نَحْتَرُ لها غيره
ومن خالف هذا استعيب^(٢) ، فادخل لا إله إلا الله في قلبه الناس .
فإن قلت : استعيبني ((عثمان)) ثم لم يذلق فإن هذا أمر لو جاز لم
يقم لله دين ، وكان لسلك امرئ ما في يديه - ولكن الله لم يجعل لآخر

(١) مختار .

(٢) طلب المعافاة بما فرط منه .

من الولاية حق الأول ، وجعل تلك أمورا موطأة ، وحقوقاً ينسخ بعضها بعضها .

التمليق :

: تنصب الخطبة في مضمونها على التوضيح .

والنظر للأمر التالية :

(أ) السجرات القام عن التعدي للخطبة ماتم في اغتيال الخليفة عثمان .

(ب) البيعة العامة تمت لـ « علي » وليس لها غيره في أى اختيار حر .

مريض يمكن أن يتم بعد — على سبيل فرض التحلل مما تم .

(ج) دعوة (معاوية) إلى المبايعة لدخولها فيها دخل فيه العامة .

(د) تقرير حق الخليفة المبايع في العزل أو التثبيت الولاية .

(هـ) توضيح أن الولاية وعن موقوف بمصالح الوالى في إدارتها ،

ولست ميراثاً في الحكم — وإنما الخليفة الجديد يرى رأيه في الولاية ،

وتعهد أى فرضين ذلك .

(و) استقطاع (جرير) أن يثبت أن استدانة الوالى في الحكم

للولاية في عهد الخليفة الجديد ربما عن أبقه أمر ليس من الدين في

مجمع أساسه الدين .

(ز) بين أن الخليفة الجديد لا يلزمه الإبقاء على جميع تصرفات

سابقة ، وإنما يحل حق النقض لها إذا ما تبين له فسادها .

(ح) أوضح حقيقة ماتم فيما يتعلق بـ (طاعة) و (الزير) ليعنى

أى شك يتعلق بشأنها ، وأنها قد انتهت بلحمة لاطاقة للمرد بالداخل

في مثلية لها .

(ط) الخطبة تقن الأسس العامة لتولي الخلفاء ، وحقوقهم في ائتمرفات العامة ، وفي تغيير الولاية إذا رآوا ذلك لازما ، وعدم إلزامهم بالإبقاء على تصرفات اتخذها سابقهم ورائخ لا حقهم الظهور في تبديلها وإثبات حق الخليفة الجديد في أن يرى رأي في الولاية ثيبعا أو عزلا وفق ما يراه صالحا عاما .

للضمون والسمات :

(١) الخطبة موضوعية في حقيقة ما تضمنت ، وقد عرضت في أسلوب هادئ مقنع خالي من التهديد اللهم إلا ماورد عن ملحمة (البصرة) تلميحاً ، وقد افتتحت بالحمد الوثير لله وإفراده بالألوهية في شهادة تتعرف بأيلولة الملك والبقاء والرجوع إلى الله ، وشهادة برسالة وعنده الذي بلغ ونصح .

(ب) لم يمهّد مثل هذا الطول الجامع لأصول الدين ، والتحميدات الممتدة ، في صدر خطب تلك الفترة وربما كان الوقت الخاص بقرار أمر الخلافة والولاية وموقف الخليفة منهم طبقا لما ترضيه الشريعة الإسلامية هو الذي دمنه إلى الإطالة في هذه الفاحية . تذكرنا بحقائق دينية أثبت عليها تشريعات قرّرت أمر الحكم في قته (خلافة) ونزولاً حق مستوى (الولاية) .

ويتمهي المبحث « جرير » من خطبته فيعقبس ، ويقول « معاوية » : انظروا ونظروا ، وأسقطوا رأي أهل الشام ، ويأمر فينادي للنادي : الصلاة (٦ - أبيباني)

جامعة ، ويجمع الناس ؛ فيصعد « معاوية » المنبر ، ويخطبهم قائلا^(١) :
الحمد لله الذي جعل الهائم للإسلام أركاناً ، والشرائع للإيمان
روحاً ، يتوقّد قلبه في الأرض للقدسة التي جعلها الله محلّ الأنبياء
والصالحين من عباده ؛ فأحلّها أهل الشام ، ورضيهم لها ورضيها لهم لما
سبق من مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم خلفاءه والقوّام بأمره ،
والدّابّين عن دينه وحرماته ، ثم جعلهم لهذه الأمة نظاماً ، وفي سبيل
أظهرات أعلاماً يردع الله بهم النّاكثين ، ويجمع بهم ألفة للؤمنين .
والله يستعين على ما تشبّب من أمر المسلمين بمدّ الالتئام ، وتباعد
بمدّ القرب .

اللهم انصرنا على أقوام يوقظون ناعنا ، ويخيفون آمننا ويريدون
حرقة دمائنا ، وإخافة سبيلنا - وقد يعلم الله أننا لم نردّهم حقاً ، ولا نهكك
لهم حجاباً ، ولا نوطئهم زكّاً .

غير أن الله الجيد كسانا من الكرامة ثوباً لن نرّمه ظلوماً ما جواب
الصدى ، وسقط الندى ، وعرف الهدى .

جعلهم على خلافتنا البنى والحسد ، والله يجمعين عليهم . أيها الناس
قد علمت أنّ خليفة أمير المؤمنين « عمر بن الخطّاب » وأنّى خليفة
« عثمان بن عفان » عليكم ، وأنّى لم أقم رجلاً منكم على خراقة قط ،
وأنّى لى « عثمان » وقد قتل مظلوماً والله يقول : « ومن قتل مظلوماً

قد جئنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً .
وأنا أحب أن تملكون ذات أنفسكم في قتل « عثان » .

التعليق :

الضمون والسمات : تفحص الخطبة في جوهر فكرتها الأساسية نحو
تحرير أن الولاية ثوب كرامة ألبس الله إياه ، ولن ينزعه أبداً - اعتماداً
على استخلاف « مر » و « عثان » له وقد سبق هذا للضمون بمقدمة
حوليلة أفدحت بحمد الله ، ثم انعطفت سريعاً تجاه أهل (الشام) مقررراً
أنهم شرفوا بجلوسهم أرضاً مقدسة ، وأنهم الفاصعون لولايتهم ، والحاجة
للهدين .

وعلى عليهم الأمل في انتظام أمر الأمة الإسلامية - لأن بهم الردع
وحولهم تدور الألفة .

والخطبة كغنية بالأخذ بمجامع قلوب أهل (الشام) بنظامها هذا
حيث أحلهم مكاناً وفيما في الأمة الإسلامية لم يكن لهم من قبل :

(أ) فيهم يقتدل نظام الأمة - لتوفر عامل الردع والألفة بهم وفيهم .

(ب) وهم أهل أرض مقدسة أحلها الله لإياهم ولله أن يبادل
بهم أهل مكة وللدنية .

(ج) أظهر أنه آمن في ولايته ، وهناك من يحاول تمكيد صفو الأمن

عليه - ويتجاهل أنه وال مطالب بمباينة الخطيئة الجديد .

وفي سبيل ذلك يستعبد بالله ناصر له عليهم .

(د) يستमित الوالي في الاستمسك بالولاية فيملتها على أمور كونية

لا تنضم إلا بانتهاء الحياة من : (مجاوبة الصدى) و (سقوط الندى) .
(٥) يصور (الوالي الخطيب) ليحشم للمنى عندما يتحدث عن الولاية بأنها (ثوب كرامة) .

(و) يؤكد أنه ولي للطالبة بدم « عثمان » ويختم بهذا الأمر خطبته ويبنى عليه مطالبته لأهل الشام بإعلامه رأيهم فيما يتعلق بتلك المطالبة .
ويلفظ : أفه ما أراد « معاوية » في خطبته قد قرره في صلب الخطبة من (استنساك بحكم الولاية) مستعداً بقوليه ذلك خلال هذئ خليفته .
ولم يرض الحقيقة حق الوالى الجديد في إقرار أو عزل الولاية .

ثم يخرج من كل هذا إلى استطراد جانبي شخصه عاطفياً ودينياً بحديثه عن (قتل عثمان) وأدار حوله فكر أهل (الشام) وفرض لهم اعتباراً أثبت لهم فيه أهمية وجودهم بأنهم معه ، وأنهم أصحاب كل حق وعقد في كل ما يتعلق به .

وقد نجح « معاوية » في صرف النظر عن حقيقة الجدل في صلب الموضوع للمروض عليه من قبيل الرسول « جرير » وألهمه عواطف العامة بالرض لأمر الاغتيال لعثمان ، وأثبت لهم فيه حقاً ليس لهم وإن كان قد أحى به مشاعرهم ، واستجمع شقات حماسهم حوله بطريقة مرضه الباردة ، التي لا تخلو من ذكاء والتي كفلت تجميع الأفكار حول الفرض الذي ينشده هو لا ما ينشده غيره .

مبايعة المطالبة بالندم

الموقف السياسي : وما أن يفرغ « معاوية » من خطبته حتى يجتمع عليه أهل (الشام) مبايعين له على المطالبة بدم « عثمان » وعلى أن يذلوا أموالهم وأرواحهم حتى يأخذوا بثأره أو يموتوا في سبيل تلك الغاية . ولكن - هل استراح « معاوية » بهذه التأييد ؟

يبدو أن « معاوية » كان يدرك خطورة الأمر الذي دخل فيه ، وأن التأييد والبايعة له ما هما إلا خطوة أولى قد وُجِّهَتْ به باب المخاطر في النزاع ، وأن الأحداث تهرع به إلى عظام الأمور بما فيها الصدام . التفتالي مع الخليفة للبايعة له « على » فهل يمكن أن يطعن إلى نصرة أهل (الشام) له وقد بايعوه ؟

وما أن يمس القيل به « معاوية » إلا وقد دخل في غمٍّ بما هو فيه .

وكأنما قد أذكى النّهم من مكبوت آلامه ، تطلّعت بها أحاسيسه فانطلق يُنشدّ معبراً عن هواجس الضيق الذي ألّهم به قال ^(١) :

تَطَاوَلَ لَيْلِي وَأَعْتَرَنِي وَسْوَاسِي لَأَتِ أُنَى بِالزَّهْمَاتِ الْهَاسِرِ ^(٢)
أَنَا نَا « بَجْرِ بَرٍّ » وَالْحَوَادِثُ بَجَّةٌ بِتِلْكَ الَّتِي فِيهَا اجْتَدَاعُ الْعَاثِرِ
أَكَابُدُهُ وَالسَيْفُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَلَسْتُ لَأَكُتَابِ الدَّقِيقِ بِلَايَسِ

(١) صفين ٢٣

(٢) الباطل

ولكن - فهل يمكن أن توصله الطاعة على المطالبة بدم « عثمان »
إلى تثبيت ملكه على الشام مع إمكان امعادته إلى العراق - مُلْكًا
وليس مجرد ولاية تنعصر على الشام فقط ؟

إن الهاينة على النصرة في المطالبة بدم « عثمان » تراها وهي تودك
أن تتخذ وسيلة لتثبيت ملك الشام أولاً ، وهي أيضا محاولة لده إلى
أقصى مدى يمكن أن يمتد إليه ثانياً !!
(وما أأنا من ملك العراق بآيس) .

ويمارس المبعوث « جرير » ضغطه على « معاوية » حاثاً إياه أن
يبايع الخليفة « علي » ويهني النزاع فما يكون من « معاوية » وقد
استعصم الأمر بينه وبينه إلا أن يقول مقاوماً للضغط :
يا « جرير » إنها ليست بغلبة ، وإنه أمر لم يمهده ؛ فأبلغني ريتي
حتى أنظر .

خُلُوة ومشورة

الموقف السامى : ويخاطب « معاوية » بنقائه وقد دعاهم ليروا ممة
وأبهم في الغفلة من هذا التآزم الذي لا تلج خلاله بارقة انفراج .
فالضغط من أجل الهاينة قائم ، والرسول يلج ، والموقف كالحلده .
« معاوية » :

• أكابده والسيف بيني وبينه •

وهنا ينهض بحق المشورة « عتبة بن أبي سفيان » فيقول :
« اجتمعن في هذا الأمر به « عمرو بن العاص »

وَأَمَّا هُوَ بِدِينِهِ فَإِنَّهُ مَنْ قَدْ عَرَفْتَ ، وَقَدْ اعْتَزَلَ أَمْرًا « حَيَّانًا » فِي حَيَاتِهِ ، وَهُوَ أَشَدَّ اعْتِزَالًا إِلَّا أَنْ يُشْتَمَّ لَهُ دِينُهُ » (١)

وهذا يكون « عتية » قد أدخل في النزاع شخصية جديدة حاول بها التقوية لموقف « معاوية » هي شخصية « عمرو بن العاص » ويبدو أن « عمرو » قد تأكد العلم به لديهم أنه الداعية واسع الحيلة ، والطويل الباع في الناس الحلول خلاصاً من عصي المآزق - وعلى الأخص إذا ما كان للشورة عطاء يرجحها وزناً في عالم التقييم للأمور المعاصرة في سياسة وكياسة تدل على المروق ينشر من أضيئ الزائغ ، وأشدّها استقصاء على المروق.

إنه الدماء يدعم الدماء في مجال السياسة من بعد أن حزب الأمر ، وأصبح دماء « معاوية » وحده غير مجزئ أو كفيلاً بعميق حل يناسب مصالحه وقد ضاق عليه الخناق ، وانقضت حاجته إلى مساندة دماء آخر له بميته وقت الضائقة

لما - رأينا « معاوية » وقد نزلت به مشورة « عتية » ممثلة فتممًا جديدًا لباب أمل يوثق به في إمكان تخليصه من هذا الموقف الخطير الذي حال بينه وبين الابتلاع لريقه .

(١) إعتاداً على النص الذي ورد في نهج البلاغة لابن أبي الحديد ..

استقدام عمرو ،

الموقف السياسي : - ويكتب « معاوية » إلى « عمرو » بفلسطين طالباً منه القدوم . - ملخصاً له الموقف فيقول :

أما بعد - فإنه كان من أمر « علي » و « طلحة » و « الزبير » ما قد بَلَغَكَ ، وقد سَطَّ إلينا « مروان بن الحكم » في رافضة أهل (البصرة) وقَلِمَ علينا « جرير بن عبد الله » في بيعة « علي » وقد حَبَسْتُ نفسى عليك حتى تأتيني أَقْبِلْ إذا رَكَوكَ أَمْرًا .

التعليق :

المضمون والسمات : والرسالة بالغة القوة في التأثير من أجل الحث

لـ « عمرو » على ضرورة القدوم .

(أ) وذلك - لما أورده آكدنا من أنه لن يُبْرِمَ أَمْرًا فإِيا عرضة عليه من رؤوس موضوعات خطورة تنغظر قدومه ، ومشاورته فإِيا ينبغي انتباهه إزاءها (وقد حَبَسْتُ نفسى عليك حتى تأتيني)

(ب) وقد أكد ضرورة قدومه بصريح اللفظ بعد ذلك (أَقْبِلْ) حتى لا يترك مجالاً له لأى تراخ يمرض له بدعوه إلى البطء في القدوم .
(ج) وإِمعاناً في التشجيع على القدوم نراه يُلَمِّحُ له بأن هناك أَمْرًا يستدعى تعامدهما فيه .

وقد أظهره في ممرض الأهمية الخاصة أكثر ما طرحه سابقاً من مشكلات تستدعى قدومه ومشاورته فيه لقرط خصوصيته بهما .

إنه أسلوب التعامل بين القادة يحكمون صياغته ، ويحيدون عنهم .
لذلك له لحاً دون حاجة إلى مزيد تسكيف أو توضيح .

« عمرو » يستشير ولديه

الموقف السياسي : وتقرأ رسالة « معاوية » على « عمرو » فيعرض الأمر على ولديه « عبد الله » و « محمد » مستشيراً طالبا رأيهما ، فيبادر ابنه « عبد الله » قائلا :

عبد الله : أرى أن نبي الله ﷺ قبض وهو منك راضٍ والخليفتان من بعده ، وقتل « عثمان » وأنت عنه غائب — فتروا في منزلك فلكنت جعولا خليفة ، ولا تريد أن تكون حاشية لـ « معاوية » على دنيا قليلة أوشك أن تهلك نفثى فيها .

محمد : أرى أنك شيخ قريش وصاحب أمرها - وإن تصرم هذا الأمر وأنت فيه خامل تصاغر أمرك ، فالنصح بجماعة أهل (الشام) فكن يداً من أياديها ، واطلب بدم « عثمان » فإنك قد استنمت فيه إلى بني أمية . ويقم الأب رأى الولدين فيقول :

عمرو : أما أنت يا « عبد الله » فأمرتني بما هو خير لي في دنياي ، وأما أنت يا « محمد » فأمرتني بما هو خير لي في دنياي ، وأنا ناظر فيه . لقد ترك الولدان أباهما في معترك من الأمر يقتنازعه . خير إن^(١) طبقا لفضيحه : خير الدين ، وخير الدنيا . فياترى أي أطيرين سيغلبه ؟ وإلى أي اتجاه سوف يميل ؟

لقد ذكر الأب أنه بما له من فاقب فسكر سوف يظفر مقيماً ، وحل

(١) توصيف « عمرو » ، الرايين المتعارضين باعتبار أن في كل منهما كسبا .
أخرويا أو دنيويا ، ولم يحس إلا أن ينمت كسب الدنيا إلا بأنه خير

هدى النظر والتقييم سينتار الاتجاه الذى سيسلكه ، ويبدو أن التعويض والشد والجذب بين اتجاهين متعارضين قد بلغا مبالغتهما بـ « عمرو » ولم يكن في إمكانه سرعة الحسم في الاختيار لما يقترب عليه من خطر النتائج .
١ - إنه الذين بكل ما فيه من رضى - مع استعالة تسنمه الاخلافة -
أو الرضى به خليفة (رأى عبد الله)

٢ - وإنما الدنيا بكل ما فيها من مغريات - أخصها نيا يتعلق بالمرضى حرصه على أن يبتى فيها مسوع الكفة مشاركا في عظام الأمور فتوة موروثه في الدم العربي تحول بينه وبين خول الذكر والحال أنه شيخ قرش ، ومشورة « عمرو » لا ينفذ على الرغم مما عرف به من دعاء يمكنه من مجابهة الأحداث وحده يمثل : الميراث الذى سيقرك لهم من يده - فلما نباهة وعلو شأن ، وإما انهيار وضياح منزلة بين العرب .
والأب يريد أن يحيل إلى ما يختاره الولدان مبرأنا تجنبا من تصرف

والدعا وقد عرض عليه الإسهام في تقرير مصير الأمة ١١
ولما كان اختيار الوكيلين معوازنا في تناوضه رأينا « عمرو » متحيزا - وما أن يوانيه الليل - حتى تلهب مشاعره بفعل ما فاجأه من عروض مبدوة ومسئوليات مُنتظرة واختيارات يجب أن نحسم بالقصل فيها ، فقرأه وقد وقع تحت هذه الضغوط يرفع صوته منشدا بسمع من أهل فيقول :^(١)
تطاول ليلى لهدوم الطوارق و « خول »^(٢) التي تحلوجوه للمواق.

(١) وقمة (صفيق) ص ٢٥ (٢) ترخيم (خولة) ورد في غير النداه

وإن « ابن حنبل » سأل أن أذوره
أثناء « جرير » من « على » يخطئه
فإن قال متى ما يؤمل رده
فوالله ما أدري وما كنت هكذا
أخادمه ! ! إن الخداع ذنبه
أو أقمد في يتي وفي ذلك راحة
وقد قال « عبد الله » قولا تملكت
وخالفه فيه أخوه « عماد »
وتلك التي فيها بركات البرائق (١)
أمرت عليه البهش ذات مصائق
وإن لم ينله ذلك ذلك المطائق (٢)
أكون، ومهما قادني فهو سابقي
أم أعطيه من نفسي نصيحة وأمن (٣)
لشيخ يخاف اللوث في كل شارقي
به النفس إن لم تمتقني عوائقي
وإن لصالب العود عند الحقائق (٤)

البيان الأدبي

تسيطر روح الخبرة على « عمرو » وهو يجتر حقائق الموقف وماتم فيه
من مشورة خاصته عليه يستبين له منه مخرجا آمنا بين عوامل الجذب .
لقد أحس ربح المشاركة في الأمر تهب عليه مواتية فهل يستجيب
لتيار هبوبها أم يسير عكس ما تشتهي ؟
إنه يمد التقييم لحقيقة الموقف بالعرض لخطواته ويضع نتيجة كل
خطوة لإزادها إذا ما كانت خيرا أم شرا .
وبالجمع للنتائج النهائي يمكنه الحكم على المشروع قبل أن ينهجه بالربح
أو الخسارة .

إنها العقلية الدقيقة الواعية التي تقدر للرجل موقعها قبل الخطو ،

(١) الشرور (٢) ذل الأسير المقيد (٣) محب

(٤) فيما يتمين على الإنسان أن يحميه ، وينهض للدفاع عنه

وهذا النظر الذي يملق النتائج على الأسباب، ويربط الأسباب بالسيئات وربطاً حكيمياً لا يتقنه إلا الدهاة .

إنها العلاقة في سياسة الأمور ، وحسن التدبير لها بفكر مدرك لخفاياها وما يمكن أن يقع فيها مما يمكن حسابه ، ويدخل في الحساب والتقدير . وقدّر عمرو « أبعاد الموقف بما يلي :

١ - « معاوية » الآن في موقف صعب لا يدري له منه مخرجاً .

٢ - « معاوية » الآن في أشد الحاجة إلى لأخلصه من الرارة

التي يمانعها .

٣ - « معاوية » إن لم أعاونه ضاع مستقبله السياسي الذي يطمح إليه ؟ وذل ذل الأسرى .

٤ - الحيرة تمرى « عمرو » لأول مرة في حياته ، وتدهوه لأن

يوازن بين تصرفات ثلاثة ، وأيا منها يتخار :

(أ) الخادمة له « معاوية »

(ب) بذل النصح الضالين له

(ج) اعتزاله بمشاكله .

وقد أسقط الاعتبار الأول كعربي يرى في الخادمة دناءة لا يسوغ له

ارتكابها .

وقد رأى في الاعتزال راحة وتلك كانت تحليلاته الشخصية للموقف

غير أنه انصرفت في ختام نشيده إلى رأى ولديه وأبدي في كل رأى

وجهة نظره

فأثبت أن مشورة « عبيد الله » ^(١) عميل إليها نفسه ، ولكن الطريق إلى ذلك ليس سهلاً بهذا بسبب نوازع النفس .
وفي مشورة « محمد » دعوة للتقوى بالواجب عندما تستثير الأزمات الحادة المريبة ، وتقدمي التقوى عندما تُتمزج جوانب الشخصية ، وتوضع حل الحك .

أما وقد صبح هذه الآن أن أحداث الأمة قد دعت إلى أن يسهم بنصيبه - إذن - فإن ينشئ أو يطلو عن الخوض فيها مما تكن النتائج - حيث قد أكد أنه (سلب العود) إذا ما دعا الأمامي - وقد حدث - فما عليه إلا أن يتسم ظهر الوجه ليكون في الصدرة من الأحداث لذا - ما يكاد ينطق الأب (عمرو) بالشطر الثاني من البيت الأخير حتى يقول ابنه « عبيد الله » (تركل الشيخ) وقد كان ١١١ ؟

الرحيل إلى (معاوية)

للقوف السهاسي : وفي سبيل الاستعداد للرحيل ينادى « همروا » غلامه « وُردان » وما زالت غلال الحيرة تنقل ، ولم يتخلص منها تماماً على الرغم من عزمه على المشاركة في الأمر - فندخل في نقاش حواري مع غلامه يكشف حقيقة اضطراب نفسه نتيجة لما هو مقدم عليه فيقول :
همرو : ارحل يا « وُردان »
حط يا « وُردان »

(١) راجع مشورة (عمرو) لابنيه السابقة

أرحل يا «وردان»

أحطط يا «وردان»

وردان : خلطت أها «عبد الله» أما إني إن شئت أنبأتك بما في نفسك
عمرو : هات ويحك !!

وردان : اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت : «على» معه الآخرة
في غير دنيا ، وفي الآخرة عوض عن الدنيا ، و «معاوية» معه
الدنيا بفير آخرة ، وليس في الدنيا عوض من الآخرة ، فأنت
واقف بينهما^(١) .

عمرو : فإنك والله ما أخطأت — فأتري يا وردان ؟
وردان : أرى أن تعيم في بيتك — فإن ظهر أهل الدين عشت في
حقو دينهم ، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك .

عمرو : آلآن لما شهدت^(٢) العرب — مسيرى إلى «معاوية» .
ثم ارتحل «عمرو» وما زالت أصداء الأحداث تعقل في نفسه .
حقا — إنه بأفعاله يبين أنه قد صبح منه العزم على الدخول مُسْرِعاً في
هذا النزاع — ولكن آثار الصراع النفسي ، والشدة والجذب نحو اتجاه
معيّن وإن كانت قد هدأت غير أن ظلالها ما تزال تطفو ثم تنهب وهي
في دور المعوِّ والرزوال .

(١) دهاء من غلام «عمرو» يدل على إدراكه لمعيق ما يشتمل في نفس
سيده ، وربما الداهية كان لا يرتضى لنفسه أن يقوم على خدمته إلا من كان
على جانب من الدهاء — إنه الذكاء العربي الخارق .

(٢) لما استشهد العرب فيما بعد — أي حان وقت اشتهاى بينهم .

وخضوعاً لهذا العامل النفسى ترى « هموا » بنشد وهو مؤرجل =
 يَا قَاتِلَ اللَّهِ « وَوَدَانَا » وَقَسَدَ حَقِّهِ
 أَهْدَى لِمَرْكَمَا فِى النَّفْسِ « وَوَدَانُ »
 لما تعرضت الدنيا عرضت لها
 بحسب نفسى ، وفى الأطباع إدهان (١)
 نَفْسٌ نَفْثٌ ، وَأَخْزَى الْحَرَمِ يَنْفِلُهَا
 - وَالرَّءُ بِأَكُلٍ تَهْنَأُ وَهَوُ غَرْثَانِ (٢)

أما « على » فدينٌ ليس يشركه دنيا ، وذلك له دنيا ولسطان.
 فاخترت من طمعى دنيا على بصير ومامعى بالذى اختار برهان.
 إنى لأعرف ما فيها وأبصره وفى أيضاً لما أهواه ألوان
 لكن نفسى تهب الميش فى شريف وليس يرضى بذلك الميش إنسان
 أمره لمر أبهم غير متقيد والرء يقطس، والوشنان وشنان

• • •

البيان الأدبى .

(أ) التجميعية تعطىنا صورة واضحة للموازنة التى أجراها « هموا »
 لحقيقة الوضع لدى كل من « على » و « معاوية » واتى بناء على
 التقدير الدقيق لسكلا الموضوعين اختار لنفسه للكلان الأليق
 والأنسب ، ثم أتبع ذلك السرد للمبررات التى أملت عليه الاختيار
 للموقف الذى ارتضاها .

(ب) ولما كان المير في اختياره لم يند خانياً حتى على غلامه «وردان»
لما رأيناه يفتح قصيدته بالنبي على غلامه لإدراكه حقيقة خبيثة
نفسه ، والتي لم تعد تخفى على ذي بصر - ولربما كان الغلام على
جانب من الدهاء استشف به ما انتواء حظه ، وواجه به .

(ج) الفتوة العربية ، بما لها من نخوة وضعت عند الشاعر بنهوضه وقام
بحق اللباسة للدنيا لما تعرضت له ولم يقلها ، وكان في ذلك
مدفوعاً بدافع الحرص النفسى على احتفال الفرصة السانحة ، وكان
كفاءها في الوقوف حوث قائلها يتعرض لها لما تعرضت له ، ولديه
من السكفاءة والشخصية والرونة ما يميته على حسن التعامل مع
الدنيا التي وافتة معترضة طريق حياته .

إنها الفرصة اللواتية ويجب أن يكون صاحبها - إنها الشهرة وذبوع
العيت وعدم خول الذكر بين العرب وهذا طبع أصيل متوارث
بحرصون عليه ، وينضم إلى هذا ما يؤمّه من دفء تقبل عليه هيئة
ليدة وخفية ، وأن يكون على حرف وجانب من الساطة ، و من الفاقة
والمكوز وتلك كانت مبررات انهمازه إلى « معاوية » من بعد أن
لم يرتض لنفسه غير أن يكون بمسمع من الدنيا ، وفي دخی النيش
وقد رأى المعلى لا وزن لهم ، والجوى يشركون الحيوان مطعمه
دون تخرج لقوة التفكر عليهم .

(د) لقد انشطرت نفس الشاعر شطرين - غلب على أحدهما المقة وطن
الأخر الحرص ، وقد غلب الحرص المقة نتيجة لاصطراهما بما رأى
من الإنسان الآكل فرحاً للعين جوعاً !!

(٥) اختار الشاعر أن يَحُب في الدنيا وهو مدرك تماما لحقيقة الخطر
الكامن في هذا الاتجاه ويبدو أنه كفء لما يَطْلُوى عليه بما توافر
لديه من ضروب الإمكانيات واللزونة أواناً ، فالدفع في طريقه
لا يلوى على شيء — معها للعيش بحيث يكون موضع الأهمية
والشرف في الحياة ، وما عاد في اختياره هذا خفاء أو لبث
على أحد .

حوار الدماء

للوقت السياسي : وهكذا — وفد « عمرو » على « معاوية » إثر
استدعائه منه ، والحال أنه قد عرف عِظَم حاجة « معاوية » إليه في
التدبير لأمر نزاعه مع « علي » .

وفد اتقوى « عمرو » في نفس الوقت أن يكون صاحب النصيب
معه فيما يصيبه من دنيا وفاء بحق للشورة المرموقة من بعد أن استقصى
الأمر تدبيراً على « معاوية » وحده وأشير عليه فضلاً بالاشتراك « عمرو »
في التدبير معه على أن يكون له وضعه .

وهكذا — قَدِم « عمرو » على « معاوية » وهو أعلم بمقدار أهميته
في هذه اللحظة عنده وما أن اجتمعا حتى بدأ الحوار بينهما طبقاً لأسلوب
الدماء بين داهيتين لم يعرف العرب لهما مثيلاً — حوار يدور حول الموضوع
ولم يس صلبه بعد !

ف « معاوية » لا يريد أن يكشف له « عمرو » كل أوراقه ،
ولا يطلعه على ما في دخيلته مما يهره في أعماقه تمرّزاً منه .

و « عمرو » أدرك حاجة « معاوية » التقصوى إليه فأخذ بها هذه من خفيه وأخذاً يتصاوران بأسلوب يتداهى فيه كل منهما على الآخر ، ويسكايد كل منهما لصاحبه - بادئاً بالحوار « معاوية » .
معاوية : يا « أبا عبد الله » كثر قتنا في ليلتنا هذه ثلاثة أخبار ليس منها وِزْدٌ ولا حَكْرٌ .

عمرو : وما ذاك ؟
معاوية : ذاك أن « محمد بن حنيفة » قد كسر سجن (مصر) فخرج هو وأصحابه ، وهو من أفات هذا القرن .
 ومنها : أن « قيسر » زحف بجحالة الروم إلى لينتلب على (الشام) .
 ومنها : أن « عليا » نزل (السكوفة) متحيتاً لسمه إلينا .
عمرو : ليس كل ما ذكرت عظيماً .

أما « ابن جذيفة » فما يتماثلك من رجل خرج في أشباهه أن تيمت إليه خيلاً تقفه أو تأتيك به وإن فاكك لا يضرُك .
 وأما « قيسر » فأهله من وصفاء الروم ووصائفها ، وآتية الذهب والفضة ، وسنة الموادة فإنه إليها سريع .
 وأما « علي » فلا والله يا « معاوية » ما نسوى العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء ، وإن له في الحرب لحظاً ما هو لأحد من قریش ، وإنه اصحاب ما هو فيه إلا أن تغلظه .

ويلحظ في هذا التطلع من الحوار أن أسلوب الدماء قد حكم المحاوروة بين الداهيتين .

ويعتدنا إدراك ذلك من طريقة المرض التي سلكها « معاوية » في طرحه للموضوعات التي من أجلها استقدم « عمرو » فقد بدأها بأمر « حذيفة » ثم بأمر « قيسر » وكلا الأمرين لا يمثل بيت التصيد ، ولا صلب الموضوع .

وتقدمهما في المرض بحارة قصيد بها القوة على « عمرو » لإخفاء الغرض الحقيقي الذي من أجله استدعى على عجل ، ثم أتى بالأمر الثالث وهو الأخطر ملفوفاً بالمطف على الآخرين ، ودون تقديم له عليها لعل « عمرو » لا يقطن إلى أهميته ، فيبدي رأيه فيه دون أن يستغل حرج موقف « معاوية » وتخوفه منه . وهذا أسلوب لا يجيده إلا الدهماء .

ولكن - هل غلب هذا « عمرو » وغلب دهاءه ؟

والواقع أن الجواب الحواري من « عمرو » على المشاكل الثلاثة التي طرحها عليه « معاوية » يتم عن طول باع لم يظله على دهائه - حيث نراه قد طرح عليه حلولاً في غاية السهولة والبساطة فيما يتعلق بأمر « حذيفة » و « قيسر » يتخلص بها منهما .

وعندما يمرض لأمر « علي » نراه يجيب « معاوية » بصراحة مؤداهاً أنه : لاحق له في الغلظة إلا أن يقلب عليها « عليا » ظمًا - وذلك للاحتياطات التالية :

(أ) العرب لا تسوى إطلاقاً بين « علي » و « معاوية » في أي شيء - وهذا اعتبار عام يُسقط حق الفضول « معاوية » في أن يلي أمر أمة العرب في حال وجود من هو أفضل منه باتفاق عام - وهو « علي » -

(ب) «عل» موفق في الحرب توفيقاً لم يفتح لأحد من قريش . وهذا الاعتبار عام يستطع حق للفضول « معاوية » في أن يلى أمر أمة العرب في حال وجود من هو أفضل منه باتفاق عام - وهو «عل» .

(ب) «عل» موفق في الحرب توفيقاً لم يفتح لأحد من قريش وهذا الاعتبار حربى يقطع كل أمل لـ «معاوية» في التفكير في أن يحاول الغلبة من طريق الحرب .

(ج) «عل» هو صاحب الحق في الغلبة الموقوت لأمرها فضلاً - وقد طرح هذا في أسلوب بالغ التأكيد (لأنه لصاحب ما هو فيه) .

(د) إن يكون « معاوية » صاحب حق في الغلبة إلا من طريق الظالم لـ «عل» .

والجواب هذا : فيه التعرُّيد لـ « معاوية » من الصلاحيات التي تؤمنه الغلبة ، على الأمة في الوقت الذي يوجد فيه «عل» باتفاق العرب . وتسمه الغلبة فعلاً كحق ثبت له لا يسوغ أخذه منه إلا بطريق غير مشروع هو (الظالم) .

والجواب يكشف عن منتهى الدناء من « عمرو » الأمر إلى دفعه إلى أن يلقى بكل ثقته على النزاع بين «عل» و « معاوية » ويظهره في صورة العقدة المستعصية التي لا يستطيع لها « معاوية » خلاصاً إلا من طريق التفكير في سبل التطبيق للاستثناء الأخير في جواب « عمرو » :

(إلا أن نظلمه) .

وهو استثناء يقوم مقام الظلم لـ « معاوية » قد يدفعه إلى أن يحاول

أن يستعين من « عمرو » خفايا المستثنى إذا ما خغار ذلك الطريق «
ويكشف حقيقة مساك « معاوية » أمام « عمرو » على الأقل إذا ما صح
منه التعلق بالخلافة .

وهذا يفتح أمام « عمرو » باب المساومة لـ « معاوية » إذا ما طُلب
منه العون في بلوغ الخلافة من بعد أن يكون قد وضح أنها لن تنال
إلا ظلماً - أما الحق فهو طبع بسلامتها لـ « علي » .

وبهذا يكون قد قضى على كل أمل لـ « معاوية » فيما يطمح إليه «
ولم يُبقَ له إلا شاماً ضئيلاً يفتق عور الاستثناء غير المشروع (الظلم) .
وهنا - لا يجد « معاوية » مفرّاً من أن يقع مما يخفى في صورته
مخاوف من « علي » فيقول :

معاوية : يا (أبا عبد الله) إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي
عصى ربه ، وقفل الخليفة ، وأظهر الفتنة ، وفرق الجماعة «
وقطع الرحم .

عمرو : إلى من ؟ .

معاوية : إلى جهاد « علي » .

عمرو : والله يا « معاوية » ما أنت و « علي » بِسَكْمِيْ بَير (١) مالك
هجرته ولا سايقته ، ولا صحبته ولا جهاده ولا نفقه وهما .

(١) لستنا متساويان .

والله إن له مع ذلك حداً وجداً^(١) ، وحظاً وحظوة ، وبلاء من الله
حسناً ، فما تجمل لي إن شأبتك على حربيه - وأنت تعلم ما فيه من
الفرور والظلم ؟ .

معاوية : حُكْمَكَ .

عمرو : (مصر) حُتْمَةُ !!

معاوية : (بمدسكنة مقصودة) يا (أبا عبد الله) إني أكره أن يصعدت
الحرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لفرض الدنيا .
عمرو : دعني عنك .

معاوية : إني لو شئت أن أُميتك وأخضعك لفعلت .

عمرو : لا - لعمر الله - ما من لي يُخضع - لآنا أكيس من ذلك

معاوية : أذن مني برأسك أسارك .

ويهدنو منه « عمرو » لئساره فإذا به « معاوية » يعض أذنه
ويقول هذه خدمة^(٢) .

التعليق :

في هذا القطع من حوار التدهاي بين الداهيتين - نلاحظ «معاوية»
يتصامل على الإمام ، ويصميه بهم لم يقم عليها دليل بنية التأثير على
« عمرو » على يستميله إلى جانبه ، ويجنده لقتال الخليفة القائم بالأمر .
« على » - فالصبيان لله ، والقتل لـ « عثمان » وإشمال نار الفتنة ، والتفريق

(١) معناه ومشاطله .

(٢) معاينة من « معاوية » لـ « عمرو » لإقناعه أن بإمكانه أن يخدعه .

لأمر الجماعة ، والتفطيم للأرحام - كُلُّهَا تَهْمٌ يَكِيلُهَا الْوَالِي جُزْأً ،
وسدّها إلى انطليقة الإمام لتكون سبها ما قدح في صعه توليه للخلافة
الأمر للطمع من (معاوية) !!!
وقد نوع التهم ما بين عصيان إلى قتل إلى إشمال للبار إلى التفريق
ثم إلى القطع لأواصر القرايات !!!

وأتى بها مرتبة طهنا للامارة المتعلقة بها - ففي حق الله (عصيان)
وفي حق انطليقة « عثمان » قتل ، وفي حق المجتمع ؛ إشمال لبار النفقة فيه ،
وتفريق لما يجمع من أمره ، وفي حق الأقارب تقطيع لما أمر الله به
أن يوصل - وكلها تهم دينية مباشرة أو دينية لإجماعية في آن
واحد .

والتنوع والترتيب للهم بهذه الطريقة التي مرّخت بها على « عمرو » -
قصد بها الإحاء لنفسيته - عليها تستند فخرة على الدين وجماعة الأمة
المهددة فيستميله ويكسبه إلى جانبه .

وهكذا - ترتفع حرارة الحوار والساومة ، ويغلط فيها (معاوية)
الجِدُّ بالمابنة تميمًا للموقف في نظر « عمرو » وتليينًا له لمصرفه من جدّه
في أن (مصر طامة) ولينتفع منه بمشورته الناجمة دون أن يذله شيئًا
إن أمكن ، أو يذله عرضاً دون أن يكون ولاية ، أو ولاية أخرى
ليست هي مصر . كساومات يمكن أن يلجأ إليها « معاوية » .

الصفقة السياسية

للوقوف السياسي: وإلى هنا تكون الأمور قد انضمت تماماً في فكر
(عمرو) فيلتقي بمجده كله قائلاً:

عمرو: هل ترى في بينك أحد غيبي وغيرك؟

أى نحن على خفوة، والأمر بيننا في غاية السرية - بحيث لا يدرى
أحد عنه شيئاً، والخوار قد بلغ غايته بيننا، وأنت مازلت فيه تمايت،
وأنا جادٌ، ولى اشتراطاتى الخاصة التى تمثل الحد الأدنى الذى أقبل به
لأشركك تدبير الأمور فى الأزمة التى تحيق بك، ويظهر أن نعم الأمور
بيننا، وننتقل من أسلوب التذامى إلى الإيضاح

ولذلك شروطى التى أترضيتها لإبرام الصفقة - وأنشد قائلاً^(١):
(مماوى) لا أعطيك ديني ولم أنلْ بذلك دنيا، فانظروا كيف تعتم
فإن تمطى (مصرأ) فأصبح بصفتي أخذت بها شيئاً بغيرِ وبفسح
وما الدين والدنيا سواء وإنى لأخذ ما تمطى ورأسى مقسح
واسكنى أغفى الجنون وإنى لأخلق نفساً والخادع يفتح
وأعطيك أمراً فيه لملك قوة وإنى به إن زلت النمل أضرب^(٢)
وعننى (مصرأ) وليست برغبة وإنى هذا المدوع قدما لمولع
البيان الأدبى

القصيدة فى فكرتها الأساسية تعدد الشروط النهائية التى يقبل بها

(١) رقمه صفين ص ٢٩.

(٢) أدل غاية الإذلال وقد وردت (أصرح) فى رواية أخرى

« عمرو » للدخول والإسهام مع « معاوية » في أمر نزاعه مع « علي » :
لا بد من عطاء - يقابله عطاء يُعَدُّه أن يُعطى الولاية على (مصر) وفي
المقابل يبذل لـ « معاوية » خدماته الجليلة الخطيرة - السكانية بتصفوق
النفع له ، وإيقاع الضرر بمن يخافه أو يباديه .

إنها قضية الأخذ والعطاء في عالم إبرام الصفقات السياسية تتم بين
الدهاة في مجال السياسة وبشرطها وصورتها النهائية - فلما أن تُكْمَل
جدة أو تُرفض جلة .

وبقية للقطوعة تدور معانيها حول بيان غلاء الثمن الذي قدمه
« عمرو » ثمن الصفقة ، وقصور وتدنى الصفقة في نظره عن أن تعادل
مع هذا الثمن العالي النفيس شأن المساومة الذين لا يُقبلون :

(أ) فالصفقة (مصر) في مقابل خبرات وإمكانات الداهية .

(ب) قانون تبادل النافع في حرف السياسة يقطع بأن من يقدم شيئاً
لا بد وأن يتقاضى عوضاً عنه - أيما كانت النافع وأيا كان العوض (١)

(ج) في مجال القضية عند تبادل النافع لا يمكن القول بالدهيا
عوضاً عن الدين - وتلك حقيقة - ولكنها أخضعت للمساومة لإتمام
الاتفاق لبيان أن « عمرو » قد ضعى بثمن ياهظ لا تعدله (مصر)
الصفقة لأن المقابل للبدول ضخم ، فالدين لا يسهل التفريط فيه .

(د) (أغضى الجفون) أعلم بمقدار غلاء الثمن الذي دفعته ، وأعلم بمقدار
عدم مصادة العوض لما دفعته - لذلك - أَرْضَى وأُتَمِنُون وأغضى عيني ..

وأعلم أى مغلوب - مخدوع فى هذا الاتفاق وعلى الرغم من ذلك
أرضى يا « معاوية » أن أكون معك المغلوب المتخدوع .
وهذه معان وأسايب لا يحسن جملها إلا سادة الدعاء وأساطين
المساومة للإقناع بإتمام الاتفاقات السياسية التى يظهرون أنهم يقبلونها
على مضض - باعتبار أنهم خلدوا فيها قية وفى غمها قدراً ١١
(٥) أعطيك أمراً فيه للكم قوة

ولأى به إن زلت النعل أصرع^(١)

بهان لنلاء الثمن الباهظ المدفوع غمنا لإبرام الاتفاق ، وتأكيد لحق
إغضاء العين عن باهظ الثمن والتبول بالخداع فى عين الصفقة التى لا تساوى
جمل هذا الثمن ظاهراً ، لأن الثمن الذى أدفعه فى غاية الخطورة ، وعلى قدر
ما فيه من خطورة يمدحك قوة فى ذلك الذى تطمح إليه إليه (أمر)
والتفكير فيه يذهب بالنفس كل مذهب فى القوة للموحد للكم « معاوية »
وأقصى درجات الخطورة لـ (عمرو) إذا ما فشل لأى سبب كان فى
إحكام هذا الأمر وإبرامه ، وإشمار بمدى الجهد المبذول فى الجدل
والتدبير .

ومثل هذا الأسلوب كفيل بإقناع « معاوية » بمقدار وفرة الربح
الذى ناله من « عمرو » وبمقدار الثمن الذى لحق به - « عمرو » فى هذه
الصفقة التى يساومان عليها .

(١) أقتل طبقاً للرواية الأخرى فى الضبط . أصرع ، أضرع

(و) يظهر « عمرو » في البيت الأخير أنه شديد الحرص على أن تكون (مصر) الموصى له مهما كان الثمن الذي دفعه باعظا :

١ - فهو أدري بها لفتحه إياها عام ١٩ هـ في خلافة « مصر »

٢ - وهو الأدري بمقدار عظمتها وجلالها في نفسه .

٣ - وهو الأعم والأدري بما فيها من سمة تجعله يحرص على النقل

لها مهما كان الثمن في ثمنها .

(ز) وقد جاء البيت الأخير مرتبطا بمعنى البيت الأول فالتأكيدهات

القاطمة بشدة تملق « عمرو » بـ (مصر) :

• إلى هذا المتنوع قدما لمولع •

تدمو « معاوية » يستفيق ويدرك ويتدبر معنى الجملة الأخيرة في البيت الأول :

• فانظرون كيف تصنع ؟ •

وبالربط بين مجز التصيدة وسدورها يصبح النسي كما يلي :

أنا مولع وحريص على تولي (مصر) فانظرون ماذا تصنع ؟

ويمكن بلورة السأمة على الصفة في المعاني السائلة وبطريقة أخرى بالآتي :

إما (مصر) وإلا فلا تنظر مني أي عون

مزيد من المساومة

الوقف السياسي : وبهذا وضع لـ « معاوية » تصميم « عمرو » على تقاضى (مصر) عوضا عن المخاطرة التى سيدخل معه فيها فى هذا الأمر !!

ويبدو أن حبل الصبر على المساومة لم ينقطع بـ « معاوية » فإزال يستكثر (مصر) على « عمرو » كمؤس عن إسهامه معه فى أمر النزاع .
فيقول :

معاوية : « أبا عبد الله » ألم تعلم أن (مصرا) مثل (العراق) ؟
عمرو : بلى — ولكنها إنما تكون لى إذا كانت لك ، وإنما تكون لك إذا غلبت « عليا » على العراق .

لقد حاول « معاوية » أن يجعل من العراق صفقة بدلا من مصر ، فاستدرك عليه « عمرو » بأن العراق مملوكة لنفرك ، وإن يمكنك التناقد عليها كصفقة إلا إذا كانت خالصة لك .

والدلائل المستقاة من الميثاق فى المساومة ، والتداعى القائم بين الداهيتين يريد به « معاوية » محاولة اغتداع لـ (عمرو) بتخليته بأمل الولاية للعراق عندما تطيب له . حتى إذا ما كانت له دخل بخصوصها فى مفاوضات سياسية جديدة من بعد أن تكون الظروف قد تغيرت ، وتمت لـ (معاوية) السلطة والتحكم .

وهنا يكون فى موقف أقوى يمكنه من فرض أى مقابل رضى به

« عمرو » والحال أنه قد أصبح في وضع لا يملك فيه حق الاعتراض .
إذا — كان « عمرو » ذكياً فطنا لما يُراد به .

في الوقت الذي قبل فيه بالمائة في التقييم بين العراق ومصر — نراه
يسرع بالاستعداد لحل « معاوية » ألا يحمل مما لا يملك مَوْضِعاً ، أو
حوضاً للمفاوض ، أو صفقة يمكن أن يُبرم بخصوصها أى اتفاق ! (١)
وهكذا — طالت المفاوضات ، ووضع العسر في المساومة السياسية دون
أن يسجل الموقف من اتفاق يُعنى ذلك الاجتماع الخطير بين الدعامتين —
حيث لم يَنْلَب دهاء أحدهما ، مالا آخر من دهاء .

وهذا يظل « معاوية » في موضع الخطر بين إلحاح طر جبرير (٢)
وعلم وضوح عمرو : بقبوله لمروض « معاوية » وكأنما أحس « عتبة »
حفت المساومة وعنف التدهام بين الرجلين ، وعدم إمكان تعليل أحدهما
للآخر بسهولة ويسر في المفاوضات القائمة بينهما .

وهنا يتدخل للمرة الثانية وفي اللحظة المناسبة وكأنه كان يتسمع إلى
ما يجري بين الرجلين فيتوجه بالحدث إلى « معاوية » قائلاً :

عتبة : أما ترضى أن تشتري « عمرو » بـ (مصر)

إن هي صفت لك ؟ فليتك لا تُقَلَّب على (الشام) ١١

معاوية : (موجهاً الحديث إلى عتبة)

يا عتبة ! بت عندنا الآية

(١) فقد بعث أهل العراق بطاعتهم إلى « علي » . (٢) رسول « علي » .

وكأنما قد أحس « معاوية » صواب رأى « عتبة » في الاحتفاظ
 بالحاجة فراجع نفسه سريعاً من بعد أن تبين له أن ما بيده (الشام)
 حُرصة للضياع - مما دعاه إلى عرض البقاء عليه ريثما تنتهى السويحات
 المرجحة القادمة في مفاوضاته القاسية بينه وبين « عمرو » وليدهم رأيه
 برأى انضمت سلامته قبله عنده ، وكأنما « معاوية » في حاجة إلى تأييد
 خسكرى يقويه على مجابهة « عمرو » الطويل الباع . ويقبل « عتبة » مرض
 الميت ، وكأنما أحس هو الآخر مساس حاجة « معاوية » إلى رأيه
 النير عندما تغارم مجربات النقاش بين المتفاوضين المتعدين .

ومن هذا المطلق والإحساس نرى « عتبة » عندما جثَّ الليل تضطرم
 أحاسيسه فينفُس من نفسه بقصيد يضمه خلاصة وجهة نظره في تلك
 المفاوضات المتعمرة فينشد بحيث يسمعه « معاوية » فيقول :^(١)

أبها للسابع سيفاً لم يُهزَّ	إنما ولت على خزٍّ وقزٍّ
أعط (عمرواً) إن (عمرواً) تاركٌ	دينه اليوم لديها لم يُحزَّ
بألك الخيل فخذ من دره	شعبة الأولى ، وأهد ما غرز
واسحب الدبل وبادر فوقها ^(٢)	وانتهزها إن (عمرواً) يُنتهز
أعطه (مصرأ) وزده مثلاً	إنما (مصر) إن هزَّ وهز
واترك الحرص عليها ضلاً	واشَبَّ الفأر القروير يَكز ^(٣)
إن (مصرأ) - (على) أولنا	يُغلب اليوم عليها من هجز

(١) وقعة صفين ص ٣٩

(٢) الطريق الأول

(٣) داه يصيب الجسم برعدة نتيجة لشدّة البرد

البيان الأدبي

الفكرة في القصيدة تدور حول بيان مدى السكسب الذي سيعمره « معاوية » بإبرامه الصفقة السياسية طبقا للشروط التي يشترطها « عمرو » ولما كانت القصيدة في أصلها موجهة في خطابها ومضمونها إلى « معاوية » إذن - هي إقناع له بإتخاذ الصفقة بناء على ما اتضح فيها من وفير الربح السياسي لـ « معاوية » الذي اتضح له أنه معرض لضجاع ما في يده أيضا . فلماذا لا يسرع بإعطاء « عمرو » ما يريد (مصر) ويضمن لنفسه التثبيت على (الشام) على أقل تقدير مع انفساح الأمل في الطموح للمقد . ليستغرق سائر بقاع الدولة العربية باغلافة ؟ !

لذا - يرى الشاعر « حبة » بلع على « معاوية » بالمسارعة في إعطاء « عمرو » ما يريد دون أي تأخير للاعتبارات التالية :

(أ) إن « عمرو » بإبرامه الصفقة يكون قد زایل ما يعتقد أنه حق في مقابل هناك إله بدنيا لم تحرزها بمد

(ب) إن « عمرو » مقروم به (مصر) فاعتبل الفرصة ولا تفلتها ، وأعطها له ، فلن يجديك شيء أن تكون لك (مصر) ثم ينهلك « على » فتخرج من (مصر) وغيرها .

(ج) (أعطه) و (زده) و (اترك الحرص) أعمال طلبية تقوى معنى ضرورة إنالة « عمرو » ما يريد (مصر) والزيادة عليها بثلمها ، إن أمكن - (مصر) لا تقوم بما تريجه ، فالصفقة ونيرة الربح والمطام لك فأبرمها ولا ترضَ بمصر .

وقد أظهرت الأيام صواب الرأي الاستشاري الذي أهداه «عقبة»
 فقد كان له من الحس الشعوري ما مكّنه من البصر المتمدّد عبر ترقعات
 أحداث المستقبل ، وكان له من قوة الإقناع والحصافة ما جعل «مماوية»
 يستجيب لأبيه ويؤمّر الأمر وفق ما اشترطه «عمر»
 (د) «عمر» سيف لم يهز يمدد يمكن استدوار حلبة المواقف ،
 والصبر على ما لديه من درء يمكن الوصول إليه آجلاً - فمهماً انتهز ما واثق
 والنظر الباقى بأثباتك في حينه وهذه هجوى إلى أهوال ما سفتح مادام
 قد واثق .

(هـ) إنا (مصر) لن عز وبز

يغلب اليوم عليها من عجز

قضية سياسية أثارها «عقبة» في مناسبة تتعلق بتحديد المستقبل
 السياسي لمصر في تلك الآونة المضطربة من تاريخ الأمة الإسلامية ،
 فقد جمها خاصة على سبيل القصر بمن عز وغلب ، بالتالي استشفافاً من
 روح القصر في (إنا) هي منزوعة من عجز عن الحفاظ عليها .
 وإذا كان الشاعر قد أظهر (مصر) أنها ملك لمن غلب في فترة
 استعصم فيها النزاع بين الظليفة والوالى فإنه لا يعنى بالطبع استقامة
 أهل (مصر) لحاكم غلب غيره عليها .

إنه انفعال شعوري كشف عن وجهة نظر سياسية فيما يتعلق بحكم
 (مصر) في فترة معينة .

والانفعال الشعوري لا يمثل حُكماً مائلاً يمكن أن ينسحب على تاريخ

أمة عبر امتداد وجودها للتطاول ، وخاصة أن نظام الحكم في تلك الفترة قائم على البيعة العامة المباشرة فقط .

ويمكن أن يلحق هذا الأفعال بقوله للمبني عن (مصر) أيضاً -
يمبرنيها من وجهة نظره في ممارسات الحكم القائم وقته ، وقد حذره بقوله :

لقد قامت نواطير (مصر) عن ثعالبها

وقد بشين وما تقي المناقيد

وعلى الرغم من أن لكل زمن مثالبه المتناهية لفرض للاختلاس والاختلاس ، ولكل زمن أيضاً حراسه الثائرون بكماً أو إجمالاً -
غير أن مثل هذا حكم وقتي ليس له من روح الاستدامة إلا قدر
الفترة الزمنية التي يستغرقها دوران الشهور !!!

إبرام الاتفاق

وتنقل قصيدة « عتبة » فطما في نفس « معاوية » وتحدث تأثيرها للرجاء ببلوغها قمة الإقناع - فما يكون من « معاوية » إلا أن يبعث إلى « عمرو » ويحبيه إلى ما يريد من ولاية (مصر) ويكتفي بذلك وثيقة اتفاق يثبتان فيها أسس ذلك الاتفاق الذي تم بينهما ، وقد أسمى « معاوية » الاتفاقية بجملة : « على أن لا ينتقض شرط طاعة » ، دواءه ، وبراعة سياسية في إثبات تلك الجملة .

وذلك - ليتيح لنفسه طبقاً لمفهومها أن يحرم « عمرو » في المستقبل من الولاية على (مصر) من بعد أن يكون قد أقره في نص

الاتفاق بأن يطعمه طاعة مطلقة غير مشروطة بأي شيء عند تفسير الاتفاقية وقت التنفيذ ليهودها إذا ماتم الأمره .

ويدرك « عمرو » ما يراد به بسبب تلك الجملة ، من أنها تنطوي على تبييت ضده يحمل معنى الحرمان له من المقابل المتفق عليه (ولاية مصر) لإلزامه الطاعة غير للشروطة ، وموجب الإطاعة للطاعة يوجب الإلناء لأي شرط يستعرض طريقها ١١

وما يكون من « عمرو » إلا أن يثبت هو الآخر جملة بوحى مضمونها بإقرار « مماوية » بأن طاعة « عمرو » له لا تنقض ما اشترطه عليه من ولايته على مصر ^(١) (على ألا تنقض طاعة سكرط) .

إنه التدهاى فى الغفادى ، والبراعة الفكرية العربية فى فهم دقائق الأسلوب ، والتدرة الفائقة على صوغ الأساليب ذات الدلالات الخفية والحققة والرد عليها بصياغة أخرى تلقى أثرها ، والحفكة السياسية فى طريقة إبرام الاتفاقيات والمعاهدات بحيث يلبس الحرف فى الكلمة ، أو أداة التعريف بزيادة أو بنقص وكذا بتقديم أو تأخير لفظ دوراً خطيراً فى إقرار السلم أو إشعال نار الحرب نتيجة للتفسير الذى يمكن أن يتناوله صوغ الأسلوب بطريقة مموهة ^(٢) .

(١) انظر شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٨

(٢) مثال هذا قرار مجلس الأمن فى مشكلة الشرق الأوسط : الجلاء عن أرض بالتسكير وقد اعتبرت إسرائيل أن لفظ أرض المنسكرة لا يلزمها الجلاء عن كل الأرض العربية المحتلة .

وفي جملة كل من « معاوية » و « عمرو » :

على ألا ينقض شرط طاعة « معاوية »

على ألا تنقض طاعة شرطاً « عمرو »

استخدم أسلوب التقديم والتأخير لفظ واحد في كل من الجملتين.
بذلك وبإزالة من المتفاوضين ليجعل كل منهما الأمر في صالحه بناء على
الدلالة للسفاد من أسلوب الصوغ .

فتقديم لفظ (شرط) على (طاعة) يخدم « معاوية »

وتقديم لفظ (طاعة) على (شرط) يخدم « عمرو »

وإذا كان قد أثبت « معاوية » جلته للصاغة على طريقته الخاصة
ليكون التفسير في صالحه مستقبلاً ؛ فقد قاله « عمرو » برؤية تكافئ قطع
الطريق على ما انتواه « معاوية » بجماهه حيث يثبت له طاعة لا تندرج
في الإقرار بصحة شرطه للشروط (ولاية مصر) .

هذا — واللغة المطواعة في تركيبها الأسلوبى أتاحت لكل منهما
الفرصة ليتلاعب بالألفاظ ما بين تقديم وتأخير بطريقة تكفل لكل
تحقيق مآربه .

اللوم له « عمرو » .

الوقف السياسى : ويخرج « عمرو » من عند « معاوية » بعد
إبرام الاتفاق مسروراً وهو يحمل صورة الاتفاق للبرم ، ويذهب إلى
حيث يقول ، وهناك يلتقى بأبن عمه ^(١) كان ضمن الوفد للرافقة ويلحظ
(١) من (بن سهم) وكان داعية أرياء هو الآخر .

البشر على وجه «عبرو» فيدرك أن الاتفاق قد تم طبقاً لما بينه، فيتوجه
إليه يسؤال اللام للعجب قائلاً: ابن المم : ألا تخبرني يا «عبرو»
جأى رأى تعيش في قریش ؟

أعطيت دينك، ومُنيتَ دنيا غيرك ۱۱

أترى أهل (مصر) وم قتل « عثان » يدفعونها إلى « معاوية »
و. « على » حى ؟

وتراها إن صارت إلى « معاوية » لا يأخذها بالحرف الذى قدمه
فى السكاب ؟

ويقدم بذلك التقدير لحرف الجر (على) المستخدم فى عبارة «معاوية»
الشهيرة السابقة : على ألا ينقض شرط طاعة .

والواقع أن (ابن المم) هذا قد أخرج «عبروا» غاية الإحراج
و أدخله فى دائرة اللوم والفتريخ .

(أ) فقد لامه على خسارته (دينه) فى سبيل التعلق بأمنية لم يعطها،
واستملوكة لمن وعده بها حتى يضمن الوفاء بالموضع عند تحقق الوعد.
ولهذا - لم تمد له مقدرة . على مواجهة قرشى بعد ضياعه المزرى الذى
ارتكبه ۱۱ .

(ب) ويزيد (ابن المم) الضغط على «عبرو» ويثبت فى عضده
أكثر - إيماناً منه فى اطلاعه على مدى الخسارة التى لحقت به -
حيث أنهم أن الأمور لو صدقت فى حديثها وتولى الأمر « معاوية »
فقد استولب منه ما كان قد وعده به بسبب حرف الجر (على)

للإلتصاف به تتدبى في التعبير فأضاع عليه (مصر) الطعمة .
وبهذا يكون قد أظهره بأنه قد خسر كلا من الدين والدنيا —
وعلى هذا استحق اللامة ! !

إنه أسلوب التقريع والوم الذي يدعو إلى مراجعة النفس لتتدارك
أثر عاصبة دقيقة مسببات اللامة فتتلافها قبل فوات الأوان ، ومُحِلَّة
عملها الإقناع بما يصرف النظر عن موجبات الوم .
ولم يملك « عمرو » أمام هذه المجابهة الصريحة بالوم سوى أن
يحيب (ابن عمه) بقوله :

عمرو : إن الأمر لله دون « على » و « معاوية »

وهنا يدرك (ابن العم) أن أسلوب اللامة لم يحدث أثره
في الإقناع لـ « عمرو » بالتراجع عن الاتفاق الذي يمتد أن
« معاوية » قد خدعه فيه ، والذي لم يتقاض فيه موصاف الوقت
الذي نال فيه « معاوية » منه كل شيء .

وكأنما قد مزَّك على (ابن العم) أن يرى « عمروا » هو المخدوع
الغاسر في هذا الموقف ؛ فهاهنا جئت أحاسيه ، واندفع بكل ما فيه من
غيرة وحاس يشد ناعياً على « عمرو » خديته وسوء تصرفه وهو المعروف
بأنه الداهية الأريب — فقال :^(١)

أَلَا يَاهِشْدُ أُخْتُ بَنِي زِيَادٍ دَعَى « عمرو » بداهية البلاد

وي « عمرو » بأحور مَبْشَى (١) بعيد التَّعَرُّ غَشَى السَّكَاةِ
 له خَدَعٌ بِحَارُ المَقْلُ فيها مَزْخَرَةٌ مَوَائِدُ لِقَوَادِ
 فَشَرَطَ فِي السَّكَاةِ عَلَيْهِ حَرْفًا يناديه بِمَدْمَعَةٍ لِلْعَادِي
 وَأَتَيْتَ مِثْلَهُ « عمرو » عليه كِلَا الرَّأْيَيْنِ حِمَاً يَطْرُقُ وَادِ
 أَلَا يَا عَمْرُو مَا أَحْرَزْتَ مِصْرًا وَمَا مِلْتَ الغَدَاةَ إِلَى الرِّشَادِ
 وَبَيْتَ الدِّينِ بِالْهَوَا خَسَارًا فَأَمَتَ بِذَلِكَ مِنْ شَرِّ الْعِبَادِ
 فَلَوْ كُنْتَ الغَدَاةَ أَخَذْتَ (مِصْرًا) وَلَكِنْ دُونَهَا خَرَطْتَ التَّقَادِرَ
 وَنَدَّتْ إِلَى وَمَعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ فَكُنْتَ بِهَا كَوَافِدُ قَوْمٍ عَادِ
 وَأَعْطَيْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَ مِنْهُ بِطَرَسٍ فِيهِ نَضِيجٌ مِنْ مِدَادِ
 أَلَمْ تَعْرِفْ أَيْهَا حَسَنُ (٢) عَلِيًّا (٣) وَمَا نَالَتْ بِدَاهٍ مِنَ الْأَعَادِي؟
 عَدَلَتْ بِهِ « معاوية » بْنُ حَرْبٍ فَيَا هُمْدُ الْبَيَاضِ مِنَ السَّوَادِ
 وَيَا هُمْدُ الْأَصَابِعِ مِنَ السَّهْلِ وَيَا هُمْدُ الصَّلَاحِ مِنَ الْفَسَادِ
 أَنَا مَنْ أَنْ تَرَاهُ عَلَى خَدَبٍ (٤) يَحْتَاطِلُ بِالْأَسْلِ الْخَدَادِ
 ينادي بِالنِّزَالِ وَأَنْتَ مِنْهُ بِمِيدٍ فَانْظُرْ مَنْ ذَا تُمَادِي؟

البيان الأدبي

القصيدة : تقيم كامل لتناجح لقاء الغداهي وللفاوضات التي تمت بين
 كل من « معاوية » و « عمرو » وتذكير لـ « عمرو » بمقدار انحطوره
 الحربية التي لـ « علي » في مقام المقارنة بينه وبين « معاوية » .

ومشاعر الشاعر (ابن عم « عمرو ») قد عبرت بوضوح ظاهر عما يلي :

١ - وقوع « عمرو » فريسة لـ « معاوية » أدهى العرب (فأك عبده شمس) لم خطرهم الذي لا يتكر بين العرب ، و « معاوية » من بينهم قد تجتمع فيه كل الخطر لأمور
(أ) مكره ودعاؤه الهذيان لا يدرك لهما بهد ونهاية .

(ب) مكايده التي لا يؤمن جانبها - لأنها عين الشر .

(ج) خدعه التي تحار العقول في إدراكها ، والتي هي في نفس الوقت شرك أسيرة قاتلة على الرغم من بدوها في ظاهرها مغرية بالغفر للهيبند .

٢ - إثبات العكافؤ بين الداهيتين - وإن كان قد مال إلى تقرير أن « معاوية » هو الأدهى بما نسبته إليه من أنه (داهية البلاد)^(١) من بعد أن أعطى كلا منهما حقه في الداهاء بما أضفاه عليهما من أن كليهما (حية بطن واد) .

٣ - تبرير الشاعر لحكمه بتولية « معاوية » لـ « عمر » دهاه بأن « عمروا » لم يستطع أن ينال رغبته منه (مصر) بالحرف الذي شرطه عليه في الاتفاقية^(٢) .

٤ - يبين الشاعر أن « عمروا » كان الخاسر في تلك الاتفاقية لأنه قد باع الحق المقعد وبناء بدنيا لم ينل منها شيئا في المقابل - وقد أصبح

(١) راجع لص القصيدة

(٢) بنعه على ألا ينقض شرط طاعة

بهذا (من شر المباد) لفضيحه أهم ما يحرص الإنسان عليه وهذا يكون قد أخرج نفسه من عداد خيار الناس، ووضعها بين شرارهم .
 ٥ - عرض الشاعر قضية أهمية (معر) في كيان الدولة العربية الإسلامية - فذكر أن الولاية عليها ليست أمراً هيناً أو ميسوراً وإنما دون التولى عليها قطع الرقاب .
 هذا - و « معاوية » ليس بالرجل الغامل الذي لا يدرك تلك الأهمية فيسلمها إليه بسهولة ويسر .

٦ - دَلَّ الشاعر على أن « عمرو » قد خرج من الاتفاقية خاوي الوفاض - فهو :

(أ) (كروا قد قوم عاد) الذي لم يخرج من قومه بطائل .
 (ب) والموض الوحيد الذي حصل عليه لا يبدو أن يكون وريثة محبرة لا وزن لها ولا قيمة في عالم اللهادلات والأخذ والمطاء عند إبرام الصفقات السياسية .

قد خرج صِفَرُ اليدين من بعد أن أعطى كل شيء .
 ٧ - يستنكر الشاعر على « عمرو » إجماله بتدبير الخطورة الحربية التي يميز بها « على » من بعد أن انزلن إلى هوة التدبير لهذا الاتفاق الذي دعا جرّاً إلى حرب وتقال - فلفت نظره بسكينة إلى تلك الخطورة التي يمرض نفسه لها بطرحه للتاريخ الحربي الذي يشهد له « على » بانتصاراته على من يماديه .

٨ - وفي استفهام إنكاري يبين الشاعر له « عمرو » خطأه في الموازنة والتقييم بين كل من « على » و « معاوية »

فن بعد أن يظهر له الفرق الشاسع بينهما ، والتباعد المتخالف إلى حد التضاد نراه يدمى عليه انعدام توفيقه ، وسوء اختياره بميله إلى « معاوية » وإماله صاحب الحق البين والكفاءة الحربية المفازة « على »
٩ — يلتفت الشاعر نظر « عمرو » إلى أن « حليا » ينبغي أن يحسب لعداوته كل حساب .

فالأمر الناصح للرد في قوله : فانظرن من ذا تعادى ؟
يحمل الدعوة إلى التدقيق وإعادة النظر لتصحيح الموقف حيث إن المخاطرة بالعداء لـ « على » أمر غير مأمون الجانب .
ويبدو أن الإحساس للرهف لدى الشاعر قد منعه رؤيا بمعدة جملته يدرك أن الأحداث بين التنازعين لن تحسم إلا بالقتال .
وما دام أمر القتال وادأ فن الأوفى بمن يزج بنفسه في هذا التدبير أن ينحاز إلى صاحب الحق للوفى حرييا والذى تاهته الغالبية وهو « على » .

أما « معاوية » فليس له من أسباب القوة خير العداء ومساندة أهل الشام قط — من أجل هذا كان الحكم الصادر من الشاعر على « عمرو » بسوء الاختيار لركونه إلى الجانب الأضعف في كل شيء .
يمكن أن يؤخذ في الاعتبار عند التقويم للأهميات عند التخطيط للزاعات التي ربما تبهر إلى الحروب .

والفكر الخالص للشاعر بناء على التقويم الدقيق الواقعي لحقائق الأمور والأحداث قد مال به إلى الاعتقاد بأن الاحتياط والسكر

والسكيد والهداء مهما بلغت قواها أمور لن يتأتى لها أن تغلب الحق.
الصراح والشجاعة الواضحة ، والفكر الحرى النير الذى أثبت كفاة.
وعاماله الفارخ .

ولكن النتائج التى أعقبت الأحداث فيما بعد برهنت على أن الهداء
بمفرده كفىل بالتغلب على كل شجاعة وبراعة حربية — طبقا لاعتبارات
خاصة ، ولظروف حربية معينة لا يست ذلك النزاع وصاحبه !!

١٠ — يحدد الشاعر على وجه الدقة مقدار التفاوت فى المترقة . بين
الشخصيتين للمادل بينهما « على » و « معاوية » قراء بسد الطرح.
لاسيما فى أسلوب يستنكر فيه إجراء عملية التبادل بينهما بساء على
للعرفة الحققة من « عمرو » لـ « على » التى تقطع بمتفرقة إلى الحد الذى
لا يبنى معه أن يماكل بأحد .

فـ « على » هو الزمة التى لا تنال — فهو (سهيل) الضارب غلوا
فى السماء — فتفرد بالسور وحده .

وعند إمكان معادلته بغيره رى « عليا » على الصورة التالية طبقاً
لمرض الشاعر :

(أ) هو الضياء الخالص الذى لا تشوبه ظلة تحد من نصوص بهمه .
ولم يبق لمادله إلا كل حُلوة واسوداد .

(ب) وهو من الصلاح الصالح الذى لم تعاطله شائبة تقدح فى خلوص .
صلاحه — ولمادله كل الفساد الذى لم تتخلله بارقة صلاح !!

ويلحظ أن الشاعر عند عرضه الاستنكارى للتبادل فى القصر
الأخلاقى بين الشخصيتين نراه لم يقرن كلا بمخلقه للمادل من علوتدن .

وصلاح ونساده، وصراحة ولولبية - التزاما منه بسلوك أسلوب الحقيقة المذهب.
الأمر المطلق المهود عن العربي في التعبير - حيث قد آثم الإغلاء
والتسفيه للمادّل بينهما دون تمييز بالسفل اعتمادا على ذكاء السامع
في بسر التوصل للإدراك لحقيقة الشخص للعق بتصبيه من المادة -
كما أن الشاعر التصدى للنصح قد بلغ غرضه بأسلوب راقٍ لم يتم فيه
الكشف للقصص أو التجريح للردول للشخص للمدول ، ولم يواجه فيه
المخاطب ناعنا إياه بسوء التصرف والاختيار بتسويته خطأ بين طرفي
المادة .

١١ - يكشف الشاعر لـ (عمرو) أن « عليا » ليس بالجهان
الذي يتوانى عن شن الحرب إذا ما انكشفت له أسرار التدبير في ذلك
الاتفاق ، ولا يمكنك أن تأمن جانب خطره إذا ما شئت الحرب
فأنت يا « عمرو » لست من رجال المهين لقاء « علي » فكيف بك
الحال إذا ما احتدمت ، وناداك للزّال ؟

ولن أرتضى لك إحراجا لا تحمله في مثل هذا الموقف - فتدبر
أمرك ، وأعد النظر في حساباتك من جديد لعلك تدرك موطن الخطأ
خفتجانه وتصيح « موقفك » يا ابن العم

إصرار « عمرو »

وما أن يفرغ الشاعر من إنشاده الذي أخبرني فيه التتيم لموقف.
كما تراهي له حتى نراه يدخل في نقاش حوارى يبدأه « عمرو » قائلا :
عمرو: لو كنت مع « علي » وسفى بيتي^(١)، ولكن الآن مع « معاوية »^(٢)
الشاعر (ابن النم) : إنك لم ترد^(٣) « معاوية » لم تردك، ولكنك
تريد دنياه، وهو يريد دينك^(٤) III

ويسمى النقاش بين « عمرو » وابن عمه عند هذا الحد ، ولكن
أثار هذا النقاش الخطير بين أبناء العمومة لم تدور ، فقد تسربت
أبناؤه حتى بلغت مسامع « معاوية » ١ .

ولم يطلق « معاوية » صبرا على محاولة التعريب عليه للاتفاق للبرم
بينه وبين « عمرو » والذي يحرص على إنفاذه فبادر إلى طلب الفتى
السكبي (ابن عم عمرو) وأدرك الفتى عظم الخطر الذي يهدده نتيجة
رأيه الذي أنصح عنه ، ولم يجد من وسيلة يلجأ إليها سوى الحروب من
موطن الخطر !!

ولكن — إلى أين الفرار ؟

أسرار الاتفاق عند « علي »

الموقف السهامي : لم يكن من يدلفي غير أن يلحق به « علي » .

- (١) أى لم يكن لي من مجال للظهور على رأس المجتمع العربي ولا حملني على .
- (٢) أى مع الذي يعطيني قدرى ويسمح لي بأن أحقق ما آملوه وأطلع إليه .
- (٣) أى لقد فرضت نفسك عليه فشرى دينك بدنياه التي تؤملها .

الذى يمثل الطرف الآخر الذى تم تدمير الاتفاق ضده - من بعد أن قام بواجب النصح لـ « عمرو » وكشف له عن ضخامة الخسارة التى لحقت به نتيجة لإبرامه تلك الصفقة ومن بعد أن ترتب على ذلك التهديد لحياته .

وقد كان أن فزع الفتى ولحق به « على » وأطلعه على جلية الاتفاق المبيت ضده ، فسر نتيجة اضطراره على خفى تلك الأمور المبيتة التى كشفتها ملاهيات الأمور دون طلب منه .

ويبدو أن موجة الضرر قد زالت به بعد أن تأمل مخاطرة ذلك الاتفاق واستولى عليه العجب ، وانفاقه الدهشة من أن يبيت مثل هذا الخطر ضده ، ويتم فيه التجاوز للحق والقيم من وإلى تجاه خليفته للبايع له ، ويستعين على تنفيذ ذلك به « عمرو » الداهية - فإكان منه وقد اضطربت مشاعره إلا أن أشد يقول ^(١) :

كذبا على الله يشيب الشعرا	يا حبيبا لقد سمعت ما تكبرا
ما كان يرضى أحمد لو خيرا	يسرق السمع ، وينشى البصر
شأنى الرسول والدن الأخزرا ^(٢)	أن يقرنوا وصية والأبتر ^(٣)
قد باع هذا دينه فأخيرا	كلأما فى جنده قد تكبرا
بذلك (مصر) إن أصاب الظفرا ^(٤)	من ذا بدنيا ييمه قسد خيرا

(١) رقعة صفين ص ٤٣

(٢) هو العاصم بن وائل والدمرو وقد نزلت فيه الآية (إن شانئك هو

الابتر)

(٣) الأخزور - الذى ينظر بمؤخر عينه مكبرا ويعنى به (عمرو)

إني إذا الموت دنا وحضرنا شمرت نوى، ودعوت «قنبرا»^(١)
 فقدم لوانى - لا تؤخر حذرا لن يدفع الجدار ما قد قُدرا
 لما رأيت الموت موتا أحرا هبأت (مدان) وهبوا (جيرا)
 حتى يمان يعظمون انظروا قرن إذا ناطح قرننا كسرا
 قل له «ابن حرب» لا تدب الحرا^(٢)

أردو^(٣) قليلة أئيد منك الفجرا
 لا تهجنى يا «ابن حرب» فمرا^(٤)

وسل بها (بذرا) معنا و (خشيها)
 كانت قريش يوم (بذير) جزرا^(٥)
 إذ ورددوا الأمر فذموا الصدر^(٦)

لو أن هندی يا «ابن حرب» «جفرا»

أو «حزة» القمر الممام الأزهر
 رأت قريش نعيم ليل ظمرا

البيان الأدبي :

الفكر في القصيدة يدور حول محورين -

أحدهما : النسي على «مرو» اتفاقه للمبيت مع «معاوية» .
 وثانيهما : الإنذار والوعيد لـ «معاوية» بالحرب .

- | | |
|---------------|----------------------|
| (١) مولد عن ، | (٢) لا تحاول أن تفعل |
| (٣) تحمل | (٤) غير مجرب للأمور |
| (٥) قتلى | (٦) لم يحموا العاقبة |

وفي نطاق المحور الأول نجد الإمام يلم بالمعاني التالية :

العجب والذهشة لحدوث مثل هذا الأمر المنكر الشيب للنواصي .
 وللتشكي للهمم ، وهذا - ينطوى على التحويل للاتفاق للدبر ، وعدم
 إمكانية التصديق بأن مثل هذا التعيين يمكن أن يحدث - لو أن الخبر
 موضع ثقة .

ومواطن الطمن على الاتفاق المبني تكمن فيما يلي :

١ - عدم رضى « محمد » عليه السلام عن ذلك - على سبيل فرض علمه به .
 ٢ - لا مجال للتقن بين وصي النبي الميراثي في أحضانه وبين الداعية .
 ابن البغض^(١) لشي المدي « معارية » .
 ٣ - الاتفاق صفة خاسرة تم فيها بيع الدين بدنيا موعودة ، والوفاء
 بها موضع شك والإنكار على (عمرو) تورطه إلى هذا الحسد
 الذي تم استردا لا لتصرف ما كان يتوقع صدوره منه .
 وفي نطاق المحور الثاني نجد معاني التهديد والوعيد تدور بهتف
 يتصاعد يبرق بظفر الحرب .

وفي غمرة التهديد نجد الإمام يلم بمعاني الخطورة التي تجعل لوعيده
 وقع الصواعق - خضوعاً لما يلي :

١ - فهو الشجاع الذي يجبه الموت ولا يترهبه .
 ٢ - وهو الذي يصير على الحرب ويقدم عليها دون خوف إذا
 ما أصبحت حتماً .

(١) يعني بالبغض (أبا سفيان)

٣ - وهو الذى يتحدى الأنداد ولا يُلاينهم .

٤ - وهو صاحب البطولات الإسلامية المرموقة التى سُبِّحَتْ فى (بدر) و (خيبر) وبخلفَتْ قزوم قريش قتل .

وصراحة الإمام الناجية من صدقه وشجاعته وثقته بنفسه دفنوه إلى الكشف عن خططه الذى سيسلكه مستقبلاً استعداداً للحرب الثقيلة حيث هين (همدان) الهمانية بأنها ستكون هُدًى وعتاده - وم مام فى الخطورة الحربية السكتيلة بالنصر على كل قِرْنٍ وِلْدٍ . وقد استقل منازعو الإمام تلك الصراحة التى تكشف عن خططه أولاً بأول لصالحهم إلى أبعد حد .

وبتكشف الإمام أيضاً عن نعمة أَسَى تحاطله لفقد « جعفرا » و « حمزة » فى هذه الظروف القاسية التى يمر بها فى نزاعه مع واليه للنشق « معاوية » .

ونعمة الأسى هذه حارّة مانبهة - ونَحْنُ حق الأسى فى جعله أى واحد منهما كفيلاً بإراحته من « معاوية » دون حاجة إلى تدخله هو، وأى واحد منهما مع « على » يجعله أقدر على مجابهة قريش بأسرها - ومن هنا كانت الحُرقة فى نعمة الأسى قوية .

ويبدو هذا فى أسلوب التعنى - (لو)

لو أن عندى يا (ابن حرب) (جعفرا)

أو (حمزة) القرم الممام الأزهر ؟

رأت قريش نعيم ليل ظهرا

(٩ - أدب سياسى)

المصوّر لإجبار قريش على أن ترى ما لم تكن تقوى على رؤيته
ومو «نجوم الليل تظهر» أى فى الوقت الذى يستحيل فيه الرؤية لما مما
يبحث على الفكر بأنه سوف يدفع قريشا إلى إدراك ما لم تكن تدرك
على الرغم منها .

حان موعد التنفيذ

ويبيّن « عمرو » عند معاوية وقد أبرما الصلّة — ويصبح الصباح
فيستأنفان الحوار على وجه جديد
إنه التنفيذ للخطّة طبقا لهندو الاتفاق المبرّم فيما يتعلق بوسائل التنفيذ
لإزاء ما يجب « معاوية » من مصاعب ^(١) ، والحلول التى تتخذ ضدها
مما يقتل القضاء عليها ، وتصفيها لصالح « معاوية » .
وهنا نرى « معاوية » يبدأ الحوار مع « عمرو » قاصداً الاستيقاظ
للنهائى من صمّة الرأى فى صواب الخطّة لحظة البدء فى إنفاذها ^(٢) فيقول :
معاوية : ما ترى ؟
عمرو : أمض الرأى الأول .

وعند ما يطمئن بهذه الإجابة إلى أنه ليست هناك مشورة مهبطول
بها عليه ، أو مذكورة عنه — نراه يسارع بإرسال « مالك بن هبيرة »

-
- (١) المصاعب المثلة فى عهد بن حذيفة الخطر الطليق ، وقصر العدو
المتوكل و « على » التخليّة الآخذ بحقه فى فرض سلطان الخلافة .
(٢) وهذا أشبه بمسلك المسكرين فى إجراء للراجعة النهائية لخطتهم
قبيل البدء بإفناذ عملياتهم العسكرية .

«السكندی» في طلب الخطر الطليق «محمد بن حذيفة» فيدركه فيقتله ،
ويثبت إلى «قوسر» بالمداء فيؤادعه .

ويبدو وكأن «معاوية» قد فرغ من أقل الصواب خطراً فيدخل
على «عمرو» وهو مهتم بالخطر الأعظم وقد فرغ له فيقول :
معاوية : ماترى في «علي» ؟

عمرو : أرى فيه خيراً — أذاك في هذه البهمة خير أهل «المراق» ومن
هند خير الناس في أفض الناس ، وهو لك أهل (الشام) إلى
رؤ هذه البهمة خطر شديد .

ورأس أهل (الشام) «شرحبيل بن السط السكندی» وهو عدو
له «جرير» للرسل إليك فأرسل إليه ، ووكن له ثقاتك فليتشو
في الناس أن «عليها» قتل «عنان» وليكونوا أهل الرضا^(١) عند
«شرحبيل» فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب ،
وإن تعلقت بقلب «شرحبيل» لم تخرج منه بشئ أبداً .

الدهاء السياسي

ويبدو واضحاً من ردود «عمرو» على تساؤلات «معاوية» أنه
تارة يصدرها مقتضبة حاسمة في صورة الأمر القاطع التي يعين إنفاذه
دون أي إبطاء حيث لا يدل سواه ، ونجاح التدبير يعتمد على التجهيل
بالإنجاز — لأنه يحض الرأي دون موازنة

وفي مثل هذا يبدو «عمرو» في صورة المستشار السياسي الداهية
الذي أحكم الأمر بعد أن تم له الاضطلاع على الموقف السياسي في حياته
(١) الموثوق بكلامهم عنده .

الراحة ، وأدرك أهداده ، وزدود الفعل المحفل صدورها عنه أثناء
 للمعالجة له نراه يصدر أمره بإيقاع الضربات القاضية - ككل واحدة
 في حينها ، وبالأسلوب الملائم لتحقيق الغرض المطلوب بها ، فيقول وكله
 ثقة في صواب التدبير : أمض الرأي الأول^(١) .

و « معاوية » في تسأله حريص على النزاع أنجم القداير التي يتطوى
 عليها حق السكر لدى مستشار الهداء « عمرو » وخاصة من بعد أن
 تشارطا وتراضيا واتفقا ؛ فيردد تسأله عليه . عليه يستخرج المكفون مما
 يظن كنهانه منه ويحييه « عمرو » بما يرحى بالثقة التامة في نصح ذلك
 التصرف ، وانعدام البديل له ، وخصوصه من أى بادرة شك تخالط صدقه .
 — مما يدفع « معاوية » إلى سرعة التنفيذ لدلوله ضائنا لحسن سير
 الأمور في التطبيق العملي للخطا - ثقة منه بأنها الوسيلة المثلى
 للكيفية بإحراز الهدف المنشود من ورائها .

ويبدو « معاوية » في صورة الأداة المنفذة بالدقة التامة ، والسرعة
 المناسبة لكل ما يشير به « عمرو » دون أن يحاول أن يدخل على المشورة .
 أى تخویر أو تمديد - ثقة منه بأنه لا تحض وراء تلك المشورة المدفوعة
 الثمن (مصر الطعمة) ١

ولربما كان هناك احتمال الشك في صدق المشورة قبل التراضى
 أما الآن فلم يبق مجال لتوارد أى شك .

(١) فجاء يتعلق بإرسال من يقتل وعهد بن حذيفة ، الخطر الهارب من السجن -
 وما يتعلق بموادعة قيسر ، جهاداته - وقد تم الأمر طبقا لتدبير « عمرو » -

وقد اتضح أن « عمرو » كان صريحاً فيما أبداه لـ « معاوية » من مشورة بادية ذي بده قبل التشارط والراضى ^(١) .

لهذا — نراه هنا لا يحتاج إلى تكرير تفصيلات أوضحها سابقاً ، فاككتنى بقوله الخزم : أمض الرأي الأول خير أنت « معاوية » بعد الاتفاق كان في حاجة إلى ما يؤكد له أنه لم يكن هناك تدبير مخترق عند « عمرو » وربما جلاء الاتفاق ، فكان ترداده لقبوله ما الرأي ؟ للإشهادة — حذراً من أن يقع في خطأ لم يحسب حسابه .

وحرص « معاوية » على انتزاع مكنون التدبير عند « عمرو » بايع من خوفه على ضياع مافي يده إن لم يكن التدبير محكماً ما ضاها — لإحساسه داخلياً في نفسه بأنه الوالى المشقى الذى يهدده اغتلافة المبايع له وقد جاءه بحشود العراق .

ويبقى « عمرو » من وراثفة شائعة في إحكام الهداء السياسى الذى يظهر في نوعية الرد جواباً على ما يجب أن يتخذ من تصرف إزاء « على » على وجه الخصوص .

وهنا تعجل المبتدرة السياسية الفذة وللنقطة النفاذ في جفل التدبير ، وإحكام الخطط ، وتثبيت الأمور .

فقد اتضح أن « عمرو » هو الآخر بالتيارات السارية للبول التى تموج بها الأقاليم التى ضمنها الأمة الإسلامية ما بين (عراق وشام) في تلك الآونة ، وأنه الأكثر إدراكاً لما يعقل في فكر أهلها وأنه

(١) واجمع ما دار في اللقاء الأول بين « عمرو » و « معاوية »

الأخير بأقدار الرجال وإمكاناتهم والأدوار التي تناسبهم ، ويمكن نجاحهم فيها ، والسكينة التي يمكن بها جذبهم للقيام بهذه الأدوار وقد دفعت حكمته السياسية إلى أن يستغل خبراته هذه في محاولة أن يملأ على أهل تلك الأقاليم سلوكاً سياسياً مهنياً يضمن له توجيهها وتأييدها وفق اتجاه معين حدده لما عن طريق التأثير السياسي في فكرها ؛ فنقدفع من عند نفسها في الاتجاه للرسوم بحيث تبدو وكأنها المختارة لسيدها دون دفع مدبر ، ويبدو اتجاهها وكأنه وغيتها المنقضة وهو في حقيقة الأمر ليس غير هدف لها نفسها — والجاهل ليسوا غير غلب القط في عملية التنفيذ — وللتفجع سوام من أهل التدبير والسوق لهم .

وأمام أخطر أمر يتهدد « معاوية » نجد جواب « عمرو » يرد أيضاً كجمل الخطأ التي ارتآها مركزاً في ردوس موضوعات حدودها كما يلي :

(أ) فيما يتعلق بوفد المراق وما ينبغي أن يُسكك إزاؤه وهو الطالب لأهل الشام واليهيم بالبيعة لـ « علي » .

(ب) وفيما يتعلق بأهل الشام وكيف يمكن أن يُأسوا لصالح « معاوية » في هذا الموقف ؛ فلربما كان فيهم من يؤيد البيعة لـ « علي » وينهى الأخذ بالحلول لتفرقة المثلة فيما يلي :

المدد إلى الهداء السياسي بالسكيد وإعمال الحيلة لتحقيق الغرض المنشود .

وقد بدأ « عمرو » جوابه الاستشاري بافتاد انظر في أمور ثلاثة :

١ - في « على » وما ارتآه له من تدبير - وقد ساقه بمصافاة أسلوبه متفاسر دونها أحرق الأسيالهب الديلماسية للعاصرة (أرى فيه خيراً) فالتظيرية للرادة يمكن أن تنصرف إلى شخص « على » بعينه، وإن كان يبدو أنها منصرفه إلى قوة نوع التدبير المتخذ ضده - كما توحى بذلك قرينة الموقف الحادف إلى طناً لقلب « معاوية » فيما يخص بكفاءة الإجراءات التي ستتخذ نحو « على » للقلب عليه (شغلها الشغل في تلك اللحظة). وفي الوقت ذاته إجابة لا يؤخذ بها « عمرو » إذا ما تحولت الأمور إلى غير ما يهوى وانتصر « على » !!

ويمكن أن يتسبب الظير في العبارة فيوشل سائر جزئيات الخلطة المدبرة ضد « على » مما يقطع بصواب الرأي فيها، اعتماداً على أن إنبات الظيرية لـ « على » قد ورد النص عليه في قوله: ومن عند خبر الناس في الجزء التالي من النص.

٢ - وفي وفد المراق وعلى راسه « جرير » فقد لف الجميع بالظير، ثم خص (أهل المراق) بأنهم (أقنص الناس)

والنفاسة بينهما تفضل مجرد الظير العام إذا ما قورنت به، وإضافتها مفضلة إلى الناس تملأ المراقبين منزلة أرفع، وإذا انضمت الظيرية إلى النفاسة المنفضلة لهم فلأن ذلك يدعو إلى الرفع من قدرهم أكثر، ولا غرابة في اختصاص المراقبين بالظير والنفاسة في نظر « عمرو » إلا لكونهم موضع الاهتمام عنده طبقاً لبعد نظره السماسي؛ فهم يمثلون تقلاً سياسياً يعطى مركز الظليمة الإمام « على » قوة سياسية وحربية في آن واحد.

والحصانة السياسية عنده تستدعيه أن يحاول تجريد الإمام « علي » من سائر القوى للمينة له ، وأن يحاول جذبها تجاه « معاوية » ليصبح عوناً له بقوة في نزاعه .

ومن هنا — كان الإسباغ من « عمرو » لأرق صفات الفسافة على المراق ووقدها لأنهم المعتبرون بمحاولة الجذب في طرف النزاع و« عمرو » هو الوحيد للدرك لمدار نفاستهم ، وهو بدوره يحاول أن يفهم « معاوية » مقدار الخطر المراق الذي يهدده ليحسب حسابه .

٣ — وفي رئيس الوفد العراقي — بالتعجيل له المظهر لصدارته في قومه الذين أضنى عليهم انظر والفسافة وهو الرأس فيهم ، والقدم من بينهم .

وتلك آية الأدب في أحاديث السياسة والديبلوماسية العربية هن الآخرين حتى ولو كانوا متناوئين ولمسوا بموالين .

فالأسلوب المهذب هو الأداة المعيرة ، وأقصى ما فيه من جنوة يمكن أن ندركه من كف « عمرو » عن التصريح باسم « علي » واسم رسوله « جبر » وربما دعاه إلى ذلك اعتاده على أنها قطبا الرضى اللذان يدور حولهما الحديث الخالي المائل والتداول .

الحلول السياسية المقترحة

(أ) الخطر في ضرب الإقليم بالإقليم :

وقد بدأ « عمرو » علاجه لأزمة « معاوية » السياسية بتحذيره إياه من خطر شديد يخافه أن يتردى فيه وصرفاً له عن سلوك هذا النهج في السياسة .

ألا وهو خطر ضرب الإقليم بالإقليم — بمحاولة ضرب العراق بالشام — فذلك نهج خطير غير مأمون في مجال التعامل السياسي مع الأقاليم للظهور إلى إخضاعها بكسب رضاها ولم يترك « معاوية » عند حد التحذير — وإنما نراه يبدله على مفتاح الكسب للموقف السياسي، فيشير عليه بالعمد إلى ضرب الرجل بالرجل — ضرب الرسول « جرير » الرأس من أهل العراق بأعدائه « ثرحبيل بن السمط » الرأس من أهل الشام ، فقد هدته حُكْمَتُهُ السَّيَاسَةِ إلى اعتقاد أن : ضرب الرجل بالرجل أيسر ، وأضمن نجاحاً من ضرب القوم بالقوم ، وأدعى إلى الأمل في إحراز التلبه على الخضم بأيسر وسيلة ، وبأقل الخسائر ، والادخار لساثر القوى الأخرى إلى أوانها ، ربما تخم الظروف الدفع بها إلى ميدان النزاع . (و عمرو) في هذا يتسم بمعد النظر السياسي حيث أيقن أن إرسال الوفود هو البداية لارتفاع حرارة النزاع ، وينهى أن يصالح كل تصعيد بما يلائمه من المضادات بدلا من البدء بصراع إقليمي غير مضمون العواقب .

ويتسم أيضا بالدهاء القاضى بإعمال الحيلة ليفل بها السيوف للشرعة في أيدي الشجعان .

و « عمرو » بهذا يسكون قد دل « معاوية » على خفي الدروب السياسية المأمونة الجانب به (ضرب الرجل بالرجل) من بعد أن حذره من المزالق السياسية الغير مأمونة العواقب في (ضرب القوم بالقوم) أو الإقليم بالإقليم .

كما ألمح له في إشارة ذكية إلى ضرورة أن يفتح « معاوية » قلبه لأهل العراق بغية استأبهم نحوه ونجاء أن يحرز لنفسه قبولاً عندهم .
وذلك بإعلامهم أنهم محل القبول عنده توطئة لرحبتهم عن موقفهم الموالي لـ « علي » ثم خروجهم عن هذا الولاء ، وانحيازهم كلية إلى صفه .

وبهذا يكون قد جرد الإمام من عناصر قوته في أخص صورها وم أهل العراق الذين يقتوى بهم .

وفي محاولة ضرب الرجل بالرجل — يعمد « عمرو » إلى التحدث لشخص (الرجل) الذي يمكن أن يقوم بالدور للرسوم له على أنم وجه لحساب « معاوية » ، فيبين خصائصه التي تؤعله لتقوم بهذا الدور حاسراً لها في أمرين :

(أ) أنه الرأس من أهل الشام — مما يجعله أهلاً لتوافقهم والتأثير فيهم بنجاح .

(ب) أنه عدو لـ « جرير » رسول الإمام — مما يعطيه المضادة في الموقف للرسول .

وزعامته لأهل الشام تشير إلى أنه سيكون الرجل القدر للكافي والناوي لـ « جرير » وصاحب المقدرة على التغلب عليه — أما كيفية اصطلاح « شرحبيل » ليكون رجل « معاوية » المكافئ لـ « جرير » رسول الإمام فقد استطاع « عمرو » أن يدخل عليه عناصر أخرى تسكنت بالتصدير لـ « شرحبيل » لينهض بالدور الذي وضع له .

وتلك العناصر ظاهرها السهولة والبس في الممارسة وباطنها الخطر العظيم في رد الفعل الناتج عنها وكلها مضادة لـ « على » وفي صالح « معاوية » ألا وهي :

(ب) اتهام ~~القبائل~~ « على » بقتل « عثمان »

لقد أشار « عمرو » على « معاوية » أن يرسل في طلب « شرحبيل » الرجل الذي ارتآه كفولاً بالقبلى لـ « جرير » لما بينهما من عداوة ، ودفنه للقبلى والوقوف في وجه « جرير »

والدفع والقصدير ليهض « شرحبيل » بما رسم له - انتهى أن يجدل ويرتب ويهيئ له أمراً وحيوة تفككل بدفعه إلى تزعم الموقف وتستثمر ظهر الموجة ، والقاعدة لقومه في القصدي وللمارضة لـ « جرير » ودفنه . وهكذا يبدو الأمر في صورة نزاع بين أهل الشام وأهل العراق على أمر عام يهم الأمة الإسلامية جماء لماسه بمشاعرهم الدينية التي يحق لكل مسلم أن يشارك فيها برأيه دفاعاً عن دينه الذي يبدو وكأن أصلاً من أصوله قد انتهك .

وهكذا تم إحكام الأمر في نفس « عمرو » للاستشار الداهية فألقى به إلى « معاوية » في صورة الأمر للنافذ بقوله : أرسل إليه : (إلى شرحبيل) .

ولما كان الغمان لتهم (شرحبيل) بالدور الذي دُبر له يستدعي الإحمال لنفسه لفتنضب ولتنشور بفعل الحماض الذي ضداتها كانت تعرض لها — إذن كان لابد من إعداد أشاعة تفشو في الناس ، ويوطن لها الأشخاص اللوثوق بهم عند « معاوية » في حجة نهوضهم بنشر الأشاعة

وغير الإيمان بها في نفوس أهل الشام ، وإدخالها بالتالي على نفس
« شرحبيل » بحيث تستكن في قلبه — ألا وهي أشاعة الاتهام بأن
« علياً » قتل « عثمان » ولا أعظم ذنباً لدى المسلمين من أن يُقتال
خائنهم !! ولا أحق بالسخط من مرتكب الاغتيال !!

وهكذا — أُعدت التهمة للزيفة ، ونُشرت أشاعتها بين أهل الشام ،
ووطن لها أهل الثقة لدى (شرحبيل) فأرصدوا له في طريقه لينجأوه
بالتهمة الملققة تلقى على أ-ماه من يُعهد الصدق فيهم ، ومن أهل الرضى
عنده ، فلا يجد مناصاً من أن يصدق ويوقن بصحة التهمة فينهض بحق
الزمانة وإجهاز للهمة التي جُنِّد لها دون أن يدري أنه مدفوع إلى-باب
مخدوع فيها — وهي القيادة لأهل الشام للضادة لأهل العراق وزعيمهم .

وبهذا تزاح من « معاوية » أمام تهمة الوالي للنشئ الخارج عن
طاعة خليفته للبايع له يومه عامة صحيفة أصبحت مُلزِمة له بالدخول فيها ،
ويتحول الصراع بين الوالي والخليفة بحيث يبدو وكأنه صراع إقليمي
بين أهل الشام وأهل العراق لا مدخل له فيه !

ولما كان المستشار السياسي في زمننا المعاصر غالباً ما يُهمَّسَد إليه
بوضع الخططة السياسية ، ورصد النتائج التي يمكن أن تحدث كرد فعل
لذلك الخططة عند التنفيذ — فإن مثل هذا قد حدث من « عمرو » فقد
حدَّد له « معاوية » النتائج المحققة الوقوع نتيجة الاتهام الملقق للإمام بتل
الخليفة « عثمان » حيث قال : « فإنها كلمة جامدة لك أهل الشام على
ما تحب ؛ وإن تعلقت بقلب (شرحبيل) لم تخرج منه بشيء أبداً » .
وبهذه الشورة يكون المستشار « عمرو » قد ضمن للوالي « معاوية »

أمرين يحتاجهما في نزاعه ضد الإمام ، وبضمان له التفوق والغلبة على منازعه الخليفة :

أولاً : اجتماع أهل الشام عليه تأييداً وموالاته من بعد الطي لوالى (حص) « شرحبيل » - حيث يكون قد أظهر « معاوية » في ميونهم في صورة الناهض بأمر الدين جُعلًا وصيانة وصحة - فعندما يطالب أهل الشام بالتقصص للخليفة المختار « عثمان » فيما بعد .

ثانياً : ضمان نهوض « شرحبيل » بالزعامة والقيادة لأهل الشام لحساب « معاوية » من طرف خفي بحيث قد زُعم له ما زُعم ، فأُعِدَّتْ له السكائن لمواجهة حيث سار بما زُعم ، وأكد الزعم في قلبه فاستقر فيه على أنه حقيقة ثبتت ، ولا يرجح لها أن تنزعزع من قلبه أو تتغير أو تتحول بأى وسيلة أخرى ؛ إذن - فلن يفتك منها وهو الرأس لجبالين في (حص) والوالى عليهم ، فإذا مادانت له (الشام) ومن فيها ، ووقفت كلها في مواجهة العراق ، ظهر « معاوية » في صورة الملهي لريشات أهل الإقليم فيما يطالبون به - من بعد أن قد تم التصميم على ضرب فسكرة المطالبة لـ « معاوية » بالمبايعة لـ « علي » بفسكرة الانهزام لـ « علي » بقتل « عثمان » وتم الإمداد لضرب الرجل بالرجل ، وأرجىه إلى حين ضرب القوم بالقوم .

إذن - لقد أُمِيتَتِ الخطئة : باصطناع الفرية ، وأُلقيَ بطعن حُتَيْنِ التنبؤ للعراقيين استعداداً لجذبهم ، وسحب بساط تأييدهم ولولائهم من تحت أقدام الخليفة الإمام « علي » وضمين الولاء من أهل الشام ، لـ « معاوية » ورتبت الزعامة التي تعودم إلى الهذيف ، واختير الأفراد

المرطون لتليس الأمر على « شرجيل » وودعت عليهم الأدوار ،
وأعدّ للروح لعب كل دوره ، وميّت لهم الأماكن والإمكانات ،
ولم يبق غير حيثونة وقت التنفيذ ، لينهض كل بمعه إلى أنيطت به في
هذا القدير الدهاني التريب ١١

والنظرة للتأنية نحكم بما يلي :

لقد استحال على آدمي الدهاة « معاوية » أن يقبّ بشيء على
حما أبرمه مستشاره ومشيره « عمرو » فأقنعه كما هو ، ولم يحاول أن
يُدخل على الخطّة تعديلاً أو تحويراً في أى جزء من أجزائها لتتأقلمها
ولكلها ، ولما وقر عنده من استعالة إمكان بلوغ مدى في الدهاء أبلغ
حما أشار به « عمرو » .

لقد كان « عمرو » صاحب التخطيط الحُكمّ للمليات التي ينبغي
اتخاذها ضد الإمام ، وكان « معاوية » الأداة ، وصاحب الحسم في التنفيذ
طبقاً للخطة لأنه صاحب السلطة للباشرة في الولاية ، والمالك لحق إصدار
الأمر وتنفيذه .

وبالتعاون بين : . . . الدهاء تخطيطاً وتنفيذاً أمكن للدهاء أن
يقنعوا ، وللمكيد أن يفتش ويضلل ، ويظهر ويملو ، وللعق أن يحث
حسوته ويغلاش ولو إلى حين .

إنها السياسة لدول التي قال عنها المؤرخون : إنها لا تعرف الأخلاق
وإنما هي للذائع وللصالح للعبادة ، والمرونة والحصافة في التعامل
السياسي التي تجعل من الإخفاء للصقيّة كهيئة ، وتمترف بالسكيد -
سلاحاً ، وتعتبر الشجاعة - تهوذاً ، والتمسك بالحق - تشدداً ، وللطالمة به

كاملاً - قمر نظر سياسي - حق إذا ما أشرعت واشتجرت في سبيل ذلك السيوف - أصبحت الحرب خُدمة ، وتُعْدُّ للمصائر ، والحرب كَوَلاً كلاماً .

والانتصارات الكبرى في الحروب التي حكمت معاصر الأمم لها بشارتها الموحية بصاحب الكفة الراجعة والتي تهدئ ميكة في صورة كلمة لا يدري إلا الله أهملها ، أو مشورة كلها عين الهداء ، أو حيلة ينصب أشرارها أروى بحسن الجدل والتدبير والإقناع طبقاً لنهج السياسة التي يحكمها الهداء منذ القدم .

استقدام « شرحبيل »

وحيث انتهت المشورة بوجوب التنفيذ دون أناة فصار « معاوية » بالكتابة إلى « شرحبيل بن السط » ^(١) مسقداً إياه على جناح السرعة قائلا :

إن « جرير بن عبد الله » قدّم علينا من عند « علي بن أبي طالب » بأمر فظيح - فأقدم .

وبأمر « معاوية » مهمة إعداد الرجال الذين كُتِبَ هزمه على توطينهم من أجل « شرحبيل » ^(٢) .

(١) وإلى (حمص) .

(٢) الرجال هم :-

يزيد بن أسد ، بسر بن أرطاة ، عمرو بن سفيان ، مغارق بن الحارث الزبيدي ، حمزة بن مالك ، حابس بن سعد الطائي

وقد راعى في اختيارهم أنهم من خاصته وأهل الثقة عنده - كما أنهم من أبناء الصومة لـ « شرحبيل » وهم في الوقت عينه الرؤوس من (قطان والحين) (١).

وقد أبرز الرجال الشقة بأن يقدموا لـ « شرحبيل » على طريق قدومه - حتى إذا مالا فوه أخبروه أن « علياً » قتل « عثمان ».

اليমানيون والتهمة للإمام

للوقوف السهاس : وتصل رسالة الاستقدام إلى « شرحبيل » وإلى حصن فيستشير أهل اليمن في ولايته . أيقدم عليه أم يعمل ؟ فيستلقون عليه ولا يخرج من خلافهم بظائل وقد بلغتهم أشاعة التهمة للإمام . وأخيراً ينهض إليه عبد الرحمن بن غنم الأزدي (٢)

فيقول : « يا شرحبيل بن السمط » إن الله لم يزل يزكك خيراً منذ هاجرت إلى اليوم وإنه لا ينقطع الزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الناس ، ولا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

إنه قد أتى إلينا قتل « عثمان » وأن « علياً » قتل « عثمان » فإن بك قتله فقد بايسته المهاجرون والأنصار - وهم المحسكام على الناس - وإن لم يكن قتله فعلام تصدق « معاوية » عليه ؟

لأهلك هلك وقومك ١١

(١) وقعة صفين ص ٤٤

(٢) كان ألقه أهل الشام

فَوْنٌ كَرِهَتْ أَنْ يَذْهَبَ بِحُظْهَا « جَرِير » فَبَرَّ إِلَى « عَلِي » فَبَايَعَهُ
عَلِي شَامِكاً ^(١) وَقَوْمَكَ ^(٢) .

التعليق:

ويبدو من مقالة «عهد الرحمن بن غنم» أنه قد خرج من النقاش
والخلاف بتفهم دقيق سليم الموقف، ومؤداه الثقة بالإمام وصحة
البيعة له .

وقد بنى هذا على الاعتبار التالية :

- ١ - إن التهمة ليست إلا مجرد أشاعة لا يوثق بها ، لاحظ عبارة
(ألقى إلينا) التهمة للأنبياء وعدم الوضوح .
- ٢ - لو كانت التهمة صحيحة لما بايعة أهل الحل والعقد من المهاجرين
والأنصار (ومجسكهم على الناس) ١١ .
- ٣ - إذا كان الأمر مجرد التشويش على الإمام باتهام مكذوب
فلا يوجد ما يدعو إلى التصديق للرجلين ، وتغليب « معاوية » على
الإمام دون تثبت .

- ٤ - وإذا كان الأمر مجرد الجري وراء الدنيا خشية أن يتابعه عليها
صانعه « جرير » فباب للمشاركة فيها مفتوح أمامه بمبايعة الإمام .
- والواقع أن « عهد الرحمن » لم يترك له « شر محبيل » أبداً يحاول أن
يقتل منه خروجا على الإمام ، وانحيازاً إلى « معاوية » اقتناعاً منه

(١) ما يذكرك من الغمام (محمص) .

(٢) وقعة صفين من ٤٥ .

(١٠ - ١١ - آداب سيامي)

بصحة خلافة « علي » والثقة فيه وخاصة من بعد أن قُتِلَ بذلك سائر
الاعتبارات التي ربما تعرض لتسكير الوالي وهو يحاول أن يزن الأمور؛
فقد حصره في خيارين لا ثالث لهما ، وكلاهما يحتمُّ عليه أن يسكون
بهم الإمام .

أولهما - نُشْدَانُ الصِّحَّةِ لِهَيْمَةِ الإِمَامِ - وهذا أبرمه الحُكَّامُ عَلَى
النَّاسِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَلَا يَسْمَحُ غَيْرُ التَّائِبَةِ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ
أَصْدُرُوا فِيهِ حُكْمًا مُلْزِمًا .

ثانيهما - إِنْ صَحَّ عِنْدَهُ الْمِيلُ إِلَى الدُّنْيَا - فَالطَّرِيقُ الشَّرْعِيُّ إِلَى
الْقَبُولِ مِنْهَا حَلَالٌ رَهْنٌ بِالْبَيِّنَةِ لـ « علي » .

هذا - ولم يَهْمِلْ « عبد الرحمن » حقَّ النَّصْحِ لِلْوَالِي بِهَذَا كَبِيرِهِ أَنَّهُ
فِي نَمَةِ لَا يَسْمَحُ عَلَيْهَا غَيْرُ الْحَدِّ ضَائِقًا لِاسْتِزَادَةِهَا ، وَالِاسْتِزَادَةُ مِنْهَا .
وَقَدْ صَدَّرَ بِهِ كَلِمَتَهُ مَعَ لَحْظَةٍ تَدْعُو إِلَى التَّزَامِ الْحَقِّ اتِّقَاءً لِنُصْبِ اللَّهِ
بِهَدْمِ الْفِتْنَةِ لِسُلْمِ الْهَادِيءِ - كَأَنَّهُ قَدْ خَفِيَ بِهَا نَصْحُ آخِرِ قَعْدٍ بِهِ
مَعَاوَةَ الْعَجِيبِ لِلْوَالِي شَرَّ الْإِلْقَاءِ بِنَفْسِهِ وَقَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي الْمَهَالِكِ
لِلرَّقَبَةِ مِنْ وَرَاءِ تِلْكَ التَّهْمَةِ ، وَذَلِكَ النَّزَاعُ .

التصميم

لِلرَّوْفِ السِّيَاسِيِّ : وَيَأْتِي الْوَالِي وَتَرْجِيئُهُ ، لِأَنَّهُ يَسِيرُ إِلَى الْوَالِي « معاوية »
ضَارِبًا عَرَضَ الْحَاطِطِ بِمَا سَمِعَهُ مِنْ نَصْحِ « عبد الرحمن بن عوف » وَيَتَأَهَّبُ
لِلسَّيْرِ فَا يَبْلُغُ « هِيَاضَ الثَّمَالِي » إِلَّا أَنْ يَهْوِيَ إِلَيْهِ بِالتَّصْعِيدَةِ الْعَالِيَةِ :

حاء «شرح» وابن السكيت «إنك بالنح
 حواء «شرح» إن الشام شامك ما بها
 فلان ابن حرب صاحبك خذعة
 فلان نال ما يرجو بها كان ملكدا
 خلا تميمين حرب العراق ، فإنها
 وإن «عليها» خرمين وطى الحصى
 لله في رقاب الناس عهداً وذمة
 خباج ولا ترجع على القنب ^(١) كأنرا
 ولا تسمعن قول الطغام ؛ فاعلموا
 وماذا عليهم أن تطامن دونهم
 فإن غلبوا كانوا علينا أمة
 وإن غلبوا لم يمتل بالحرب غيرنا
 يهون على غلبها لؤي بن غالب
 خذع عنك عثمان بن عفان ، إننا
 على أي حال كان معبر جنيبه
 يؤثروا على «ما تريد من الأسير»
 حواك ؛ ندع قول الفضل من ربه
 تكون علينا مثل رغبة البكر ^(٢)
 حيثما له ، والحرب فاسمة الظهور
 نغم أطهار النصارى من الدهر
 من المشاهدين للذاريك لوتر ^(٣)
 كهدد أبي حفص ، وعهد أبي بكر
 أمينك بالله العزيز من السكفر
 يريدون أن يلقوك في لجة البحر
 «عليها» بأطراف المنقصة السمر
 وكفا بحمد الله من ولد الظهور ^(٤)
 وكان «على» حربنا آخر الدهر
 دماء بني قحطان في ملكهم تجرى
 لك الخير لا ندري ، وإنك لا تدري
 فلا تسمعن قول الأعور ^(٥) أو «مزد»

(١) رغبة البكر — مثل يضرب في التناقض .

(٢) الذين يدركون ثأرهم دائماً .

(٣) مأخوذ من قوله تعالى : « يردكم على أعقابكم » .

(٤) الذين لا يلتفت إليهم ، ولا يعبأ بهم .

(٥) يقصد « معاوية » .

اليقين الأدبي

القصيدة في فكرتها تنهض بما يلي :

١ - أداء حق النصح للوالي (شرحبيل) بأن من انظر له وقومه ديناً ودنياً أن يكون موالهاً مَوَالِئاً للخليفة « على » صاحب الحق الشرعي . في الخلافة ، وأولى الناس بها .

وقد ترمقنا بيمته من بعد أن يوجع من الناس بهمة عامة مثلما تم مع « أبي بكر » و « عمر » .

والتوادة لـ « على » بالبايعة له تمثل الطريق للفتوح أمام الوالي . (شرحبيل) لئيل ما يريد من أمر الدين والهدى .

وافتحاح القصيدة (بالشرح) مناشدة صريحة لـ « شرحبيل » بأن من الأجدى له للبايعة للإمام « على » لكفالة هذا السلك بإزالته ما بينيه أيا كان ذلك للبعث - هذا - فضلاً عن الإبقاء على ما يوجد . وقومه من الحبيطة والولاية على (حمص الشام) التي هو سيدها وحده . دون مفازع : (الشام شامك ما بها سواك) .

والخروج عن هذا ليس غير اتباع الفضائل والتضليل والاندفاع القامة أشراكه ، ولن تجني من ورائه شيئاً ، وإنما منعه عوده مقصور على الناصب للأشراك ، ولن يسمح لأحد أن يشارك في أي منهم يمكن أن يجعله النزاع ١١

وتلك - دعوى إلى التمثل في التصرف وعدم الاندفاع اتفاقاً لمؤرخي المواقب .

٢ - التحذير من البيز إلى « معاوية » وقد صاح الشاعر الوالى
بجذات بناء على وضوح الرؤيا عنده لخطر الدمام المتوقع من جراء هذه
المسيرة - حيث بين له أنه لن تلقاه عند « معاوية » غير أثرك الخلداع
المحكى الذى لن يتأتى له الإفلات منها ، والذى لن تعود عليه وقومه إلا
بكل شؤم محقق ، ويمكننا أن نلاحظ ذلك من قوله : (ناصب لك
خدعة) ، (تسكون عليها مثل رافعة البسكر) .

ويعتد الدمس بالشاعر ، وتعمق به الرؤيا ؛ فيذكر أن ناتج ذلك
الخداع المد الآكد أن « معاوية » سوف يتخذنا أداة لتحقيق مآربه ،
فسيضرب بنا « عليا » حتى إذا ما انتصر عليه وتوسد الملك احتاز
بما بأيدينا من ملك فصار (حينئذ) (وإن نخرج من ذلك النزاع الحزنى
إلا بالظلم المقصوم - حيث لا طاقة لأهل الشام بحرب العراق ، وإن
بنا فيها يجرمنا الأمن ، سيفنا صينا « على » العداة أبدا الدهر ، والمهاشميون
لا ينامون على فأر ، ولن يرتضى لأنفسنا أن نكون الأداة لتنفيذ مآرب
الآخرين ، في حرب لا ناقة لنا فيها ولا بكمل ؛ فالدماء القيمة (دماء بنى
قحطان) غالية ، ولا ينبغي أن تهذر فى الخلداع والمؤامرات ، خاصة
فى ساحات ملكهم للسيطرين عليه ١١

وكأن به يتأدى بأن مثل هذه الدماء القيمة لا يسوغ لها أن تبذل
إلا فى النفع ، وتوسيع رقعة ملك البيانين والعودة الإسلامية بفتح أرض
أخرى ، وليس فى صراع الخليفة الإمام المباهج له مهما تسكن أهمية التقصد
من وراء ذلك .

هذا - وإظهار كل الظير في المباشرة لـ « على » ورَفَضَ بيمته رِدَّةً إلى الكفر أحدثتها جماعة شريرة مُفَرَّضة تطرح الحق والصواب جانباً !!
٣ - الدعوة إلى عدم الخوض في مقتل الخليفة « عثمان » حقيقة قتله -
مجهولة حيث لا يعلم أحد حقيقة ما حدث له ، وعلى أى وضع كانت مصرعه فقد انتهى أمر « عثمان » ولا مجال لإطلاق الاستماع إلى ما يُردَّد من اتهامات لـ « على » تصدر عن « معاوية » أو « عمرو » يسكن من خلفها الشر .

ويبدو من المآل إلى أوردها الشاعر « عياض » أنه كان مدركاً لمقتضى الموقف ، وردود أفعاله المتوقفة - لما أوتى من بصيرة نافذة -
قدمها في قالب نُصَح خالص لوالى .
غير أن حقيقة ما يدور في نفوس الولاة لا يدرك به أحد سوام -
كما أن تكييفهم للأمور يختلف عن تكييف غيرهم من العامة لها ، فهم على حرف من السلطة باعترافهم وولاة - فهم ما استمعوا إلى عديد من الآراء مما تمددت وتباينت فلن يتبينوا الصواب في غير آرائهم الخاصة -
التي ربما تكون قد انقدحت في أذهانهم فور وقوع الحدث ، وانخدعوا لأنفسهم موقفاً منها ، ويعزُّ عليهم الأخذ برأى غيرهم - والسكن الولاة -
جرى دأبهم على الاستماع لما للآخرين من آراء لعل أن يكون من بينها الجيد الثاقب يستمعون إليه فقط دون أن يسيروا عفاناً قصد التنفيس لا التنفيذ ، وحيث أن تم استجابتهم لعائب رأى إذا كانوا قد أضرروا غيره ، فالمسك ربما يميحهم عن البصر بالصواب ، ويُزَيِّن لهم سلامة ما يصنعون إلا من همم الله .

وفيا يتعلق بالوالى « شرحبيل » فإنه كان لا يدرى أحد بحقيقة الموقف لو لم ينضم إلى الوالى « معاوية » ويناصره ضد الخليفة « على » من بعد أن خادعه ، فلربما كانت المواجهة الحربية قد استعصمت على « معاوية » على الرغم من الدهاء والتدبير وأُشاعة الاتهام الباطل ضد الخليفة ، ولكن انضمام جهد وجند الوالى إلى الوالى كان الدافع إلى المناجزة ، والى لم تثبت جدواها دون إحمال الخيلة والدهاء فيما بعد بالباس النزاع حلةً دينية في الاتهام وحتى في القتال ١١

أما عندما استقر في ذهن « شرحبيل » ودفعه إلى الإجابة بالمسير إلى « معاوية » فما أظنه غير الحرص من المسئولين على أن يكونوا دائمين في الصورتين موضع الاهتمام بهم ، ولربما دَفَعَتْ الشهامة العربية إلى أن يسارع الوالى إلى عون الوالى إذا ما كان هناك ما يدعو إلى العون ، فكان أن سَقَطَ في حبال خداع الوالى الداعى المذارع دون أن يدرى .

وكانت الحصانة السياسية تقضى بمنع ما صنع « شرحبيل » خاصة من بعد أن أُلْقِيَ له الشاعر « عياض النخلى » الأتواء على جوانب الموقف فلم يدع له هُذْرًا في أن يتنازع إلى أحد غير الخليفة « على » وما كان يسميه غير الاستعجالة لما نصَحَ به الشاعر « عياض » حيث أظهرت الأحداث وصدقت فيما بعد أنه كان قد بذل بحضر النصيح، وعين العوالب له فيما يبذل من رأى .

المصانعة السياسية

للقوف السياسي : يَقدِّم « شرحبيل » على « معاوية » فيتأكل بكل
المعظام ويدخل على « معاوية » فيرحب به ثم يوجه إليه الحديث قائلا :
معاوية : يا « شرحبيل » إن « جرير بن عبد الله » يدعونا إلى بهيمة
« حل » وعلى خَيْرِ الناس - لولا أنه قتل « عثمان بن عفان »
وقد حبست نفسي عليك ، وإنما أنا رجلٌ من أهل الشام -
أرضى ما رضوا ، وأكره ما كرهوا .

ويأتي « شرحبيل » أن يأخذ الكلام على علاته ، فيصرُّ على
الاستيذان بنفسه من حقيقة ما عرض عليه من اتهام شنيع لـ « حل » بقتل
الخليفة « عثمان » - وذلك باستطلاع رأى الناس ، والتدقيق فيه حتى
يدرك جلبة الأمر في هذا الاتهام فيقول :

شرحبيل : أَخْرَجْنَا نَظْرًا !!

التعليق :

أسلوب المصانعة يبدو فيما يلي :

(أ) المبادرة من « معاوية » إلى الاعتراف بتصلب « حل » وألويته
في حق الخليفة لما يتمتع به من خيرية على سائر الناس - حتى لا يظهر نفسه
في صورة المنكر لفضل وتقدم ثابت للإمام هو موضع الإجماع من الجميع
ولا يُنكر أحد أهولته له - ولما كان « معاوية » في موقف الحريص على
الاستمالة والكسب لـ « شرحبيل » لذا - نراه قد آثر التقديم للمنى الذي
يفنى عنه شائبة الإنكار والمعاداة « حل » كراهة أن ينفرد منه « شرحبيل »

إذا ما اشتهم منه برائحة إسكار الفضل والتقدم للإمام في ذلك .

وطوى المعنى في صورة أسلوبية تقطع بقصر الخبير على « على »
وتركزه فيه - ثقة منه أن هذا المسلك هو الذى يرضى « شرحبيل »
وهو بهذا يستميله إلى جانبه بإظهار توافقه مع ما يعتقد - ثم يبدأ لتصفده
بإيقاعه فيما أعده له من شرالك وأحاييل .

(ب) وعلى الإنزلايلث « معاوية » أن يطمئن « عليا » طمئة
تذهب بكل ما قطع له به من فضل وتقدم وخبر باتهامه بقتل « عثمان »
الأمر السكتل بمحو ماله من تصدق وتقدم وخير .

فالتهمة تجريم المسم ، والجريمة قتل ، بكل ما فيها من شناعة ،
والقتل للخليفة رأس الدولة الإسلامية ، والخطيئة القتل « عثمان بن عفان »
بكل ماله من وزن : كخليفة فهو « عثمان » ذو الدورين ، وهو صاحب
جيش العسرة وهو صاحب التجارة المفرقة دون احتكار أو كسب
تفضيلا للمثوبة والأجر الموهود بهما عند الله ، والمهم بقتل كل هذا
الإمام « على » صاحب الوزن والفضل الذى لا يمارى فيه ، ولا ينفسه
عليه أحد دلعا عن الإسلام / إذن - فقد حق ل « شرحبيل » أن يقول :
أَخْرَجْنَا نَظَرَ

(ج) قد أظهر « معاوية » أنه يقف متلبثا في انتظار الرأى
القيصل في أمر تلك الأحداث الخطيرة يتلقاه من « شرحبيل » ويتصرف
على هديه ، وأنه لن يبرم أمرا قبل أن يستطلع جليلة الأمر عنده لما لرايه
عنده من أهمية عظمى يظهرها له - وآراء الآخرين ليست تعدله !!

قدا - ألزم نفس عدم التصرف قبل أن يُبدى « شرحبيل » وجهة نظره الحاسمة ؛ فأكد متع نفسه تماماً من أى تصرف حتى يوجهه « شرحبيل » (حبثت نفسى عليك)

وأسلوب المصانعة في هذا التعبير بين جلي ، فقد سبق أن تم إحكام التدبير من أجل نهج سلوك معين ضد الإمام ، وتمت فيه الاستمالة بدعاء « عمرو » ومشورته - كما تمت القوطنة والقوطين للرجال الوالين الذين أُعدوا لـ « شرحبيل » يرددون الاتهام على مسامعه أينما ذهب ، وحيثما حل . ولم يذو خلفيتها « شرحبيل » وليس من حصافة « معاوية » أن يُطلعه عليها مسبقاً .

(د) والمصانعة سياسة لـ « شرحبيل » دقت « معاوية » إلى أن يظهر أنه لا يبعد أن يكون فرداً عادياً من رجالات أهل الشام ، وقصر نفسه على ذلك بحسب^(١) ، ولم يحاول أن يظهر أمامه كوالٍ وحاكم يقف على قدم المساواة مع « شرحبيل » .

ولم تظهر الضعف مصانعة تفعل فعلها في الاستمالة له أكثر حيث خلع وشاح أى تفوق عليه ، وارتدى ثوب الفرد العادى في الرضى والكثرة . حيث جعل « شرحبيل » هو المحكم في انتهاج أحد الطويقين - يميل به من الضد إلى الضد ، و « معاوية » بهذا يكون قد جعل من رأى الجاعى لأهل الشام وعلى الرأس منهم « شرحبيل » التفصيل في الأحداث

(١) لاحظ أسلوب القهر ما انا إلا رجل ..

تقديمه للجميع ومصالحة لم ياحلل رأيهم المحل الأول ، وارتضى لنفسه
أيضا من هذا القبيل أن يكون إلى الخلف من « شرحبيل » انتظاراً
لمسيرته يتابعه فيها كتابه أمين ، واثاراً بما يشير به بفننه بكل
إخلاص وصدق .

وتدخل المصاحبة والنويه على « شرحبيل » اذى ربما اتفق به أنه
الفرق لصبر الشام بأهلها وولائها ، وما يلتقى بجماعة إلا كانوا من
الوطنين فيجأونه بالهمة والاثام في عبارة مرسومة مرصودة تلقى إليه
في صورة خبر إعلامي متواتر يبعث على التصديق لنحوه لكثرة ترداد
الأسن له صادراً من عديد من الشخصيات في مختلف الأماكن والمسالك
(« على » قتل « عثمان ») حتى بلغ حد الاقتناع بثبوت التهمة ، فما
يملك إلا أن يرجع إلى « معاوية » قائلا له بمد طواف الاستبصار
المعروف عليه :

شرحبيل : يا « معاوية » أبق الناس إلا أن « عليا » قتل « عثمان » -
والله لئن أبيت له لنخرجك من الشام أو لنقتلك .

معاوية : ما كنت لأخالف عليكم ، وما أنا إلا رجل من أهل الشام ..
شرحبيل : فرد هذا الرجل ^(١) إلى صاحبه إذا .

وما كان « معاوية » بطمع في أكثر من أن يقتل من الباقية
لـ « على » التي آلى عليه « شرحبيل » ألا يفعلها .

(١) رسول الإمام « علي » المطالب بالبيعة له « جرير »

إذن - لقد نال « معاوية » عَيْن ما يَهْدَفُ إليه بالفوز إلى قلب
« شرحبيل » تطويها له بالسِر وفق ما يهوى وإن كان يخيل إليه أنه
حاسب الإرادة في التسيير لنفسه ، وتم له التوحيد لأهل الشام جميعاً من
خلقه تأييداً له فيما ينتويه - وإن كان يبدو أن الجميع من خاف « شرحبيل »
و « معاوية » انفراد العادى المؤتمر بأمره ، وتأكد له وقوف « شرحبيل »
بزعامة الليمانية في الشام إلى جانبه في الحرب لأهل العراق وتصدده لها
إذا ما استحكمت الظروف ودعت إلى الاختراب ^{بني}.

لقد أحى قلبه بالتقوية عليه بهمة جُنْد لها من تَبَنَّا في نفسه ، وأدخل
عليه أنه صاحب الكلمة الأولى في تحديد مصير الشام وأهلها ، فلم يمد
من مجال « شرحبيل » أمام دهاء السياسة وأسلوبها في المصانة سوى
أن يصحَّ نظره في حرب العراق بزعامة « حلي » III

وبهذا الأسلوب السياسي لم يتمكن « معاوية » من مجرد التجهيد
لوالى « شرحبيل » والليمانية المؤتمرة بأمره وتقسيمه في الولاية على الشام
حفظ وإغما تمكن من التجهيد له وضم تلك القوى إلى صفه ، وتطويعها
من أجل تحقيق غرضه ، واستطاع أن يوقف الشام وأهلها وولائهم في وجه
الخطيئة « حلي » الناهض بمسئوليته في محاولة ممارسة سلطاته ، ومباشرة
حمايته في سائر بقاع أرض الخلافة .

المواجهة بين « جرير » و « شرحبيل »

مسألة وتنفيذ : ويترجم « شرحبيل » مباشرة مهامه كرجل الشام.
الأول كما أدخل عليه ، فيبحث في طلب « جرير » رسول الخليفة الإمام.
عن طريق « حصين بن عمار »^(١) ويلتقي به عنده ، فيبدأ « شرحبيل »
الكلام قائلا :

شرحبيل : يا « جرير » أتينا بأمر مَلَفٍّ لقتلنا في لموات الأسد ،
وأردت أن نخط الشام بالعراق ، وأمرت « عليا » وهو
قاتل « عيان » والله سأهلك مما قلت يوم القيامة ١١

جرير : يا « شرحبيل » أما قولك : إني جئت بأمر مَلَفٍّ - فكيف
يكون أمراً مَلَفًّا وقد اجتمع عليه المهاجرون والأنصار ؟
وقولك على رَدَّة « طلحة » و « الزبير » .

وأما قولك : إني ألتهمك في لموات الأسد في لمواتها أَلَتَيْتَ .
ففسك .

وأما خطط العراق بالشام فخطبهما على حق خير من فرقهما
على باطل .

وأما قولك . إن « عليا » قتل « عيان » فوالله ما يديك
من ذلك إلا التَّدْفُّ بالنهب من مكان بعيد ، ولست كنت
إلى الدنيا ، وشيء كان في فسك على زَمَن « سعد بن أبي
وقاص »

(١) أرسل إليه « حصين » أن ذرنا فإن عندنا « شرحبيل بن السمط » .

المسألة

والمسألة من « شرحبيل » طائفتها التبهيم ، وتدور حول إعلام « جرير » بأن ما يدعو إليه من طلب البيعة له « على » ليس غير أمر حافق مردود ، ويتعامل عليه زاعما أن تلتقياته هذه سيُتَّجَم منها الإيقاع بأهل الشام في مجزرة عربية يشنها عليهم « على » يسكون فيها الضياع لهم ، ثم ينسكِر عليه السعي إلى ضم الشام إلى العراق ^(١) ، ويتبع هذا النعي على « جرير » أن يُطْرَى في حديثه « عليا » وهو القاتل له « عثمان » (طبقا لما زعم له) ويحتمل قلة التبهيم في تساؤلاته بإدخال (الله) جلَّتْ قدرته حكما عليه في تلك الأمور التي سببائه منها يوم القيامة . وهذا إيمان في التخويف له « جرير » عليه يراجع نفسه بعدد ما أتى به من أمر طلب المباينة .

التفقيذ

وكان لابد لـ « جرير » من أن يفنِّد تلك التساؤلات ليصح موقفه ، فإذا به يتناولها واحدة واحدة يفندها بطريقة تذهب أثر الطامع التي أوردت عليها .
فتراه وقد استشهد على صحة الأمر الذي أتى به (طلب البيعة) بأنه

(١) ويبدو أن ولاية الشام كانوا من ذوي الميول الاستقلالية الذين يميلون إلى الانفصال عن جسد الدولة الأم .

عند أجمع على صحتته كل من المهاجرين والأنصار - أصحاب الحل والعقد الذين لا يُنقض لهم رأى أجمعوا عليه في المجتمع الإسلامي .

وبهذا - أسقط زعم (التلقف) وفند ادعائه الجر لم إلى عقده جان « جرير » لم يصنع بهم ذلك ولا يريد ، وإعالم صنموا ذلك بأنفسهم بردم الهمة ثلاثة ضيعة ، وفند ادعاء الخلل للشام بالعراق - بلإثبات انفساح نظره وامتداده عبر الأقاليم الإسلامية بالتبجح والضم لما على الحق والصواب الكفيلان بحق الخيرة لسائر الأعصام الإسلامية - وقد جرى الأمر على الاجتماع لا الفقرة والتعجيزه لأطراف الأمة ، ثم أسقط دعواه في الاتهام لـ « حل » بالمثل لـ « عثمان » - بأن هذه التهمة لا تمدو غير أن تكون قدفا دون تثبت ولا دليل يشهد على صحة الرمي بها - وما دام لم يشهد الواقعة فلا يجوز له أن يهرف بما لا يعرف ! و « جرير » بهذا يكون قد فند وأسقط سائر الكهجات بأجوبة فيها الإقناع لمن يريد أن يقتنع حيث لم يبق لديه أى شك يدموه إلى الممارسة .

وعندما رأى « جرير » أنه قد كسب الجولة في نفى التلقف والاتهام واغسل السوء تابع ذلك المعجوم على « شرحبيل » فاعياً عليه السبب الإصحاء إلى الممارسة لهية الإمام مرجعاً ذلك إلى عوامل نفسية تدفع به إلى الحب للدين الذي لن يعجزه عن التمس للأعذار التي تميل به إليها هذا - إلى المقد النفسية التي استقرت في نفسه تتوجه لأشياء داخلها

منذ زمن بعيد كان على أيام « سعد بن أبي وقاص » تستنير نفسه الآن
وتحول بينه وبين متابعة ما هو حق وصواب .

وَيَقْضُ المَوْقِفَ عندَ هذا المَدِينِ الرجلين - غير أن التَّصَدِّيقَ
من « جرير » على التَّصْحِيحِ لمَوْقِفِ الرِّوَالِ « شرحبيل » ليمدح
يساوره من شكوك أدخلت عليه قبحاً يفتلج بسلامة موقف الإمام وحده
خلافة دفعه إلى أن يلاحق « شرحبيل » والموقف في سخولته أدمى
إلى الآن والتعديل ، فإن كان من « جرير » إلى أن يمت إلى « شرحبيل »
برسالة شمرية غيب انصرافه عنه وفيها يقول :^(١)

« شرحبيل » يا ابن السَّمَطِ لا تَدْمِجِ المَوَى

فَأَنَّكَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الدِّينِ مِنْ بَلَدٍ

« شرحبيل » إِنَّ الحَقَّ قَدْ جَدَّ جَنْدُهُ

وَأَنَّكَ مَأْمُونُ الأَدِيمِ مِنَ النَّظَلِ

فَارْزُودُ وَلَا تَقْرُطْ بِشَيْءٍ تَخَافُهُ

عليك ، وَلَا تَسْجِلْ فَلَا تُخَوِّدْ فِي المَعْجَلِ

وَلَا تَكُ كَالْجُفْرَى إِلَى شَرِّ غَائِبٍ

قَدْ خَرَقَ السَّرِيالَ ، وَاسْتَفَوَّقَ الجَبَلَ

وَقَالَ (ابن جندب) : في « حل » غَضَبُهُ

وَلَهُ فِي صدر (ابن أبي طالب) أَجَلٌ

وما لـ «علي» في «ابن عفان» سقطه
 بأثر ، ولا جلب عليه ، ولا قتل
 وما كان إلا لازماً قهره
 إلى أن أتى «عنان» في بيته الأجل
 فن قال قولاً غير هذا فحسبه
 من الأور واليهقان قول الذي أحقك
 وصي رسول الله من دون أمته
 وقاربه الأولى به يشرّب المثل

البيان الأدبي :

التصيدة في النص ، وتركز فيها : المعاني التالية :

(أ) التهم لـ «شرحبيل» عن اللألاء لـ «معاوية» لأن فيها يميناً
 لديه بالدنيا ، وانها ما معيها للهوى .

(ب) اللطابة لـ «شرحبيل» بأن يصحح لـ «معاوية» موازنة
 الفكرية فقد بات من الجلي أن تملق بمحاولات الهدم ثلاثة «على»
 وإمالتها نحوه أمل يجب أن ينقطع تملقه به ، ووقوف «معاوية»
 هذا للوقف يلقى كل حرمة له ، ومستولية «شرحبيل» عن التصحيح
 لفسكر «معاوية» أمانة قد عُلقت في حقه .

وكان به يني أن يصعل والى الشام «شرحبيل» مستولية
 في جزء منها بالتصحيح لسكر زميله «معاوية» والى الآخر بدلا
 من أن يعاضدا على مقاومة الخليفة الشرعي في محاولة مباشرة
 (١١ - أدب سياسي)

سلطاته وبسطها على سائر أرجاء أرض الخلافة ، ومقاومة أفكار
التجزئة والتفليس لأوصال الدولة الأم ، بمحاولات الانفصال
والانفصال الضمنية للممثلة .

(ج) التهديد لـ « شرحبيل » من تدافع الحوادث غير المتوقعة القماد
خشية أن يجرّ إلى أواخر العواقب — خاصة أنه قد آن لحق أن
ينقصر ، ومثل « شرحبيل » لا يرجى منه أن ينقصر إلا للحق
لبراءته من دخائل النفس وسخاها .

(د) التهديد لـ « شرحبيل » من سوء عواقب التعجيل والإفراط في
المبالاة (معاوية) حيث لاخير في التعجيل في ذلك — لما فيه من
مماضة للحق ، وتوهين للأمة — وقد سبق التهديد في معرض النصيح
عليه يستجيب لداعي التريث وعدم الاندفاع في تيار الانحراف
الخطير . خشية أن ينساق دون أن يدري في تيار الاندفاع فتجرحه
الأحداث في تداعها إلى شرّ غاية قيل أن يمكن من كبح جماحها
فتلقى به إلى المأوى .

(هـ) الحكم على الادعاء بأن (علياً) قتل (عثمان) ما هو إلا محض
كذب ، (وابن أبي طالب) أعظم من أن يرتكب تلك الخيانة
لأنه يرمى الله ، وهو يرى من ذلك براءة تامة — حيث لم يباشر
قتله ، ولم يحرض عليه ، ولم تكن له يد فيه — وقد راعى الشاعر
في نفي اتصال « علي » بتهمة القتل لـ « عثمان » سلوك أسلوب
التدرج في النفي من الأدنى إلى الأعلى فبدأ بنفي ارتكاب

الاستغلة في أمر يتعلق به «عنان» ثم يقضى الجلب القاسمى للمالء عليه ، ثم رَدَّ في النفي إلى قى القتل ميتة .

وبهذه الدقة في نفي تفاصيل للشاوكة من الإمام في قتل الخليفة «عنان» على أى وجه من الوجوه كان يمكن حدوثه — يكون الشاعر قد أبرأ «عليًا» من تهمة القتل براءة تامة بقوله :

وما لـ «علي» في «ابن عنان» سقطة

بأسر ، ولا جلب عليه ، ولا قتل
وقد بنى الشاعر أسر البراءة لـ «علي» على الخبيثيات التى غمَّتها
آبياته الطالبة حيث بينَّ :

أن «عليًا» كان ملازمًا لِقَرَّ داره لا يبرحه حِفَاظًا على نفسه أن
يُرى برشاش الفتنة ، وظل على ذلك إلى أن وافى «عمانًا» أجله .

وبناء على هذا أصبح التحدث في حق «علي» بغير البراءة لا يهدو
إلا أن يكون بهتانًا وزورًا لا يَحْتَمِلُ وزره غير القائل به — فـ «علي»
هو الوصى الوحيد الذى عليه السلام من بين أهل بيته ، وهو القارس
الملقى تُشْرَبُ الأمثال بشجاعته دفاعًا عن الإسلام .

ويستحيل على صاحب تلك المنزلة المثل أن يتورط بأي صورة من
الصور في أمر تلك الفتنة .

توالي النص لـ « شرحبيل »

الموقف السياسي : ويتلقى « شرحبيل » قصيدة « جرير بن الله »^١
رسول الإمام التي يتضح له فيها بطلان تمجيد الأمور كرامة أن
تكسبه أحداثها دون أن يتبين حقيقة ما تنطوي عليه ، فذمر وأخذ
يُعمل فكره فيما سمعه من « جرير » .

فـ « حل » يرى من دم حنان و « حل » الحق إلى جانبه
و « حل » قضى النبي عليه السلام ، ودرس أمة الإسلام ، ومقولة
« معاوية » عرض اختلاق لم يتم عليه دليل ، و « شرحبيل » بحسب أنه
في موقف التفرير به من قبل « معاوية » وهو المسئول عن التصحيح
لتسخر الرواي « معاوية » وإن لم يقتنع بالصحة فلا أقل من أن تسلم
لـ « شرحبيل » شخصيته من أن تخدع أو يفرد بها في سوق السياسة .
وبسبب « شرحبيل » لنفسه إثر نقطة مشامره التي تأثرت بالنصح
الذي سبق إليها في قالب وجداني اهتزت له أوتار قلبه كمرئى تهتز
نفسه لشعر — فما كان منه إلا أن قال :

« هذه نصيحة لي في ديني ودنياي — ولا والله لا أُجِلُّ في هذا
الأمر بشيء وفي نفسي منه حاجة »^(٢) .

نقطة نفسية دفع إليها الأسلوب الشاعري يحاول فيها « شرحبيل »
أن يطلب البراءة لنفسه مما يتهددها ديناً ودنياً — ولكن هل كانت هذه

المنفعة كهيئة بدفع « شرحبيل » إلى سلوك نهج السلامة بالاستجابة لما نصحه به « جرير » ؟

إن الأحداث التالية قد أثبتت أن التأمر الحثي للعد لجذب « شرحبيل » إلى جانب « معاوية » ليقتل الشام كله في وجه العراق إن قُضى للعرب أن تنشب بينهما كان أقوى من أى نقطة وأى نصح ! فقد نشطت جماعة التلغيف والتلفيق للهمة للعمل من بد أن أدرك « معاوية » أن الأمر يوشك أن يُقْلَت من يده، ويستعجيب « شرحبيل » لنصح « جرير » فأخذوا يتقاطرون عليه دخولا وخروجاً وم يظنون من أمر التلغى اغتيالاً للخلوة « عتيان » ويرمُون « علياً » بارتكاب هذا الجُرم، ويؤمنون عليه الشهادة بذلك باطلاً^(١)، ويورزون له كُتُبا تقطع بذلك .

وبما عظم الزيف على « شرحبيل » فيضنّف عن مقاومة الأكاذيب التي أُجيد إدخالها عليه نَحْلًا صِدْقًا ، فانقلب رأيه إلى حمية عارمة لقتل الخليفة « عتيان » وشجعت عزمته تمسكاً ضد الخليفة الإمام للقرى عليه .

ويبلغ ذلك قومه حيث ولايته (حمص) في شمال الشام فبرز عليهم أن يتركوه دون عنف في النصيح وقد قُشِيَتْ عليه الأمور بفضل الهداء السياسى لـ « معاوية » فينهض من بينهم « البارقي »^(٢) وقد حاله أن يرى

(١) راجع النص آنفاً

(٢) ابن أخت « شرحبيل » ، وكان ناسكاً متعبداً وكان من تابع « علياً » ولحق به من أهل الشام .

[خاله] وقد أشرف على الوقوع ضحية الخلداع والتزييف الذي يُعمّوه به عليه فأنشد باحساً (خاله) فاعياً عليه سوء تصرفه فقال : ^(١)
 لمر « أبى الأشتى » - ابن هند « لقد رمى

« شرحبيل » بالسهم الذي هو كانه

ولفّ قوماً يسحبون ذبولهم جوعاً ، وأولى الناس بالذنب فاعله
 فأنقى مجاهداً ضعيفاً نخاعه إلى كل ما يهون محمدى رواجه
 فطاطا لها لئلا رءوه يثقلها ولا يترزق للتتوى من الله خادته
 لئلا كل دثنا لـ « ابن هند » يدينه ألا و « ابن هند » قبل ذلك آركه
 وقالوا « هل » في « ابن عفان » خسة ودبت إليه بالثنان ^(٢) غوانه
 ولا والى أرسى نهرأ مكانه لقد كفّ عنه كفه ووسائله
 وما كان إلا من صحاب « محمد » وكاهم تفلى عليه مراحله
 البيان الأدبي :

المنف في الفصح فراء قد انصب على ما يلي :

- (أ) التأكيد على أن وإلى الشام قد أوقع وإلى حص في أحابيله التي.
 لن يبعو منها ، وبهذا يكون قد قضى على المستبطن السياسي
 والديني له ، وأسقط ذرة المبدعين المثلثة في شخص حاكم في (حص)
 (ب) استخدم في التلقيف والتلفيق عليه القوم من ساحى القبول ومن
 ذوي الثقة عند « شرحبيل » ^(٣) مما جعل نفسه تضئف وتحملي
 إلى التأثير بما يقولون .

(١) وقمة صفين ص ٤٩

(٢) لثنان بفتح العين البعض - وهو لثة في الثنان .

(٣) راجع اللقاء الأول بين معاوية ، و « شرحبيل »

= شير = اسم جيل

(ج) التعريض بضعف «شرحبيل» حَقْلِيَّتِهِ لثبوت من أجل كرامته ،
ويقف في وجه صنيع «معاوية» وما يديره من سياسة ،
ولا يضعف أمام حيله وتدبيره ، ويزيده تقريباً بدمته أنه ما ضعف .
واستعجاب لهم إلا حياً في الدنيا (ليأكل دنيا) يقال منها :
هل قدر التفريط في دينه ، ولكن الهداء السياسي لـ «معاوية»
سيعرمه مما يؤمل . فسَيَقْنَى عليه قبل أن يهاجها نال .
(د) القول على «علي» ليس غير خدمة دفعت إليها البغضاء ، فما كان
«علي» غير مصاحب لـ «محمد» على الوفاء والحب والإخلاص
والفداء بما أثار من أجل الحقد عليه .

ويتصل أمر هذه القصيدة بـ «شرحبيل» فدفعل بها نفسه وثوره
ويدلنا من أن تستفيق من النشأة التي حَرَمَتْها الاحتذاء إلى حقيقة الأمر
فرى التلقين والتلفيق وقد تمسكن من نفسه حرمة بصيص نور الحق
فاندفع بكليته سائراً في الطريق الذي رَسَمَ له دون أن يدري وهو يعتقد
أنه عين الصواب .

ولربما كان التمييز له بأنه الثباتي الضعيف المَسْوَق إلى حيث يراد له
خضوعاً منه لضروط تعرض لها ، وبأنه الطامع في الدنيا جاء ينشدنا
هند «معاوية» قد دفعنا إلى أن يسد أذنيه دون النصيح الوافد عليه
من قبل قومه^(١) وذوى رحمة .

(١) راجع اصح قوم «شرحبيل» له قبل وفود على «معاوية» .

زولجا كان الغمز له في شخصيته بالضعف ، وفي دينه بالرقة نتيجة
 لحب الدنيا كانا للشيئين لانتفاع التردد عند « شرحبيل » بل والاندفاع
 في خط « معاوية » لثبوت قوة شخصيته السياسية كوال يحكم الحسم
 للأمر — تراه لا يرى حزمة لعة الرجم بينه وبين « الهارقي »
 ابن أخته ، وبدلاً من أن يتصارع لتصفه إذا به يدهمه بأنه : رسول
 للشيطان ، ويهدده بتسييره إلى « معاوية » لينتقم منه — باعتباره الخرب
 عليه سياسته ، وما يهدف من ورائها .

ولا يجد « الهارقي » من وسيلة يضمن بها الأمن على نفسه وقد
 تهدده خاله الوالي سوى أن يتأخر الشام بأسره ويلحق به « على »
 في الكوفة — وما جدوى النصيح حتى ولو صيغ من دور القول في قالب
 شرى إذا كانت النفس قد مالّت إلى الدنيا كما قال الشاعر بما أعاها
 عن الهمر بالحق ١٩ .

إذن — قد أصبحت في موعد مع التهلك وعدم الداراة ، وانفتح
 الطريق أمام الخدمة لتتقد إلى نهايتها مظلّة بأطراف تكسوها بأثواب
 الذين لتنتل على أهل الشام — وقد هيء لها وجلها الذي أهد له دوره
 لينهض به كاملاً من بعد أن صح اقتناعه بما لثق له ، ولتف عليه ،
 وأصبح والى حمص يمثل مغلب القط في الدور السياسي الذي لمبه
 لحساب والى الشام في محيط دوائه وجبله السياسي .

مسيرة التآليب ضد الخليفة « علي »

الموقف السياسي : وما يليق « معاوية » وقد أدرك أن زعمه
والى « شرحبيل » قد أصبح مهيئاً لإنفاذ دوره من بعد ما كان بينه
وبين ابن أخيه حق يأمره بالسير في مدن الشام منادياً بأن « عليا »
مهل « عثمان » فكتب إليه قائلاً :^(١)

« إنه كان من إجابتك الحق ، وما وقع فيه أجرك على الله ، وقبله
هناك ضلحاء الناس ما خفيت ، وإن هذا الأمر الذي قد مرهقه لا يتم
إلا برضا العامة ، فيسر في مدائن الشام ، ولنا فيهم بأن « عليا » قتل
« عثمان » وأنه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه »

التعليق :

واللفت للنظر في الرسالة هو أسلوب الإنفاع المقيم على الرغم من
إقامته على أساس غير صحيح .

حيث بدأ بإقناعه أنه قد بلغ مرحلة من السير في طريق الحق الذي
أوجب له الأجر ورضى به الصلحاء من مواطن الشام — وما دام الأمر
كذلك فلا يسوغ لك القوتف أو الرجوع عن السير ، وهذا تضيق للفتن
على السامع حيث لم يكد له مهرب من إتمام المسيرة إلى نهايتها من بعد
أن تورط فيها شارك فيه — إذن فلا رجعة

ثم يوجه سؤالا إلى القادة في الشام بأن « عليا » قتل « عثمان »
لعمل من وراء ذلك إلى الإنفاع الجماهيري لأهل الشام بصحة التهمة ،

و « معاوية » يبنى من ذلك التكتيل لأهل الشام وراء دعوى المطالبة بدم « عثمان » .

وهكذا تصبح الرسالة إقناعاً في إقناع من بدئها وحق نهايتها . وكل هذا يتم في « معاوية » مُتَتَكِنٌ في دائرة الظلام بدبّر ، وبترك أتباعه يظهرون مقادين بما يريد في وضوح النهار — من بعد أن يكون قد صرح له الانقضاء للأتباع من ذوى التأثير في جواهر العامة لفُرْطِتهم بهم . و « معاوية » في هذا كوالٍ على بعض الشام يكون قد تمكن من السكسب لوالى (حمص) الشام وضمه إلى صفه طبقاً لطريقة إقناع أدخلها عليه ، ثم استخدمه بعد ذلك في الترويج لأهل الشام جميعاً بترويج دعوى قتل « علي » لـ « عثمان » .

إنها دنيا سياسية يمتد لها دعاتها وهي ما تزال مجرد مشاريع يفتنى منها الفكر ، ويقول قيادة التنفيذ لها داهية محنك ، ويستخدم الصنائع والأتباع يرسم لكل دوره في مقابل الوعد بقطعة من الدنيا تناسب الدور الموكول إليه تنفيذه — وربما لا يتأله شيء مما وعد به . فالسياسة نجفوا الأخلاق .

وكان من الطبيعي أن يبدأ « شرحبيل » التنفيذ بمباشرة دعوى التأليب ضد « علي » بين قومه وأهل ولايته وقتحه من أهل الشام في (حمص) فصار إليها ، وما أن بلغهم حق وقف فيهم خطيباً فقال :^(١) « يا أيها الناس — إن « علياً » قتل « عثمان بن عفان » .

وقد غضب له قوم فقتلهم^(١) ، وهزم الجميع ، وغلب على الأرض فلم يبق إلا الشام - وهو واضح سيفه على عاتقه ، ثم خاض به غدار الموت حتى بأنكم أو يحدث الله أمراً ، ولا نجد أحداً أقوى على قتاله من « مادية » فعذروا وانهمضوا »

التعليق :

(أ) الغلبة تمثل إشارة الهدى بالحشد والتسكيل لأهل الشام يستعدوا لقاء « على » المنتصر في معركة (الجمل) والفتنة للاتناض عليهم في الشام .

(ب) التصدير للخطبة بالصاق تهمة القتل لـ « عثمان » للإمام ، وإيرادها في صورة الحكم المتطوع بشيئ^(٢) مع الاستغلال للعاطفة الدينية لإلهاب مشاعرهم وحفزهم على الحشد والتسكيل - ولا أشد من العاطفة الدينية جُلُبا للقلوب وحَفْزاً للهمم .

(ج) إظهار « على » في صورة المتعشش للدماء دون رى ؛ حيث (قتل « عثمان ») ومن غضب من أجله (قتلهم) أيضاً - وفي هذا الغضب لأهل الشام أن خطر القتل يهددهم مثل سابقهم ذ « على » الآن (وسيفه على عاتقه) وليس لهم من ناصر منه سوى التهور لقتاله .

(١) إشارة إلى من قتل في وقعة الجمل .

(٢) الجملة اسمية أكدت بيان وجاهة بعد التوبيخ لها بالتداء للنبي . بأها الناس عما يشجأهم بحكم ثابت أكد مقرر عما يعين على تقريره في نفوسهم

« د » التعذيب من خطورة « على » فهو الذى (غلب على الأرض) ولم يبق أمامه سواكم ، وهو لن يعوان عن خوض (غمار الموت) إلى أن يصل إليكم فإن يفلتكم ، والرجل منقمر وأنتم قلة بالنسبة لمجروح الأرض التى احتازها — وفى هذا استتارة لروح التضامن بين الأقليات لتقاوم طغيان السكينة الزاحفة التى ضوشت لهم ، وبقي على هذا الدعوة إلى النهوض لقتاله حيث لم يبق سواه حاصماً من الخطر الماحق وصورة القتال أضعفاء الله المبتدئ الوحيد ، وأتى به فى المقابل للحق مضمناً إياه قوله : (أو يحدث الله أمراً)

« هـ » أوضحت الخطبة صورة التوزيع للأدوار على أشخاص القامئين بأمر القدير ضد « على »

فـ « معاوية » قد برز فى صورة البطل الحامى للنشود للخلاص من خطر « على » حيث لا نجد أحداً أقوى على قتاله من « معاوية » وارتضى « شرحبيل » لنفسه أن يكون الداعية له — وعلى الرغم من أن « معاوية » و « شرحبيل » كلاهما واليان على أقاليم شامية غير أن كلاهما قد اختار لنفسه دوراً يتلاءم وقلة السياسى طبقاً لقدرته وكفاءته .

فـ « معاوية » (داعية البلاد)^(١) وصاحب الوزن الثقيل بين القبائل العربية ، وابن الحامى تجارة العرب إلى الشام ، وأعرف الناس بالشام وأهلها منذ أمد بعيد ، وأطول الناس ولاية عليها امتدت زمان

(١) وراجع فى هذا الوصف قصيدة ابن أخت هـ مروى بن العاص ، الموجهة حته إلى عماله .

حكم خليفة (عمر ومثان) وقد بدأ القنادى به بطلا حاموا للشام بأسره .
وارفضى « شرحبيل » لنفسه دور الدامية ومغلب القط فى متفظ كان
فيه المدح والمثقف عليه (١) .

وكان لابد له من التهور الماعنى للجواهر من أن تصبح فقلوب
مشارم فيستجيبوا لها دون إدراك الحقيقة الأمر فيها فالجواهر لا عقل
لها III

صوت المعارضة

الموقف السياسى : غير أن الصلاء من أهل (حصن) لم تلغ هاهم .
موجة الحاس المعارضة فتقدم صوابهم ، فقاموا إلى شرحبيل بموضونه ،
ووقامون مسلحة مقاومة يمكن أن يقال فيها إنها سلبية غير أنها كفيلا
بإشعاره أنهم غير راضين ، ولن يشركوه فيما يفعل حيث قالوا له :
« هيهوئنا : قهورنا ومساجدنا — وأنت أعلم بما نرى » (٢)
إذن لقد أخذته المعارضة بإشارة ذكية أن ما يأتيه « شرحبيل » .
فوقته لا يمكن مقاومتها ، فلا أقل من أن تستزورها ويلزموا مساكهم (٣)
ثم يشركوه فيما وراء ذلك يتحمل المسئولية وحده كوال .

(١) راجع قصيدة (البارقي) الموجهة إلى خاله (شرحبيل) .

(٢) وقعة صفين ص ٥٩

(٣) أخذاً بحديث النبي عليه السلام مما يسلك أثناء الفتن من قوله : « الزم
بيتك ولو أن تمض بأصل شجرة »

ولم ينف صوت المعارضة عند هذا الحد، وإنما نجده يسلك طريقاً
آخر غير طريق المقاومة السلبية من الذين فضّلوا الدولة؛ فرى
« النجاشي الحارثي »^(١) يرفع صوته بالصالح الوالي « شرحبيل »
وتمخّذ به مغبة الاشتراك في أمر لا يدري حقيقة، فبعث إليه يقول :
« شرحبيل » ما لذيّن فارقت أَسْرَنَا ولكن لنُفَضِّلَ لَكَ « جبريل »
وشدنا دَهَتْ بَيْنَ « سَدِّ » وَيَلَهُ فَأَصْبَحْتَ كَالْحَادِي بِغَيْرِ بَعِيرٍ
وما أنت إِذْ كَانَتْ « بَجِيلَةَ » عَائِبَتٌ قُرَيْشًا يَا لَهِ بِمَدِّ نَصِيرٍ
تُفَضِّلُ أَمْرًا غَيْتَ عَنْهُ بِشِيرَةٍ وَقَدْ حَارَ فِيهَا عَقْلُ كُلِّ بَعِيرٍ
يقول رجالٌ لم يَكُونُوا أَمَمَةً وَلَا لِي تَقْوَى كَمَا بِمَحْضُورٍ
وما قول قوم غائبين تَقَافُوا مِنْ الْغَيْبِ مَا دَلَّامٌ بِسُرُورٍ
وتترك أَنَّ النَّاسَ أَخْطَوْا مَهْودَمَ « عليا » هل أنس به وسُرُورٌ
إِذَا قِيلَ هَاتُوا وَاحِدًا تَقْدُونَهُ^(٢) نَظَرُوا لَهُ لَمْ يُفْصَحُوا بِنَظَرٍ
لَمَّا أَنَّ نَشَقَ الْغَدَاةِ بِحَرَبِهِ « شرحبيل » ما ما جئته بِبَعِيرٍ
البيان الأدبي .

التصديده من نصح الصديق للصديق، وغواها يعطوي هل تايلى :
(أ) القى على « شرحبيل » صنيعة الدعاء ضد الخليفة « علي » بأنه
يقوم بدعوى للفرقة ولشقّ عبثاً الجماعة ومن أجل الخروج على
الحق، وهذا أمر ليس من الدين في شيء، وربما كان دافعه

(١) واسمه « قيس بن عمرو بن مالك » وكان صديقاً لـ « شرحبيل »

(٢) ضمن الفعل معنى تذهبوله - لهذا عدى الفعل بغير الياء

الفيض لشخص « جرير » رسول الخليفة « على » نتيجة لشعنا .
كانت بين (بجملة وبين قریش) .

(ب) الدعوة لـ « شرحبيل » أن يراجع نفسه - فلا ينبغي أن يكون
فِيصْلًا في أمر لم يشهده بنفسه اعتماداً على مجرد شبهة ثارت ضد
الإمام ، أو ارتكازاً على قول مَنْ لا يعتدُّ بهم من غير الرؤوس
في القوم (لم يكونوا أئمة) ولا متابعة مشوائية لهمة تلقاها من
لم يحضروا واقعة الاتهام - مما يقطع بأن الجميع قد قذفوا
الإمام رَجْماً بالغيب .

(ج) النصيح لـ « شرحبيل » ألا يَقْناسي ولا يفارق البهمة الأكدة
للخليفة « على » التي عَمَّتْ له عن اختيار ورضى ومحبة فقد عاده
الجميع (على أنس به وسرور) ولا يوجد من يمد له قيادة
وريادة الأئمة - وهذا تمرير بـ « معاوية » وبـ « شرحبيل »
لوقوفه إلى جانب الضمف المفضول .

(د) التأكيد للصدیق أنه قد ارتكب جَرَمًا فظيماً بانغاده موقفه
هذا - ولربما جَرَّ على نفسه الشقاء بدخوله حرباً ضد الخليفة
« على »

وفي هذا تمرير بموقف الخسران تجاه « معاوية » مما يمكن
اعتباره نصيحاً من طرف خفي للصدیق أن يتدارك نفسه قبل فوات الأوان
وضياع الفرصة ؛ فالمشاركة في مقاومة الخليفة الناهض بمسؤولياته اعتماداً
على مجرد شبهة قامت ضده لم يثبتها أى دليل - أمر أقل ما يقال فيه
لأنه حدث خطير لا تؤمن منهته (« شرحبيل » ما ما جئته بصغير)

مواجهة بين «جرير» و «شرحبيل»

الموقف والبيان : ويدخل « شرحبيل » على « معاوية » مطالبة إياه بالنهوض بواجبه في المطالبة بقتل « عثان » وعنده « جرير » من بعد أن قام « شرحبيل » بنشر التهمة المدعاة بين الخصمين من أهل الشام - قال (١) :

« شرحبيل » لـ « معاوية » - أنت جليل أمير المؤمنين وابن عمه (٢) ، ونحن المؤمنون ؛ فإن كنت نجاهد « عليا » وقتل « عثان » حتى ندرك بشارنا أو تفقأ أرواحنا استعملناك علينا ، وإلا عزناك واستعملنا فترك من نريد ، ثم جاهدنا معه حتى ندرك بدم « عثان » أو نهلك .

جرير (متدخل) يا « شرحبيل » مهلاً فإن الله قد حقن الدماء ، ولم يثبث ، وجمع أمر الأمة ، ودنا من هذه الأمة سكون ، فإياك أن تفسد بين الناس ، وأمسك عن هذا القول قولك لا تستطيع رده .

شرحبيل - لا والله - لا أسره أبداً ،

ويخرج « شرحبيل » فيتكلم في الناس عجاهاً بأمر التهمة فلا يملكون وقد أجهت مشاهيرهم إلا أن يقولوا : صدق صدق - القول مبالغ .
الرائى مارأى .

(١) ورقة صفين ص ١

(٢) بنى «عثمانا» ،

وهنا - يقتنع « جرير » وقد سمع ، ورأى ما رأى أن لا أمل في نجاحه في مهمته لدى « معاوية » وعامة أهل الشام .
التعليق :

وبما كان الموقف الحوارى بين « معاوية » و « شرحبيل » يحضر « جرير » قد أُعِدَّ قبلاً كأحد الخطوط المحددة خفية كيدا للخليفة « على » غير أن الحوار قد أبان عما يلى :

(أ) إظهار « معاوية » في صورة الولى الشرعى وصاحب الحق في المطالبة بدم « عثمان » (ابن عمه) وإيضاح أن القتال المتوقع شبه على الخليفة « على » ما هو إلا جهاد مشروع أخذاً بالتفاصيل من قتلة الخليفة القتال « عثمان »

وبناء على ذلك يكون التشدد الصادر من الوالى « شرحبيل » وللوجه إلى نظيره « معاوية » والتهديد له بالزلزال ما هو إلا حث له ودعوة إلى اتخاذ الخطوات التنفيذية لحرب الخليفة « على » ويسكون « شرحبيل » قد أظهر نفسه في صورة الصوت المبرر من رأى الأمة ونسى أو تناسى أن هناك الخليفة « على »

(ب) بيان اكتمال وحدة الشام في وجه الخليفة « على » من بعد أن وضع والى (حمص) نفسه ضمن هداد (المؤمنين) بحق « معاوية » في ولايته حق المطالبة الشرعية بدم (ابن عمه) وفي هذا إعلام للبعوث « جرير » بالجبهة التى تكونت في مواجهة « على » وأنها تضم الشام بأسره ولاة وعسكريهم .

وما كان لـ « معاوية » أن يصعد وقد برز اسم على صدر الأحداث
قد تولى المدخول الأمر عليهم ، وجماعة للصائمين له مهمة التجسيد
للقوف بهذا منه ، وصبح له أن يصمت انتظارا لتعرف على رد الفعل
عند مبعوث « على » وقد أُلقيت أمامه قنبلة (للطالبة بدم « عثمان »)
وَحُصِرَتْ ولاية المطالبة بدمه في « معاوية » .

ويجب « جرير » على النقاش الحوارى اقضى طرح بمضوره فبين
أن الأمة قد تهيأت لسكون وهدوء يؤمل لها أن يندوما بعد الاقتتال
والاحتراب إثر المخالفة للإمام للهاج « على » والتحذير لـ « شرحبيل »
وغيره من محاولة إثارة الصراع الداخلى للدمر للأمة من بعد أن
جُفِثَت الدماء ، وانتهى التعزق ، وقاوبها الاستقرار السياسى إثر معركة
(الجبل) .

هذا إلى جانب النصع العام بصرف النظر عن الأ كذوبة المدعاة
على « على » بأنه قتل « عثمان » وإلا فدون التجميل فى ذلك مجابهة أمور
قد لا يكون فى الإمكان التصدى لمضارها .

عود إلى المفاوضة

وعرض جديد

للقوف السياسى : يبدو أن « معاوية » حق هذا الحين لم يكن
واثما من نجاح دعوى التهبيج ضد « على » وقد بوشر التنفيذ لها :
لأخذ طريقها فى الانتشار بين أهل الشام بزمامة « شرحبيل » ومازال

« جرير » رسول الخليفة « على » موجودا في الشام يحاور كلا من « معاوية » و « شرحبيل » معاه أن يتوصل إلى حسم الأمر لصالح الخليفة بإقناع « معاوية » ومناصريه بصرف النظر عن الدعوى المفترقة على « على » وإحيائه بالمباينة والتنازعة .

و « معاوية » في كل هذا يلزم جانب الصمت الظاهري اكتفاء بأنه ولي الدم ، وصاحب الحق المشروع في المطالبة بالتفصيص من قتلته كما اعتبر نفسه ، وليس له من قاتل سوى الإمام « على » طبقا للتدبير الخفي الذي ألبس على الناس وأشيع بين أهل الشام باعتباره حقيقة آكدة . وتطول إقامة « جرير » في الشام يتابع الأحداث ، ويداعبه الأمل في أنه ربما يتوصل إلى الإقناع فتحتن دماء الأمة فتتعم باستقرار سياسي يتيح لها الفرصة في أن تصرف همها إلى الإصلاح الداخلي وربما التفتح الخارجي بدلا من ضياع قوى الأمة وزهرة شبابها في الصراع والقتاس والحرب .

ونظرا لما لهذا من صلاحية موقف البعوث « جرير » دون أن يتمكن « معاوية » من احتيازه إلى جانبه ، ودون أن يستطيع « جرير » إقناع « معاوية » ومناصريه ونظرا إلى طول فترة الترقب والانتظار دون حسم للموقف إلى جانب أحد — إذا بد « معاوية » يعمد إلى سلوك أسلوب للتفاوض مع المساومة — فيسمى إلى حيث يقيم « جرير » ويدخل معه في نقاش حوارى تفاوضي جديد بتنة الوصول إلى اتفاق سياسي يحسم الأمر ويقضى النزاع .

معاوية : يا « جرير » انى قد رأيتُ رأياً
جرير : هاتيه .

معاوية : اكتب إلى صاحبك يحمل لى (الشام ومصر) جباية ؛ فإذا
حضرته الوفاة لم يحمل لأحدٍ بيعة فى عنق ، وأسلم له هذا الأمر .
وأكتب إليه بالخلافة .

جرير : اكتب بما أردت ، وأكتبك منك :
التعليق :

ويكشف الحوار الذى معنا عن :

(أ) أن النعمة المفتراة والتلويع بدم « عثمان » لم يكونا غير عملية
ضبط سياسى يحاول « معاوية » أن يفهد منه قوة سياسية تهيئه فى مجال
التفاوض مع « على » إذا ما قُدِّرَ للتفاوض أن تنهى النزاع بينهما ..
(ب) اتضاح موقف « معاوية » بأنه يريد : أن يحفظ لنفسه بالولاية
على الشام ويضم إليها مصر (جباية) مع إعفائه من أن تلزمه البيعة
لن على الأمر بعد « على » .

وفى المقابل لذين الشرطه يقدم « معاوية » للخليفة « على » اعترافاً
صريحاً ببيوعته ، والتسليم بخلافته دون نزاع .

إذن — لقد تكشف الأمر عن صراع سياسى يبنى فيه « معاوية »
أن تكون له الولاية على بعض أصقاع تخبرها من أطراف الدولة يليها
فى حماة « على » دون أن يلزم نفسه البيعة لمن يليه ليمتص نفسه الفرصة
للتفاوض من جديد مع الخليفة الجديد .

وقد اتخذ « معاوية » من التلويع بدم « عثمان » مبرراً سياسياً

يَسْكُنُهُ من المداورة في المناوِضات الدائرة بهنه وبينه على ، والتي يتم
 فيها الصراع بين سلطة أغلبية في الدولة وحقه في بسط نفوذه على سائر
 بقاعها ، وخلص حقه في الولاء والطاعة له من قبل جميع الولاة دون
 استثناء ، وسقوط حقهم في الاشتراط عليه ، أو تعليق خلافته أو توقيفها
 على شرط — أى شرط مادامت الديمة العامة قد تمت له .

إنه الصراع السياسي يقف فيه الحق في مواجهة الدهاء ، وتستغنى
 فيه سائر أسلحته من احتيال واجتذاب وملاينة وتدبير ومداخلة وإسرار
 ضد أسلحة الحق من الوضوح والشجاعة والصدق والصرامة .
 إنها سياسة الدهاء تتطاحن مع سياسة الحق ، والتقاء الصراع بين
 الخطوط للصعوبة للتقوية بكل ما فيها من تجايف وتضاعف تسوخ فيها
 أقدام التصلب في الحق وبين الخط للسقيم بكل ما فيه من حدة واستقامة
 وصلابة بحيث يستحيل عليه أن يرى في وضع الليل والانحناء والطراوة
 والبرونة واللونة مادامت الريادة للحق ولا شيء سواه غير الثبات عليه
 والصلابة فيه .

وثنان بين كلمة وكلمة : كلمة الحق ملؤها الصراحة والوضوح
 تخرج بفضاء نقية صافية هدفها الظهور ، وأخرى تنفث صفراء حائلة — لها
 ماوراءها من سواد التدبير وسوء الطوايا والنوايا .

وما زال المجال حتى الآن تفاوضيا بين للتنازعين — يدور الصراع
 فيه حول قرع الكلمة بالكلمة ، وحك الرأي بالرأي ، ورمى الفكر
 بالفكر .

وكلاهما ينشد من وراء ذلك محاولة الوصول إلى حد الإقناع للآخر.
أو الاعتداء إلى فجوة تقتضيها خلال تمهيد عارض ربما تفتح له الفتوة
منها حيث يبلغ من ورائها مأملاً إذا ما قدر للمفاوضات السياسية أن
تستمر وتنتج وتنتهي النزاع ، ولم تكن هناك ضرورة إلى تحكيم
السيف بينهما .

وأطراف التفاوض في النزاع كلهم عرب — يجهلون الانتقاء ،
وحسن الاستخدام للكلمة المثيرة ، واقتداح الفكر الثوري ، وصواب
التبديد للمعنى ، ودقة التوجيه للرأي — وكل هذا يدور في معوكة
مفاوضات ساخنة يكثر فيها التلاطم والشدة والجلب ، ومن ورائها تملو
أصداء قنطرة السلاح .

توجيه من الخليفة

الموقف السياسي : ويكتب الوالي « معاوية » إلى الخليفة « علي »
مشترطاً كما سلف أن يكون له حكم (الشام ومصر) في مقابل الاعتراف
بمخلافته ، ويتسلم « جريز » الرسالة ويبحث بها إلى الخليفة « علي »
ويستطيع أن ننقلها مسبقاً بأن الرفض من الإمام للسامية والشروط
المعرضة عليه هو الرد الوحيد على تلك الرسالة فإما كان للخليفة الإمام « علي »
صاحب الخط السياسي الواضح الصريح في التزام الحق والاستمساك به أن
يقبل اشتراطاً أو تنازلاً معيناً في مقابل اعتراف والي بمخلافته — لأن الخليفة
« عليا » هو صاحب البيعة العامة للزمة لجميع الأمة بما فيهم الولاء —
حقاً طبيعياً ثابتاً له دون القبول لأي مساومة أو محاكمة أو اشتراط »

والإمام « علي » في حُكْمه لا يرتضى لنفسه إلا التملك لحقه كاملاً دون انتقاص وذلك :

(أ) لشجاعته التي تحول بينه وبين القبول بأي أسلوب لا يعطيه الحربية السكاملة في إطلاق يده في الحكم .

(ب) ولتبع الإمام الواضح إزاء مجابهة أي موقف في حياته كما عهدناه عنه يعتمد شق الصخرة في سبيل بلوغ غرضه ولا يتخذ المرونة طريقاً بالدوران حولها^(١) .

لما جُبل عليه من التزام الاستقامة كضيق وطبع في جميع شئونه مما يدعوهُ لأخذ حقه كاملاً أو للوث دونه سواء كان ذلك في تصرف شخصي أو في بيعة عامة تمت له .

ومثل الخليفة « علي » في شجاعته لا يرهبه خروج والٍ ولا تمرّد رعية إقليد عليه — فسيب الحق عنده دائماً على عاتقه مسلول « شرع » ، والجرأة تملأ قلبه ، ولقد سبق له السحق لمن حاول اغتروج عليه بعد أن بايع له^(٢) ولا يُقبل ولا يُقبل منه وحاله هذا أن يراخى أو يلابز أو يداخه أدنى قدر من الخوف أو التزعزع في مثل موقفه مع الوالي « معاوية » ومن شايبه من رعية أهل الشام .

(١) الأمر الذي جعل الخليفة « عمر » يصرف الخلاف عنه إلى « عثمان » بعد أن طعن . راجع حقيرة « عمر » للمقاد
(٢) أصحاب معركة الجبل وأشهرهم طلحة والزبير ومن تابعهما .

وهكذا — ترى الخليفة الإمام يسارع بالكفاية إلى مبعوثه
« جرير » قائلا : ^(١)

« أما بعد — فإنما أراد « معاوية » ألا يكون لي في عنقه بيعة ،
وأن يختار من أمره ما أحب ، وأراد أن يريثك حتى يذوق أهل
(الشام) . وإن « للنيرة بن شعبة » كان قد أشار على أن أستعمل
« معاوية » على (الشام) وأنا بالديعة فأبئت ذلك عليه ، ولم يكن الله
ليرواني أتخذ المضلن مضدا . »

لأن بايعة الرجل — وإلا فأقبل

التعليق

يبدو من رسالة الخليفة « علي » أنه قد صرح بهذه الإدراك
لما يلي :

(أ) أن الوالي « معاوية » يرفض البيعة له بأدى ذى يده .

(ب) أنه يشترط لنفسه ولاية بعينها حددها طبقا لرغائبه من الاعتراف
بخلافته إن أظهر الخليفة مرونة في هذا الأمر .

(ج) أنه يجري الآن تخطيطا للبعث المفوض « جرير » وبناتناح
له الفرصة ويطمئن إلى كسب تأييد أهل الشام إلى صفته .

إذن — فالوالي « معاوية » مصمم على أن تسكون له الولاية
على بقاع بعينها من الدولة الإسلامية يناهسا عن أحد طريقتين :

إما الطريق السلي الناتج من مفاوضات شبيهة مرة تحقق له هذا الهدف،
وإما بطريق الثأب والقوة بالوقوف في وجه قوى الخليفة الراحلة وهو
يعتمد من الآن لاحتمال مسئولية الفرض الأسوأ — وهو القتال إن
أبى الخليفة «على» الاستجابة للمرض المطروح عليه من الوالى «مماوية» .
وكيف يتأتى للخليفة صاحب الخط الواضح فى الاستمساك بالحق
مهما تسكن النتائج أن يقبل بمثل تلك الشروط ؟

وكيف يتأتى لوالٍ مهما يكن وزنه السياسى أن يشترط على الخليفة
المطامع له اشتراطات يمينها لبيابها ؟

والولاة ليسوا غير عمال لدى الخليفة ، وليس فى إمكانهم سوى
اللبابة أو الاعتزال ، وم عرضة للزل أيضاً من قبل الخليفة فى أى وقت
إن صح عنده أن أحدا منهم قد خرج عن حدود مهمته كوال يفتد
إليه بخدمة المسلمين فى أى صنف من أصناف الدولة الإسلامية طبقاً للأسلوب
الذى جرى النهج عليه منذ التأسيس لها فى عهد النبوة وسار الأمر عليه
فى (الخلافة الراشدة) القابلة له حتى آل إلى الخليفة «على» .

وبناء على هذه الاعتبارات ، وطبقاً لمضمون الرسالة فقد وضح أن
المروض المروضة على الخليفة أمور لا يطوق عليها الإمام صبراً ، وخطه
السياسى الواضح يرفضها ونضاً تاماً جلة وتفصيلاً ، ولا يقبل الخليفة
«على» فى الحق الثابت له القبول ببعض دون البعض ، كما أنه لن
يقبل ملاينة أو مصانعة أو سلوك نهج المرونة فى أمر خلافة تمت له فيها
البيعة العامة . خاصة أنه قد رفض الأخذ بمبدأ المصانعة السياسة ، وبما

تسفر الأحوال وهو لم يزل في المدينة وما كان في يده على اليقين من الهدنة غير الجزرة ، والأمور على أشدها اضطراباً - فكيف وهو الآن على مشارف الشام وقد دانت له الهدنة من أقصاها إلى أقصاها ولم يعد يستمعى عليه غير الشام ببعض أجزائها ؟

ويبدو من هذا أن للخليفة « علي » كان يدرك ما كان يستدل في نفس « معاوية » ويقتويه .

١٢ - فلح العنف والتشدد والحسم في ختام رسالته للوجهة إلى مبعوثه المفاوض حيث يطلب منه التسارعة بالعودة إن لم يسرع « معاوية » إلى المباينة .

ومادام الأمر كما ورد (مساومة على الاعتراف بالهزيمة) إذن فلم يعد يرجى من بقاء المبعوث للمفاوض في الشام كبير أمل في إحراز أية نتائج مفيدة متوقعة .

والرأساء بهذا الاعتبار تكون قد أنهت فترة الترقب والانتظار . للأمل في المباينة للرجوة من بعد أن انضحت نوايا الوالي « معاوية » كما أوضحت النعج السياسي للخليفة « علي » في رفضه الأخذ بهذا للصائفة في أسلوب الحكم .

ردود فعل البيعة المشروطة

للوقف السياسي : أحدثت الرسالة التي بعث بها الوالي « معاوية » إلى الخليفة الإمام عن طريق مبعوثه للمفاوض « جرير » والتي يرفض فيها

الاعتراف ببيعة الخليفة « على » ما لم يجعل له الولاية على الشام ومصر
وعلى أن يحله من إقامته البهيمه لمن يلى الأمر بعده .

أحدثت هذه الرسالة التي تضمنت البيعة للشروطة ردود فعل شديدة
ودويا مغليا بعد أن نشأ أمرها بين العرب وعلم بها الجميع ، فقد أثارته
عديدا من الشعراء وعلى الأخص بين القاصرين لوالى « معاوية »
فترى « الوليد بن عقبة ^(١) » يسارع بإرسال القصيدة التالية إليه والتي
فيها يقول :

« معاوية إن الشام شامك فاعصم بشامك لا تُدخِلَ عاملك الأفراسيا
وحام عليها بالقتال ^(٢) والقتال ولاتك عشرين أقدراعين ^(٣) وأنبا .

(١) مروان ولده « عثمان » السكوفه بدلا من « سعد بن أبي وقاص »
فقال له « سعد » وهو يسلمه أمر التولية ، لا تهرعن أبا إسماعيل فإنما هو
الملك يتفداه قوم ويتشاه آخرون ، فقال « سعد » : أراك ستجعلونها ملكا ،
وفي عام ٢٠ هـ عزل « عثمان » الوليد وكان من بعد أن صلى الصبح بالناس
أربما ، وشهدوا عليه بشرب الخمر فأمر « عثمان » بجلده فأحضر ونزع عنه
« حل » جلته وجلده « سعيد بن العاص » وروى اليعقوبي أن الجند له « على »
ما يحمل هذا الحادث سببا بارزا لتعامله ضد الإمام - هذا بالإضافة إلى
فكره الخاص الذي اعتبر خلافة « عثمان » هي الملك لبني مروان

البدائية والنهاية لابن الأثير ج ٧ ص ١٥٥

تاريخ الطبري ٢٧٤/٤ تاريخ اليعقوبي ١٦٠/٢

(٢) جوع الناس

(٣) أشلهما .

وإن « علياً » فاعز ما تحييه فأخذ له حرباً تشب النواصيا
 وإلا فسلم إن في السلم راحة لمن لا يريد الحرب، فأختر « معاوية »
 وإن كتاباً يا « ابن حرب » كذبت على طمع يزجي إليك الدواهي
 سألت « علياً » فيه ما لن تناله ولو نلت لم يبق إلا لواليا
 وسوف ترى منه الذي ليس بعده بقاء فلا تسكر عليك الأمانها
 أمثل « علياً » تستر به بخدعة وقد كان ما جريت من قبل كافيا
 ولو تشبب أظفاره فيك مرة
 هذاك^(١) « ابن هند » منه ما كنت حاذيا

البيان الادبي :

تدور أنكار النص حول ما يلي :

(أ) الدعوة لـ « معاوية » إلى التمسك بالولاية على (الشام) والنهوض
 بحق الدفاع عن ذلك دون تهاون أو تقصير يشن حرب موهلة ضد « علي »
 من بعد أن غدت الشام ملكاً لـ « معاوية » (الشام شامك) بفعل
 طول الولاية عليها وخبرته بحسن السياسة لأهائها وتمسكه من
 نفوسهم .

(ب) اقوم لـ « معاوية » على رساله الطبع التي يمت بها إلى « علي »
 يسأله فيها الولاية على (الشام ومصر) وأنها كفيلة بسوق العاصب تدرى
 عليه ولربما كان القوم منصفاً على التصريح والتكشيف لخلق النيات

(١) أعطاك وأذاقك ما كنت تريد إعطاءه وإذاقته له .

بطلب الولاية ، ولعل الشاعر « الوليد » كان يفضل لـ « معاوية » العمل .
الجاء للفرض للنوى دون التصريح به حتى لا يكشف أوراقه السياسية .
للآخرين (الولاية العامة على الشام)

تقد كان الشاعر مقنعا بأن مثل هذا الطلب لا حقّ لمعاوية فيه - كما
أن « عليا » لن يذيله إياه إطلاقا ، وإذا حدث أن أتاه إياه فليقرّ
قصيرة ثم سرّيا ما يسترده .

وهنا يهتدو الشاعر وهو يوحى بموامل الثقة في نفس « معاوية » .
بـ « علي » ويدفعه في نفس الوقت إلى عدم الاستسلام للتخليق في عالم
أحلام المظلة وسلوك السجّ العملي بالحرب وعمل ذلك بأن « عليا »
لا ينطلي عليه صور الخداع ، وهو صلب في الحق ، وبناء على ذلك فلن
تقال منه وغيبته التي ليست من الحق في شيء إلا بحرب إن لم تهدأ -
بها هدأك بها هو ، وإذا ما أنشب أظفاره فيك فلن يفاتك .

وفي هذا من الدفع إلى السارعة بحرب « علي » ما فيه !!!

وما أرى الدعوة الخبيثة لـ « معاوية » بين السلم والحرب (في البيت
الرابع) إلا إحصاء له ليسارع إلى ركوب ظهر موجة الحرب لتضيها
الوسيلة الوحيدة لاستخلاص حكم الشام من يدي الخليفة « علي »
والفريق لـ « معاوية » على عدم الاطمئنان إلى « علي » فهو المهلك
له إذا ظفر به . إذن - فن الأفضل أن يهدأ بالقتال .

وإذا كان « علي » الآن في موقف الترقب والانتظار حتى تمحّن له
الفرصة للاقتضاض فسارع أنت بمهادنة حريا تشيب النواصي ، فقله -
لا يهادني إلا بالحروب المهلكة !!!

ويجاء « الوليد بن عقبة » إلحاحه في رسائله الشعرية إلى « معاوية »
 داعياً إياه إلى التمييز لاقتعاد دُست الحكم ، والولاية على الشام ،
 والاستعداد لحرب « علي » الذي لن يرضى بذلك - فسكتب يقول ^(١)
 « معاوية » إِنَّ الْمَلِكَ جُبَّ غَارِهِ وَأَنْتَ بِمَا فِي كَفِّكَ الْيَوْمَ صَاحِبُهُ
 أَنَاكَ كِتَابٌ مِنْ « علي » بِمُطْلَعِهِ حَى الْفَصْلِ فَاخْتَرِ سِلْهُ أَوْ مُحَارِبِهِ
 وَلَا تَرْجُ عِنْدَ الْوَارِثِينَ مَوَدَّةً وَلَا تَأْمَنَ الْيَوْمَ الَّذِي أَنْتَ رَاغِبُهُ ^(٢)
 لَخَارِجِهِ إِنْ حَارَبْتَ حَرْبَ ابْنِ خُرَاقٍ وَإِلَّا فِسْلُهُ لَا تَلْبِسُ عَقَارِبَهُ ^(٣)
 فَإِنَّ « علياً » غَيْرَ سَاحِبِ ذَبَلِهِ عَلَى خُدَعَتِهِ مَاسُوعٌ لِلدَّاءِ شَارِبُهُ
 وَلَا تَقَابِلْ مَا لَا يَرِيدُ وَهَذِهِ يَقُومُ بِهَا يَوْمًا لَدَيْكَ نَوَادِيهِ ^(٤)
 وَلَا تَتَمَنَّ لِلَّكِ وَالْأَمْرِ مُقْبِلٌ وَتَطْلُبُ مَا أُمِّيتَ عَلَيْكَ مَذَاهِبُهُ ^(٥)
 فَإِنْ كَتَّ تَنَزَّى أَنْ يُجْهَبَ كِتَابُهُ قُبُحٌ عَمَلِيهِ وَقُبُحٌ كِتَابُهُ
 فَاتَّقِ إِلَى الْحَيِّ الْيَمِينِ كَلِمَةَ تَنَالُ بِهَا الْأَمْرَ الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ
 يقول : أمير المؤمنين أصابه حَدَثٌ ، وَمَا لَمْ ^(٦) عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ
 أَقَاتِنُ مِنْهُمْ قَاتِلٌ وَمَعْضُضٌ بِلَا تَرَةٍ كَانَتْ ، وَآخِرُ سَالِمِهِ

(١) موقعة صفين ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) تخشاه وتخافه .

(٣) لا تثر غضبه .

(٤) لن يقبل التخاذل إطلاقاً .

(٥) تشهد بصواب قولي بها الأيام .

(٦) محاولة - استخلاص حكم الشام من علي ، سلباً .

(٧) مآلام بتسهيل المهمة (عاونهم وسالدهم) .

وَكُنْتَ أَمِيرًا قَبْلَ الشَّامِ فَهَكَمْ نَفْسِي وَإِلَاكُم مِّنَ الْحَقِّ وَاجِبِهِ
خَبِيرًا وَمِنْ أَرَسِي ^(١) تَبِيرًا مَكَانَهُ نَدَامُكُمْ بَحْرًا لَا رَدَّ غَوَارِيهِ ^(٢)
خَافَ قُلُوبًا وَأَكْثَرًا ^(٣) مَا هَذَا الْيَوْمَ صَاحِبَ سِوَاكَ فَصَرِّحْ لَسْتُ مِنْ تَوَارِيهِ ^(٤)
الْبَيَانُ الْأَدَبِيُّ

تنبهو التصيدة في فكرها إلى الدفع لـ « معاوية » إلى سلوك الحرب
لاستخلاص ملك الشام قسرا من يدي « علي » فهو لا يجوز عليه إطلاقا ^(٥)
أساليب التذاع منها أَحْكَمُ - كأن يقول بما تطلبه منه من استمرار
الولاية عليها إلا بنصر حربي يرغبه على القبول به .

ويتضح من النص أن « الوليد » مدرك تماما للعناصر المميزة لكل
من شخصيتي الإمام ومعاوية .

فاغلبه الإمام رجل لا يقبل التعامل بأسلوب التذاع ولا ينطلق عليه
ذلك ، ولا يمكن إجباره على القبول بما لا يريد عما يعتقد أنه ليس بمن
ولا بصواب ، وـ « معاوية » نظرا لقوته في الدماء يبيع لنفسه الأخذ
بأسلوب التفاوض محاوره ومناورة ومداراة له يحقق ما يسمي إليه سلما
إن أمكن عن طريق الملاينة والرونة في أسلوب التعامل السياسي .

(١) اسم جيل . (٢) أقال أمواجه .

(٣) أي منها أكثر أو أقل من حجاج وماذير تبديها فالوقوف الآن
يظهر أن ليس الشام من أحد يليه ويشلكه سواك .

(٤) لا تمكن من أهل الواربية في المطالب وإن كانت ملكا .

(٥) لاحظ ما المصدرية الظرفية قبل الفعل الماضي (ما سوغ) مما يقطع
بعدم عدم قبول الإمام لأساليب التذاع إطلاقا .

ومن هنا نلاحظ الإلحاح على « معاوية » من « الوليد » أن يكون واضعاً وبذلك أقرب الطرق الموصلة إلى غرضه مباشرة بالحرب، وي طرح أسلوب الخداع والتفادى في مفاوضات تلك أسلوب المسألة - لما يرام - من عدم التوافق وانعدام جدوى ذلك لفوارق الواضحة بين التبعين للثناوين الذين يستعمل بينهما الوفاق ، فـ « على » في سياسته صاحب أسلوب الحق الصراح والصلابة في الاستمساك به ، و « معاوية » يتهج أسلوب الهدوء السياسي - والأسلوبان يستعمل عليهما إما سكون الفراق في نقطة تجمع بينهما فضلاً عن التفارب أو الوفاق .

ومن هنا جاء الأمر الناصح من « الوليد » لـ « معاوية » (غارب) وأن يستعمل المفاوضات التي تعتمد الخداع والهدوء أسلوباً فعلياً لا ينبغي الأخذ به في التعامل مع « على » لأنه يدرك حيل الخداع - إذن - فلن تكون لهذا الأسلوب أية فائدة، وما دام الأمر كذلك فمن الصواب اللجوء إلى البائدين وكسبهم إلى صفه بالعمد إلى خدعة تجوز عليهم (كلمة تنال بها الأمر) حيث يمكن قبولهم لهذا الأسلوب، وحارب بهم « علياً » وثبتت ملكك على الشام ، وهذا أمر لا ينبغي إخفاؤه أو الدوران حوله بعد الآن ، بل يجب التصريح والجهر به من بعد أن لم يصبح للشام من صاحب سواك وملكك للشام يمكن أن تكون صاحب الملك لسائر بقاع الأمة العربية بأسرها - رجوع كفتلك بأهل الشام من بعد أن قد جب غارب للام وأصبح ملكاً متاحاً لصاحب القوة الأقوى دون نظر إلى جذور أو أصول أو مراعاة لأسس أو قواعد أو أخلاقية ١١

والمذهب السياسي عند « الوليد » يتمثل في الدعوة إلى اغتنام الفرصة ما دامت ظروفها مواتية ، وبهذا ينصح « معاوية » فادامت رياح الملك مقبلة فلا ينبغي إلا احتياها ، وليس بينه وبين التمكن منها إلا حرب تثبت الملك على الشام ، وتعلمه الفرصة لدأبها إلى سائر أركان الدولة ، وليس في ذلك من خيار له « على » بمنطق الملك ولا يمنعه انخداع — فنحن علميا في فكرك ، ولا نستجب لرؤى أحلام اليقظة نجرنا إلى الضياع بسلك أسلوب التفاوض غير المجدي :

ولا تدمن الملك والأمر مقبل وتطلب ما أعيت عليك مذاهبه !!
والفسكر العمل عند « الوليد » يتمثل في التوجه مباشرة إلى الغرض قصد نيته ، والحصول عليه من أقصر طريق ، وطرح أساليب التفاوض جانباً فهي لن تجدي مع « على » وربما صلحت مع غيره — وما أتبعها من وسيلة يمتد فيها إلى الأخذ والرد (تقبح عملية وقبح كانه) إذن — فلا مناص لك من انتهاز الفرصة للواتية والتي ربما لا تواتيك ثانية إذا ما أفلتت !!

والخيارات المروضة في صدر القصيدة (لخاربه وإلا نسلم) .
ما أتى بها إلا ليقتلها ، وليظهر عدم جدواها مع « على » وليست معروضة لبيان إمكان الأخذ بها ، فالاصم على الحرب هو الهدف تنبيهاً وامتناداً للملك للواتي ، وهو الحل الوحيد الذي يمكن التعامل به مع الواترين الذين وصفهم بذلك^(١) ، إذن غارب وليس لك في الحرب من خيار .

(١) ويعني بهم الإمام « على » ومن وقف إلى جانبه .

الوضع السياسي إثر مقتل عثمان

الموقف السياسي : طالت إقامة مبعوث الإمام للفاوض « جرير » لدى « معاوية » وتبادل الرسائل قائم ، والأمل في نجاح المفاوضات يتقاع « معاوية » لم ينقطع ، وصير للمبعوث المفاوض لم يتفد على الرغم من طول الانتظار لبارقة أمل تؤدي إلى انفراج الموقف ، فظل على الترقب لومض البادرة ، ولم يهمل أساس مهمته كبعوث ممثل للإمام يعمل لها غه - فكان أن خرج يقنص الأخبار^(١) ويتشممها على صعيد الرأي العام الحر المنطلق للعير من حقوق ما يشمل في ضمير الناس هميدا من المواقف الرسمية التي تحسبها الصنعة لتؤدي أهدانا مرسومة .

وبينا حرق تطوانه في المنطقة التي اختارها مهدانا له يستعجل من خلا حقيقة الرأي العام إذا به - وقد أهدق في تجواله - بفلام على قمود يتشد ما على^(٢) :

(١) ورد في النص « يتشمم الأخبار » ص ٥٤ وقمة صفين .

(٢) وقمة صفين ص ٥٤ - ٥٥

حَكِيمٌ^(١)، وَدَمَارٌ^(٢)، الشَّجَا، وَوَعْدٌ^(٣)
 وَ أَشَدُّ^(٤)، وَ الْمَكْشُوحُ^(٥)، جَزُوا الدَّوَاهِيَا
 وَقَدْ كَانَ فِيهَا «الزَّيْدُ»^(٦) صَبَاحَةً
 وَصَبَاحُهُ الْأَدْنَى أَشَابَ الدَّوَاهِيَا
 خَامَا «مَلَى» فَايْتَنَافَتْ بِبَيْعِهِ فَلَا أَمْرَ فِيهَا، وَلَمْ يَكُنْ نَاهِيَا
 وَقُلْنَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مَا شِئْنَا بِمَعْنَى
 وَإِنْ قُلْتُ: أَخْطَا النَّاسُ لَمْ تَكُنْ خَاطِيَا
 وَإِنْ قُلْتُ عَمَّ الْقَوْمَ فِيهِ بِفَعْلَةٍ غَضِبْتُكَ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي كَانَ كَانِيَا
 فَقُولَا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ «مَعْدُ» وَخَصَّ الرَّجَالَ الْأَقْرَبِينَ لِلْوَالِيَا
 فَأَيُّقُلُ «عَثَانَ بْنِ عَفَانَ» وَنَطْلِكُمْ
 عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ لَيْسَ إِلَّا عَمَادِيَا
 فَلَا نَوْمَ حَتَّى نَسْتَهْجِعَ حَرْبَكُمْ
 وَنَغْضِبَ مِنْ أَهْلِ الشَّنَانِ^(٧) الْعَوَالِيَا^(٨)

(١) حَكِيمٌ بِنُ جَبَلَةَ بِنُ حَصْنِ الْمُبْدَى - كَانَ مِنْ مَحَالِ «عَثَانَ» عَلَى السَّنَدِ
 ثُمَّ الْبَصْرَةِ .

(٢) دَمَارٌ بِنُ بَاسِرِ الصَّحَابِي

(٣) عَمْدٌ بِنُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ

(٤) مَالِكُ بِنُ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِ الشَّاعِرِ النَّابِغِي، وَكَانَ قَدْ قَدَّمَ مَعَ أَمَلِ

الْكُوفَةِ (٥) الْمَكْشُوحُ الْمَرَادِي

(٦) الزَّيْدُ بِنُ الْعَوَامِ - وَكَانَ مَقْرِبًا إِلَى الْإِمَامِ، وَقُتِلَ هُوَ وَطَلْعَةُ فِي

مَوْقِعَةِ الْجَلِ

(٧) لَفْظٌ فِي الشَّنَانِ بِمَعْنَى الْبُضْ (٨) الْعَوَالِيَا

وبعد أن فرغ الفلام من إنشاده لم يملك للموثن « جرير » إلا أن
حاوّر الزلام ليستطلع حقيقة صاحب الرأي المبرّر فقال :
جرير : يا ابن أخي : مَنْ أَنتَ ؟
الفلام : أنا غلام من قریش ، وأصلی من تمیم .
أنا ابن للقبيلة بن الأحنس بن شريق — قُتل أبي مع « عثمان »
يوم الحار .

وهنا يتملك المصعب « جرير » لاتضاح صورة موقف الإمام وبراءته .
ما زَيَّ به ، فإكان من الموثن إلا أن سَجَّلَ الشمر وشمته رسالة
يحث بها إلى الإمام ليظلمه على حقيقة الموقف لدى الرأي العام بهذا من .
الرميمات في الولاية الخارجة عليه — وقد كان صدى رد القصيدة
للعصيدة لدى الرأي العام عند الإمام إثر بلوغها إياه أن قال :
والله — ما أخطأ الفلام شيئاً .

البيان الأدبي .

وبلغص الفكر في القصيدة الرأي العام في ولاية الشام ، وموقفها
من الأزمة الناشئة في نهطتين أساسيتين :

أولهما : إن الخليفة الإمام « علي » أبرأ الناس من المشاركة في أمر
الفتنة وما أدَّتْ إليه — بحيث يمكن القول بأن الإمام هو الشخص
الوحيد الذي كان أهد الناس عن مقارفة أخطائها — وما وراء ذلك قول
فيه ما شئت بحق الجميع من عداة في إمكان تخطئهم — حيث لزم يده ،
ولم يقدخل فيها بأى وجه من الوجوه (فلا آمر فيها ولم يك ناهيا) هذا
بأن الإمام كان مطمح الآمال العامة للناس في تلك الأثناء بأنه يملك

تقدرة الحسم للأزمة وإيقاف نيرانها للتأججة الزاحقة لما له من عظيم
الميزة في النفوس حيث لم يكن يوجد من الكبار سواء، ولربما كان
لموقف اعتزال الإمام للفتنة عظيم الخطر في اضطراب أمور الأمة بعد
أن تجرأت الجماهير الفاضية على الخليفة، وأهزته القدرة على كبح
جراحهم، وغشيت الأمة الفواشي - ولكن كيف كان يمكن للإمام
التدخل وليس بيده أية مسئولية، أو حق يبيح له التدخل اللهم إلا
خود الشعمى وعظم منزلته في النفوس، ولم يستخدم أباً من ذلك
فقد كان الأمر فتنة غشيت الجميع، وأطاشت منهم صواب التصرف
فلم يتخذوا أى إجراء يحاولون به إيقاف نيران الفتنة التي انتهت بمقتل
الخليفة « عثان » ومن هنا كان النعى من الشاعر على الصعابة والتبرين
(أَيْقَتْل « عثان بن عثان » وسطكم) والاستهجان لهذا الموقف الذي
أدى إلى قتل « عثان » وهو بين أظهرهم .

وقد رتب على هذا الاعتبار القول بأنه لن يكون هناك تفريط في
القصاص لمقتله، وأنه لن يعوق عند حد القصاص فقط؛ وإنما سيكون
له إلى إيقال إلى أبعد مدى تعالى تستباح فيه الحرمات ويُقضى فيه على
الخصوم ولا فلا نوم ولا راحة .

فأجابهما : القصيدة تعبير بمثابة الإعلان للحرب صادر من أهل الشام
وموجه إلى من أنهموا يقتل « عثان » بنية القصاص له من بعد أن
أعذر الشاعر إلى وجهاء الأمة من كبار الصحابة الذين أنهموا بالتقصير
باعتبار أن دم « عثان » لا ينبغي التفريط فيه ، أو القصاص في
القصاص له .

إذن - لقد استند عزم الرأي العام على التقصص والانتقام إلى أقصى حد من بعد أن فقدت الأمة مسئولها الأولى وولى الأمر فيها الذى كان موكولا إليه هذا الحق يمارسه بنفسه حيث قد اغتيل هو نفسه ولم يبق بعد ذهاب الخليفة للفتال من يقوى على تحمل مسئولية الضرب على أيدي المايقن أو يجزس ألسة للمهيجين ، ويسكف هكازى القرس عن التماهى فى إيقاد نيران الفتنة عاتية خضوعها منهم لنيل مأرب خاصة أو منافع معينة ، أو دخلوا فى الفتنة ليمثلوا فيها غالب القط لحساب غيرهم ، أو كانوا مجرد غوغاء جرفهم تيار الهياج العام من بعد أن أفلت زمام القيادة ، وانعلم الضبط والربط وبذلك من أن تعلم نيران الفتنة وهى فى بدء شوبها إذا بانعدام المسئولية بمد مصرع الخليفة عثمان - يترك زمام الفتنة لحوج الرياح تمصف بها نعم الأمة الإسلامية بأسرها لا تحديد مهمة المبعوث المفاوض

. الوقف السياسى : تطول مهمة للمبعوث المفاوض فى جرير هدى والى الشام دون أن تتضح أية تميمية للمفاوضات التى طال أمدها دون انضاح لنجاح أو لإخفاق ، وقد استدمى مكث المبعوث مطولا فى الشام الشك هدى العامة عند الإمام فى أنه ربما يكون قد وقع ضحية لإغراءات هرقت عليه هناك فى رجاب الشام ، فل إليها وفارق مهمته ، وحكج موقفه الخليفة الإمام -

وهكذا - دار الحديث على الألسن بين أتباع الإمام ، وصلا الحديث واستطار حتى بلغ الإمام فى صورة اتهام يدور حول للمبعوث

للفاوض لم يُبَيِّنْ كُنْهَ بَمَدٍ - وأقل ما يمكن أن يوجه المبعوث من اتهام هو مخالفته لأسس مهمته التي بُعث من أجلها دون تحديد لنوع التهمة والتي تتراوح غالباً في مثل تلك الأحوال بين الإجحال والتقصير وبين المظنوع لموامل الإغراء للمروض عليه من الطرف للفاوض إن كان تمت إغراء حيث تسوء التهمة صُدّاً في سلم الفساد فتصل إلى حد الخيانة .

ولما علا صوت الاتهام للمبعوث للفاوض عند الخليفة الإمام لم يجد بداً من الحسم في هذه المرة التي لم تتضح لها نهاية على الرغم من طول الوقت الذي استغرقته .

وإلى هنا لم يجد الخليفة الإمام مفراً ، من أن يعين حقيقة الموقف ، ويستجلب الأمر - فما كان منه إلا أن واجه مُنْهَى المبعوث للفاوض عنده بقوله : « وَكُتِّ لِرَسُولِي وَفَعَّالاً يَتِيمَ بِمَدِهِ إِلَّا عُدُوّاً أَوْ عَصِيّاً » ثم عد إلى تحرير الرسالة التالية لمبعوثه « جرير »^(١) .

« أما بَمَدٍ - فإذا أتاك كتابي هذا فاحل « معاوية » حل الفصل » وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْحَزْمِ ، ثُمَّ خِيَرَهُ بَيْنَ حَرْبٍ مَجْلِيَةٍ أَوْ سَلْمٍ مُخْطِئَةٍ ؛ فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَابْذُلْهُ ، وَإِنْ اخْتَارَ السَّلْمَ فَخُذْ بِبَيْتِهِ » .

التعليق :

يبدو من أسلوب الرسالة أن النشأنة الإمام كان يستشر أن الأمر بينه وبين والي الشام لن ينتهي إلا بحرب - وربما كان هذا إحساساً منه بأن هذا الوالي يمينه لا ترده إلى صوابه وتقنمه غير الحرب ، ولن يرتفع التسليم بحق الإمام في الغلانة ويبايعه عليها سلفاً .

والإمام بشجاعته التي مهدت عنه ، وبجاريه الحربى للشرف متفتح
بأن الحرب أبسر وسيلة هذه يمكن أن يقنع بها معارضيه إذا ما تميزت
حلا أخيراً بلجأ إليه - وآخر الدواء السكينة ١١

لذا - نراه قد طرح في رسالته اختيار الحرب أولاً (حرب مجلية)
مقدماً لإماماً على السلم ، وأعطى مبدؤة تفويضاً مسبقاً بحق إعلان الوالى
« معاوية » بالحرب قوّر اختياره لما على السلم - مما يكشف عن شجاعة
الإمام شجاعة يمكن أن يقال فيها إنها ربما تكون قد تجاوزت حد
الثقة بالنفس إلى حد افتراض توافر الاستعداد والقوة الدائمة له ثقة
بمن حوله من تايده ، وقد كان في هذا الاعتبار ما كان فيه مما كشفت
عنه الأحداث فيما بعد .

ومبادئ الإمام التي يمتنعها مثلاً يستمسك بها تملّ عليه الحرب
الصرحة في ذاتها كحرب بكل ما يمكن أن تنجلي عنه من مهالك !
فهو رجل الصراحة والوضوح حتى في الحرب التي تمهد الأرواح ،
وشجاعته تُباعد بينه وبين سلوك الأسلوب السواسى للعيب الذى حشوه
المعاورة والخداع والتضليل والمؤنة بحلل للرنة والليونة والنعومة -
اقتناعاً منه بسلامة موقفه ووضعه التشريعى كخليفة مباح له .

إذن - فهو غير حريص إلا على الحق الصراح يناله بالحرب الصريحة
ولو تهددت حياته - وأما ما ألما من أهوال ومخاطر فلا اعتبار لما عنده
خوفاً على السلم في مجال الاختيار المطروح فهو خطوة والإمام يقبل بأقصى
الاختيارين .

وفي هذا ما يدل على أن الإمام ربما كان يستشر ما لوالى الشام

« معاوية » من مرام لمطامح لن تحقيقها له غير الحرب - لكونها مطامح
لن تقف عند حد إشمال نيرانها من أجل الاحتفاظ بحق الولاية على الشام
قطر ، وإنما الأمر يعلو صُعداً حتى يهاج حد التطلع إلى الخلافة ذاتها .
وبناء على هذا يمكن تفهين وضع والى الشام إذا ما هاج رضى بأنه
يكون قد وقف عند الحد الأدنى من مراده حيث الرضى بالعمالة على ولاية
ها ببطا بقدره أمداً بعيداً من حدود مقام الخلافة .

والإمام فى كل هذا صاحب الحق الشرعى الذى لن يرضى به إلا كاهلاً
غير متدروس وإلا دون الانتقام الاحتراب الصريح - كما أنه مستمسك
بشهادة العربى التى لانسج له بأن يستلم الملا إلا على أسنة الرماح .
وما أن تبلغ الرسالة للمبوث حتى يتوجه بها كاصداً « معاوية »
وعندما انتهى إليه أقرأه بإياه ثم تيمها حوار بدأه المبوث « جرير »
طائلاً :

جرير : يا « معاوية » إنه لا يطمع على قلب إلا بذنب ولا يُشرَح صدر
إلا بقوبة - ولا أظن قلبك إلا مطبوعاً - أراك قد وقفت بين
الحق والباطل كأنك تنظر شيئاً فى يدى غيرك .

معاوية : ألتاك بالتموصل أول مجلس إن شاء الله^(١) .

البيان الأدبى :

لوقوف الحوارى بين للمبوث للفاوض وبين والى الشام الذى تم
إثر ورود رسالة الخليفة الإمام يقطع سلامة موقف للمبوث ، وأنه

ما زال على ولائه للخليفة مما طال تلبّثه عند الوالى، وما صدّ رمته التعاوبيل للإقامة إلا قصد استهضاح موقف الوالى الذى لم يكن قد وضع حق هذه اللحظة، ولو كان قد استبان أن الموقف فى غير صالحه لما توانى عن قطع للتفاوضات والاتفاق بالإمام، ولكن يظهر أن الأمل فى إقناع الوالى كان لا يزال يراود للبعوث.

قد واجه الوالى « معاوية » بأن قلبه قد استغلق دون التفتح لتقبل الحق (ولا أظن قلبك إلا معابوها) مما أطال مكثه أملاً فى محاولة التغلب على هذا الانغلاق، وكان موقف الوالى حتى هذه اللحظة مَلَصّاً بالنموض وعدم الانضاح إلى الحسد الذى لا يمكن الحكم عليه بيسر وسهولة مما إذا كان موالياً طامئاً أو عاصياً مخالفاً وذلك لتأرجحه فى موقفه بين الحق والباطل مما دعا للبعوث لأن يؤكد له ذلك التأرجح الصريح (أراك قد وقفت بين الحق والباطل).

هذا - والإقامة المطوّلة للبعوث فى الشام جعلته يدرك كثيراً من حقائق موقف الوالى، وحقبة الأوضاع الداخلية فى الولاية ورواى بها الإمام^(١).

ويبدو أن رسالة الحسم الصادرة عن الخليفة والخيرة لوالى بين الإذهان بالمباينة وبين الحرب قد بلغت وهو لم يمسك بزمام الشام تماماً بيد. لذا نراه يلبّث للبعوث إلى أول مجلس قال ليوافيه بالنصر والتفصيل فى الأمر، ويدرك للبعوث « جريراً » أن ردّ القليب ما هو إلا حيلة

(١) راجع قضية التلام الثغنى

لا لقاط الأناس ريثاً بعده ما يمكن أن يثق به ويطمئن إليه وهو لم
يصله حتى تلك الآونة ، فما كان من المبعوث إلا أن ضيق الخناق على
الوالي بأنه يبدو وكأنه ينظر حدوث وضع سياسي معين تدور أحداثه
في الولاية ولم تخلص إليه نتائجهم - فسكات إجابة الدهاء السياسي -
بالطلب وطلب الفسحة في الوقت (أتمالك الفصيل في أول مجلس) ولربما
امعدت الألام بأول مجلس وطال أمد انتظار انعقاده ، وظل لاوقف
على ماهو فيه من غموض .

كل هذا يحدث والمبعوث على ولائه ووفائه ، والتعميد لأمد

مهمه .

وطول الألام التي استغرقها لم يكن وراءها من -بب غير غموض
موقف الوالي ، ولم يكن المبعوث مضمض العينين أو مخدوعاً فيما تدور به
الأحداث في ولاية الشام ، وإنما كان مدركاً وعلى وعي - ولكنها
السياسة - رغبة الرولة ، وابنة الدهاء يُنتقمها الإحياء ، ويُفسدها الاندفاع
وتسكركه الجوع ، وتضاد التهور ، وتلفيز من الإلحاح .

لقد اضطر المبعوث المفارض أخيراً أن يجيء والي الشام بحقيقة موقفه
المقارجج بعد أن انضج تأرجحه ، وبعد أن وردت رسالة الحشم من
الغليظة الامام المطالبة بتعديد المواقف ، ولم يكن المبعوث المفارض غير
شجاع لم تتفعل عنه شجاعته ، ولم يدل من الإخلاص لمهته طول إقامة
في الشام ، أورشاة عيش فيه ، أو تحمل من الولاء للغليظة الإمام

الإعلام بالحرب

الموقف السهاسي : وما أن يفرغ الشام من اليمامة لـ « معاوية »
 حوطين قلب « معاوية » إلى مسافلتهم له ، ويستوثق تماما بهم حتى
 يمارح إلى استدعاء للبهوث للفاوض ويطلبه بقطم للفاوضات قائلا :
 يا « جرير » لخلق بصاحوك !!

ويزوده برسالة موجهة إلى الخليفة الإمام ورد فيها ما يلي :^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

(من « معاوية بن صخر » إلى « علي بن أبي طالب »
 أما بعد — فلم تروى لو بأهلك القوم الذين يأمرك وأنت ترى من
 حم « عثمان » كنت « كافي بكر وعمر وعثمان » رضى الله عنهم أجمعين .
 ولكن أغريت به « عثمان » المهاجرين ، وخذأت عنه الأنصار ،
 فاطاحك الجاهل ، وقوى بك الضعيف .

وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتل « عثمان »
 فإن فعلت كأنث شورى بين السديح .

ولم تروى ما حجتك على كعبتك على طلعة والزير — لأنهما بأهلك
 ولم أبأهلك .

وما حجتك على أهل الشام كعبتك على أهل البصرة — لأن أهل
 البصرة أطاعوك ، ولم يطعك أهل الشام .

وأما شركك في الإسلام ، وقرايتك من رسول الله ﷺ ، وموضعه

(١) الكامل للمبرد ص ١٨٤ ، الامامة والسياسة ١ / ٨٧

من قريش - فليست أدفعه .

ولم يسكتف الوالى « معاوية » برسالته هذه - وإنما أضاف في نهايتها قصيدة قالها الشاعر للوالى « كعب بن جعيل » ونصها كما يلى :

أَرَى الشَّامَ تَسْكُرُهُ مَلَكَ الْعِرَاقِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ لَهَا كَاهُونًا
وَكُلِّ لَهَا حِمْلٌ مِنْهُنَّ يَرَى كُلُّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ دِينًا
إِذَا رَمَوْنَا رَمَيْنًا وَرَمَيْنَا مِثْلًا يُقْرَضُونَا (١)
وَقَالُوا « عَلِيٌّ » إِمَامٌ لَنَا قُلْنَا رَضِينَا « ابْنُ هُبَيْرٍ » وَضِينَا
وَقُلْنَا نَرَى أَنْ تَدِينُوا لَنَا قَالُوا لَنَا لَا نَرَى أَنْ نَدِينَا
وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ خَرَطَ التَّقَادُ وَضُرِبَ وَطَعْنٌ يُقْرَأُ الْعِيُونَا
وَكُلُّ مُتَرَفٍّ بِمَا عِنْدَهُ يَرَى غَتًّا مَا فِي يَدَيْهِ سَحِينَا
وَمَا فِي « عَلِيٍّ » لِمُسْتَعِيبٍ مَقَالٌ سِوَى ضَمَّةِ الْحَدِيثِ
وَيُنَادِيهِ الْيَوْمَ أَهْلُ الذُّنُوبِ وَرَفَعَ الْقِصَاصَ مِنْ الْقَاتِلِينَ
إِذَا سَجَلُ (٢) عَنْهُ حَدَا (٣) شَبَهَ وَجَى الْجَوَابِ مِنَ السَّائِلِينَ
فَلَيْسَ بِرَاضٍ وَلَا سَاخِطٍ وَلَا فِي النَّهَاءِ وَلَا الْأَمْرِ
وَلَا هُوَ سَاءٌ وَلَا سَرَّةٌ وَلَا يَدْرَأُ مِنْ بَعْضِ ذَا أَنْ يَكُونَا
البيان الأدبى : مما يُلَفَّظُ على جواب والى الشام « معاوية » الخاص .
باعتدال موقفه - قد حوى رسالة وقصيدة .

أما الرسالة فى إجمالها فكانت إعلاما بالحرب بناء على اعتبارات .

(١) مثلما يقرضوننا - من الإقراض مع حذف لَوْنٍ دفع جوارا

(٢) سئل

(٣) سئل بتسبيل المهمة

(٢) ساقى

جميعه وردت فيها ، وقصيدة الشاعر « ابن جَعِيل » تضمنت الإعلام
بالحال الراى العام فى الشام الرافض لخلافة الإمام عليهم وتحكم أهل العراق
خبيم ، والرضى بخلافه « معاوية » وولايته عليهم . وقد حوت الرسالة
فى تفصيلها ما يلى :

(أ) خلوها فى صدورنا من الألقاب التى نحدد أقدر الأشخاص
ومناصبهم حيث وجهت من « معاوية » إلى « على » - ولعل الوالى
تحدد من إقفاله الألقاب إنفاذاً لهما على حد سواء فى تساوى الودعوس
للتنازعة سياسياً ، وفى هذا الرفض الضمنى للاعتراف بخلافة الإمام .
وخشونة أسلوب الرسالة يتبدى من تحكك « معاوية » بتسميته نفسه
بـ « ابن صخر » وايس بـ « ابن أبى سفيان » أو « ابن هند » كالأسماء
شاعره - ولعلها رغبة فى التسمية ، النخشة إلى ما كان فى الجاهلية من
تسميتهم أبناءهم لأعدائهم ، ولربما قصد الوالى بهذا إعلام الإمام بمدى
خلافة الصخرية للتوارث ، ولعله أراد التقليل من طغيان اشتهار الإمام
بالشجاعة ليعاود تطهين نفسه أنه على قدم المساواة معه فى هذا المضمار ،
وإلى أنه لن يبلن فى خصومته منه .

(ب) إلقاء تهمة قتل « عثمان » على « على » .

ويتهنئ على هذا اعتقاران :

أولها : أن البراءة من هذه التهمة إذا وجدت كفيّة برفع مقام
« على » إلى مصاف « أبى بكر » و « عمر » و « عثمان »
ومادامت البراءة لم تثبت له ، وإنما الاتهام به ألصق إذن -

فلن يلحق « حل » بالراشدين (طبقاً لما تعنيه عبارته) وهذه محاولة من الوالى لدفع الإمام بعيداً حتى لا يلحق بركب الراشدين وبالقائ طعن في صحة البيعة التى تمت للإمام - حيث يحاول أن يثبت أن البيعة قد تمت للخليفة الإمام وهو متهم بعدم البراءة من مقتل « عثمان » الخليفة ، وقد (أغرى به المهاجرين) و (خذل عنه الأنصار) ^(١) .

والثلاث بتهمة القتل للخليفة « عثمان » كقيلة بحسب البيعة عن الإمام ، أو تنفير العامة من المباينة لقائل خليفة المسلمين لو صح هذا الاتهام المزعوم .

فأ - نراه استخدم أسلوب القرض (لوما يملك القوم وأنت تبرىء) لمصح له الناتج الذى يبينه وهو عدم براءة الإمام .

(ب -) تصميم أهل ولاية الشام على قتال الإمام .

وإظهار ذلك في صورة إجماع عام حاصم لا يسه وهو الوالى غير تنفيذه ، ونسبة ذلك التصميم إلى أهل الولاية (أى أهل الشام) لاقتالك) وصرح ذلك عن نفسه ليظهر الوالى في صورة المنفذ لنقط لإرادة الإجماع العام في ولايته .

وتعليق رضى أهل الشام عن الإمام وترك قتاله على شريطة ، أن يسلمهم قتلة (الخليفة) يوحى بأن الإمام عارف لقتلة بأعيانهم وهذا

(١) راجع نض الرسالة .

يقتضى سبق العلم بأحوالهم وتهيئتهم - وعلى الرغم من ذلك - ضمنهم الإمام إلى جماعته - مما يقوّي من محاولة الوالى إلصاق التهمة بالإمام قسراً .

(د) عدم التسليم بصحة البيعة العامة التى تمت للإمام جباراً

نهاراً برضى عام من جماعة المسلمين ، ومحاولة الضغط السياسى عليه . بإخراجه من قائمة المرشحين للخلافة حتى وإن استجاب إلى اشتراطهم ؛ فعلى سبيل الفرض لو سلم التفتة لأهل الشام رأى الخليفة إحراجاً جديداً حيث تطرح الخلافة من جديد بين عامة المسلمين - يتشاورون ويبدون . رأيهم فى أمر الخلافة ومن يصلح لأن يتولاها عليهم - متشغلين فى ذلك . مأم من البيعة الفاجزة القائمة للإمام وكأن شيئاً من ذلك لم يحدث !!

هذا - ويُلاحظ أن للشورى العامة التى يُراد طرحها لم يرد فيها أى ذكر لشخص الإمام كمرشح للخلافة يمكن أخذ رأى عليه ، والباية هـ - وتلك محاولة فيها التعصّب على الوجزة لشخص الإمام عن الخلافة (هـ) الفرض لأن تكون البيعة التى تمت للخليفة مألّمة للوالى

« معاوية » أو لأهل الشام أتباعه .

ويسوق الوالى فى سبيل إثبات صحة ذلك أقبيسة ناجحها بيرثو ويرى *

أهل ولايته .

فـ « معاوية » يخرج نفسه من الحجة التى لُزمت « طلحة » و« الزبير » كما يخرج أهل الشام بنفس الطريقة والأسلوب - لأنهم رفضوا طاعة الإمام - إذن - ما لُزمهم الحجة التى لُزمت أهل البصرة . الذين أطاعوا ، والوالى فى كل هذا يحاول إغلاق الباب دون الإمام فى .

مجال النزاع السياسي ولا يسلّم له بشيء إطلاقاً يمكن أن يفيد منه في تقوية مركزه السياسي كخليفة ، ولم يسلّم له إلا مستوثراً في الإسلام ، وقراجه من النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلو مكانته في قريش — من بعد أن رأوا أموراً لا تُدافع ، ولا يمكن غنطها أو الطعن عليها .

ورسالة الحرب هذه يحاول فيها والى الشام التماس من الولاية للخليفة الإمام مستبوعاً لنفسه إلقاء تهمة اغتيال الخليفة « عثمان » عليه ، والطمع في حمة خلافته القائمة من طريق التشويش عليه بتهمة مُفَرَّاة لم يتم عليها دليل ، وقد نكّب الوالي من نفسه ولها لدم « عثمان » يطالب به باعتباره قراجه ، ونيابة عن أهل الشام الذين يلهمهم باعتباره آخر ، وما اعتباره أن لم يسلّم له واحد منهما يمكن الحكم به على حمة نسبته إليه — كما لم يقوِّض في الادعاء بهما نيابة عن الأمة ، أو عن الأولياء القريبين للخليفة القتال .

وما أن يتم للوالي عثمان تأييد الشام في نزاعه السياسي حتى يبدأ بإعلام للمبوض للتفاوض بقطع للتفاوضات وخلع الإمام وإعلانه بالحرب إن كانت قد سمحت له بيمينه — وكل هذا إذا لم يُلْزَم الإمام للشروط الخزية التي حاول فرضها عليه ، والزج به إلى محاذيرها — وذلك بأن يضطره إلى الاعتراف بجمعة لم يرتكبها ، ولأن لم يكن ارتكبها فقد آوى مرتكبها ، وإذا ما تحقق السمعيل الذي يفرضه الوالي فحينئذ يبرأ الإمام نياً يتلاق بهذا الجرم ، وهذا تطرح الخلافة في شورى عامة بين المسلمين مسرّعاً لاختلاف القائمة لانطوائها على تهمة قتل لم تتم البراءة منها بعد .

هذا - هو موقف والى الشام الذى يطوِّع الأوضاع والظروف لتكون فى صالحه السياسى طبعاً لما انتقوا من الاسمانه فى التمسك بولاية الشام كمدى أدنى لمطالبه ، وبمبمع للوقف نيا يعاقى باغلانة القناعة محاولاً بذهائه السياسى أن يمهلهما تجاهه وتناحيته إذا ما أمكنه التناجح فى التفتيشية لموقف الإمام وزعرخته عنها بالطمع - عليه فى محبة البهيمه له ، أو بالحرب تشب على حق أو بدون حق .

إنها السياسة لاغير تفعل أفاعيلها ، والفلبة فيها لمن يمهده الفئول لأحاييلها أيقاعاً بمنصه ، وللميرة فيها بإحراز الفوز عليه دون نظر إلى حمة الوسيلة المسلوكة توصلاً إلى الغرض .

وتلك مصيبة كبرى حلت بالهولة الإسلامية منذ أن تم الفصل فيها والتجريد للسياسة من الأخلاق - فلو ظل الخلق القويم أسلوباً ملتزماً فى السياسة كهذا لايسوغ لأحد التفريق بينه وبين السياسة الأمة تحت أى اسم أو دافع لما داخلت المجتمع الإسلامى نزعات الفرق والتشتت والتمزق . إن عملية الفصل هذه هى الهداء الجديد القديم الذى مازال يعمل من كم للسلب الضم شياً لاوزن له فى عالم الأرقام والقوى المالمية على الرغم من ضخامته ؛ فلو لُزِم الخلق لما وُجد التنازع والعصاير وما يترتب عليها من ضرر ، وللم كيان المجتمع من التفتت ، ولا نصر فجهتد الأمة بأجمعه إلى البناء والتطور والتعضر - الأمر الذى يبنى أن يقتانس فيه المتنافسون - لأن ما تبغله الأمة من جهد فى علاج رأب الصدوع ،

هوذا الشوق لا يبقى لما على أى قوة يمكن أن تستمرها في البناء —
 خلاصاً من حسن الظن في إمكان التقدم ومحاولة الساق بركب الحضارة
 للسرعة في خطاه والذي لا تخلو نفس إنسانية سوية من الأمل في محاولة
 تحمّله ، واعتماد مجلس الصدارة منه لتعديدها كما كانت في عهد الأول
 — حضارة خيرة بنّاءة — خيرها موفور مهذول للإنسانية جماء دون
 تحفّرة لأى اعتبار كان ، فنحن نشأ فقط مجرد أصحاب دعاوى حضارية
 لم تبرهن الأيام على صحتها ، واسكننا أصحاب عراقة في عالم الحضارات —
 نجيح الإرساء لأسسها على أصلح قواعد ، ونشرها نوراً وهداية وعرفانا
 على الدنيا بأسرها دون أن يشوب ذلك تعصب أو تمكّث أو استغلال ،
 ودون اصطلاح لقوة أو ركوب للهاوية تسلط قوى العلم الدربة والميدروجينية ،
 ليعتلا فعلهما في بنى الإنسان قفلاً وتخريباً ودماراً في عصر حضارات
 التدمير التي تحكم العالم ، ونحلي عليه حالة رهب جعلت الناس يمحون وهم
 من خوف الحرب في حرب — لانعدام الجانب المطلق القويم ونقصه من
 السياسة فأضحت بدلونه مساورة ومداورة وتفشية وخداعاً !!!

المذكرة التفسيرية لحيثيات الرّفَض

وأما قصيدة الشاعر « كئيب بن جَعِيل » التي ذيل بها « موانة »
 رسالته . فهي أشبه بالملحق التفصيلي أو للمذكرة التفسيرية التي تُلحق ..
 بنصوص الماهدات في عصرنا الحاضر — لتسكون مرجعاً يوضح الغموض
 والذي قد يستري النص أحيانا ، واتسكون الفضل عند الاختلاف على
 جزء من النص الأصلي .

وهكذا — اعتمد الزالى « معاوية » على قصيدة « ابن جعيل »
لتسكون موضحة لوجه نظره فيما يمرضه على اخطيئة الإمام من حيثيات
الرفض ليهمة والظلم في خلافته لانتهامه بدم البراءة من دم اخطيئة للمقاتل.
« عثمان » هذا إلى جانب الرفض الصريح من أهل الشام (كما ورد على
لسان الشاعر) من أن يتحكم فيهم أهل العراق حيث اعتبر الشاعر أن
(النزاع إقليمي) يرفض فيه إقليم سيطرة إقليم آخر عليه .

وتلك نظرة سياسية ضيقة مال إليها الشاعر واعتمد عليها كمبرر
سياسي لرفض أهل الشام الطاعة للخليفة الإمام ، وبهذا — يكون قد
أخرج النزاع السياسي الفاض ضد اخطيئة إلى نزاع إقليمي يؤدي إلى
تفتيت كيان الأمة .

وقد بنى الشاعر الفكر الراض في قصيدته اعتماداً على المحميات

التالية :

(١) فالرفض والكراهية متبادلان متأصلان بين الإقليمين ، وقد
ساقهما كهيئة رئيسية أولى صدر بها قصيدته ، وقد رتب على هذه الحقيقة
الاستعداد للنجزة والتعارب بين الإقليمين بناء على اعتبار عدم قدرة
أحدهما على الاحتمال للآخر ، أو التقاضى عن أى محاولة للتحكم وفرض
السيطرة على الإقليم للناظر .

وللحق بالرفض هو سلطان العراق الزاحف إلى الشام بقيادة اخطيئة
الإمام وإن كان الشاعر قد طرحه في صورة تشبُّه بالتساوى في الرفض
مهادلة بينهما — فليست الشام هي الزاحفة ، دون محاولة العراق
السيطرة بالرى والاصابة لها والقتل يوقه بها أهل الشام بغية الإيقاع

والنيل والاشفاء والانتقام ، ومحاولة فرض الطاعة علينا أمر دونه
(خطر القتاد) .

وإذا كانت إمامة «علّ» في موضع الرضى بالعراق ففي المقابل
إمامة «معاوية» سرّض عنها في الشام .

وبادل الشاعر في النزلة بين الروض للفتازة حيث أقامها حل
حد سواء وكأنهما واليان تنازعا الاقسام لما تحت أيديهما من أرض
هلوان عليها .

وتجاهل الشاعر أساس النزاع للتصمير في وجوب التسليم والطاعة
والاعتراف بخلافه «علّ» للبايع له ببيعة عامة لُزمت جميع الولاة على
سائر أقاليم أرض الخلافة ، ومن لم يرتضها منهم فليعتزل الحكم من
قِبل الخليفة القائم بالأمر .

(ب) وبوال الأشاعر حيثيات رفضه لحكم الإمام فيذكر : أن
«علياً» قد آوى إليه مرتكبي جريمة الاغتيال الخليفة «عثمان» (أهل
الذنوب) وفضلهم على من سواهم ورفّع القصاص عنهم ، ولعل هذه
الحثية قد صادفت هوى في نفس الوالى «معاوية» حيث جاءت متوافقة
ورأيه الذى جمع عليه أهل ولاية الشام ، وتصدّر على أساسه القيادة لهم
في المطالبة للخليفة الإمام بقتله «عثمان» وإلا فليس يرى
من دمه !!!

وما يسوع في عرف عام أو قانون خاص ولاسيا في الدولة الاسلامية
أن يسطط الحاكم حمايته على مذهب واضح الذنب ومشهود عليه بارتكابه
له - جل شأن للذنب أو للرئسك أو قل دون أن يُعاد بذنبه -

كالا يسوع لوال أو خليفة ملزم لشريعته مفذها وعلى الأخص الخليفة الإمام أن يلقى حداً حده الله ، وجعل فيه الحياة للجموع — ونحن مازلنا في صدر الإسلام. وكيف يمكن أن يتأتى ذلك من الخليفة الإمام صاحب الشرف الذي لا يُدافع في الإسلام ^(١) ؟

إنه الادعاء السياسي الذي يسوّغ إلصاق التهم دون تثبت أو حياء أو رعاية للمكانة في جانبها الديني أن يُرمّون بها ، ودون اعتبار لإمكانية صدور التهمة أو عدم صدورها عن ألقبت عليهم ، وألصقت بهم !!!

(ح) وما يزال الشاعر يلقى بهم على الإمام فيدعى عليه أنه يمس الأمور ، ولا يقطع فيها برأى — خاصة إذا ما سئل قصد الاستبانة لحقيقة سئل التهم التي ساقها نيران الفتنة للبشرية .
ويبدو أن رزاة الخليفة الإمام قد حالت بينه وبين الخوض في أحداث غشيتها الغواشي ، ولم يقع له بها علم ، فلزم حدود نفسه ، ومدى علمه ، ولم يحتمل نفسه مسئولية ليست له ، ولا تدخل إلا في حدود المسئولية المناطة بشخصه .

وكيف يتأتى للإمام الخوض في فتنة بدانت فيها الأحداث وتدخلت مسرعة بحيث استعصت على الإيقاف لها في مناباتها ، أو التغاضي لشرورها عندما صفت بكل سلطة في طريقها ، واستعالت الاستبانة لحقيقة ما تم فيها .

(١) راجع رسالة معاوية ، إل الإمام التي شهد له فيها بذلك .

وعلى الرغم من كل هذا يسوق الشاعر حيثية أخيرة مؤداها : أن حقيقة موقف الخليفة الإمام إبان الفتنة كانت غير مدركة ، فهو لم ينصع عنها بسلكه على إزاء الأحداث يمكن أن تستشف منه حقيقة موقفه أحو راض أم سائح - كما أنه لم يداخل فيها على أى صورة من صور التدخل من أمر أو نهى .

وهذا تحميل للإمام مسئوليات لم تكن له صفة رسمية تحول له حق التدخل فيها ، وإهام سقيم له بالسلبية التامة .

وماذا كان يرجى من الإمام أن يفعله إزاء فتنة طاغية نهضت في أطراف الأمة وتجمعت مكتسعة في طريقها كل قوة ، وتطورت مستشرية حتى أدت إلى اغتيال الخليفة رأس الأمة ؟ كل هذا و « على » ليس بنائب له يدهش بالأمر بهذه ، ولم يكن بصاحب مسئولية على أى وجه من الوجوه تسوَّغ له اتخاذ إجراء أى إجراء حتى يعدهى مساءلة البطل في اتخاذه ثم إصدار الأحكام الجائرة عليه بناء على هذا البطل !!!

حرب الرسائل

للقوف السهامي : ويدخل الخليفة الإمام وجل الدولة والخليفة للبايع له ميدان حرب الرسائل ، والأخذ والرد مع والى الشام « معاوية » الرافض لبيعتة ، ويبذل الإمام قصارى جهده محاولاً تفنيد الدعوى والقهم إلى رماء بها « معاوية » .

إن للقوف الأساسى منحصر في أمر والى الشام الذى لم يبايع كما بايع غيره ، وكان الحل يبدو متحصراً فيما يلى :

(١) أن يبايع « معاوية » كإبايع الناس - إن كانت نفسه مستريحة لخلافة الإمام .

(ب) أن ينزل الوالي الولاية - اعتماداً على عدم رضا عن الخليفة البايع له - إن كانت له وجهة نظر مخالفة لما أجمع عليه الناس ، وانفتح هو شخصياً بسلامة ما ذهب إليه من رأى .

(ج) أن يدخل في حرب تقوّ مصيره كوال ، ومصير الخليفة للبايع له كصاحب حق في بسط يده على سائر بقاع الأمة .

والذي نلاحظه أن والى الشام قد نجح في جرّ الإمام إلى الدخول في نزاع جانبي ، ومصرفه عن الحسم في الأمر الأساسي (والى الشام الرافض للبيعة) والذي يدخل في عرف السياسة تحت اسم (الوالي للشق أو الخارج من طاعة الخليفة) .

لقد دخل الإمام في مُنْعَرَج محاولة دفع تهم التقصير في حق الخليفة للثقال « عثمان » والغذلان له ، وللهالة عليه ، والدفع الإمام في هذا للسخط بقوة ومراحة صاحب القلب النقي - سالكاً طريق إحقاق الحق في طوفان التهم بكل ما انطوت عليه نفسه من استقامة .

لقد بذل الإمام جهداً مضاعفاً في التضيق لهاموى رماه بها الهداه السيلسي المضاد له ليعقّق من ورائها غرضاً سياسياً قصيداً بهيمه ، وكانت التهم سلاحاً استُخدم لبلوغ ذلك الغرض .

وقد أفلح الهداه السياسيون في استقراغ جهد الإمام في دوامة النقي للانهامات وطلب البراءة منها ، وضاعت تهمة التجريم لمعيان الوالي الرافض لبيعة الخليفة ، وعلّت نيران فتنة الانهام للإمام بالقتل ، وخبّت

أصوات جريمة الخروج والانشقاق والدعيان ، وشغل الدهاء العامة
بقضية قتل الخليفة « عثمان » لم يتم فيها القصص !
ويعظم الجرم لحدوثه في مجتمع إسلامي حياته في القصص وإلا عاد
إلى عُرْف الجاهلية في الثأر والانتقام .

إن جريمة قتل الخليفة « عثمان » جريمة اغتيال سياسي له مُلابساته
وظروفه السياسية والاجتماعية التي دفعت إليه ، وليس بجريمة قتل عادية
يسهل فيها التعرف والاحقراء إلى مرتكب الجريمة ، أو يمكن فيها
الوصول ببسر إلى دوافع القتل أو مبرراته ، وحيث تقتضي ظروف
الجريمة وتقتضي على التعرف والاتضح لسائر اللابنيات للصاحبة لها
فلا يمكن إبتاع القصص كحدثيها فاجز - ولكن أين هذا من جريمة
فتنة عارمة هبت من سائر الأصقاع ، وأسهمت فيها دوافع ماخفي منها
أكثر مما وضح !

وهل كان الإمام « علي » والخليفة « عثمان » حياً يملك حق اتخاذ
موقف علي معهن إزاء سرلان طاع لفتنة في صفوف المجتمع بأسره قريبه
وبميده - والحال أن يده خلو من أي سلطة ؟

وما الصفة الرسمية التي كان يمكن أن يضفيها على نفسه لو كان قد
اتخذ إجراء معيناً اعترض به أمواج الفتنة المصطاحبة معخطياً سلطات
الخليفة القائم بالأسر ، والمباشر لصلاحياته^(١) ؟

(١) لم يقصر الإمام « علي » ، في حق عثمان ، فقد ماله بعد أن حُجب
في المسجد وهو يطلب نصره ، وكان مع علي طلحة والزبير يشكون إليه -

وإجمال الأمر يقضي القول بأن قضية الاتهام للإمام وجوبه -
الإمام في التهمة لنفسه كان دخولا في معركة جانبية ثم فيها التركيز
عليها على حساب القضية السياسية الأساسية الأولى - قضية الخليفة
المبايع له ، والوالى الرافض للبيعة !

من هذا الباب هوّد الخليفة الإمام إلى التراسل مع « معاوية » بعد

ما يحدونه من أمر الفتنة الناشئة ، ويرد الأمور على د عليّ ، بما يفضيه
فيصرف .

ويبحث د عليّ بابنه والحسن ، ليكون إلى جوار « عثمان » عوناً ضد
من اجتمعوا عليه فيصرفهم « عثمان » عنه صياحاً وطرّاً .

ويستقتل « الحسين بن علي » دون « عثمان » مع نفر من أهل المدينة بعد
أن حسب وصرح متفقاً عليه ، وعند ما يستفيق يأمرهم بالانصراف
راجع السكّان لابن الأثير ج ٣ ص ٨٠ - ٨١ ط دار الكتاب العربي - بيروت .
وعندما بلغ المتألبون على « عثمان » أطراف المدينة حاولوا اصطحاب
الإمام د عليّ ، و « طلحة » و « الزبير » معهم فجزّروهم وبخّوهم ، ورد الإمام
على كل حمة وجهوها إلى الخليفة « عثمان » ، كما وضع لهم موقفه - ولكن
التمردين كانوا قد فاجأوا المدينة بقدومهم ، واستولوا على أم مداخلها ،
وصهروا أهلها شبه عاجزين - انظر البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٤٦

ولم يكن أحسن أهل المدينة يتصور أن الأمور قد تتطور وتنتهي بصريح
التخليفة « عثمان » ، الذي رفض أن يقتل أحد دفاعاً عنه ف « زيد بن ثابت »
يقول له : « هذه الانصار بالباب يقولون : إن شئت كنا أنصاراً هزبهين »
فيقول « عثمان » أما القتال فلا ، ويقول هذا لأبي هريرة وعبد الله بن الزبير

- انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٧٠

أن قطع المفاوضات ، ورد المبعوث المفاوض وأمله بالحرب ، وربما اعتقد الإمام أن الأمر هين ولا يمدو أن يكون مجرد تهمة ناتجة من تقولات ليس لها ما يثبتها ويكنى فيها التقيد لإزالة آثارها ، وإلامة المجعة على البراءة منها ؛ فأبقى باب الإقتناع مفتوحاً من طريق الترامل وفيه ينقذ وينقذ ويقترح المجعة بالمجعة ويقيم الدليل والبرهان ، ويمد في حال الصبر رغبة في السلم ، ويصد عن المسارعة إلى اتخاذ إجراء حربي يحسم به الموقف ، ومال إلى عاوة لإحلال الكلمة محل السيف في حل الخلاف السياسي — فسكعب إلى « معاوية » (١) :

من « علي » إلى « معاوية بن صخر » :

أما بعد - فقد أتاني كتاب امرئ ليس له نظر يهديه ، ولا قائد يرشده - دعاه الهوى فأجابه ، وقاده فأنهم - زعمت أنه أفسد عليك بهن خطيتي في « عيان » ولمعزى ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا ، وأصدرت كما أصدروا .

وما كان الله ليجمعهم على خلافة ، ولا يفرج بهم بالعمى ، وما أمرت فيلزمني خطيئة الأمر ، ولا قتلت فيجب علي القصاص .

وأما قولك : إن أهل الشام هم الحكماء على أهل الحجاز فهات رجلاً من قريش الشام يلقب في الشورى أو تحمل له الخلافة - فإن زعمت ذلك كذبك للمهاجرين والأنصار وإلا أنتك من قريش الحجاز .

وأما قولك : ادفع إلينا قطة « عيان » فما أنت و « عيان » ؟

لَمَّا أَنْتَ بِجَلٍّ مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ ؛ وَبَنُو « عُمَان » أَوَّلَى بِذَلِكَ مِنْكَ . فَإِنْ
وَحَدَّثْتَ أَنَّكَ أَقْوَى عَلَى دَمِ أَبِيهِمْ مِنْهُمْ فَأَقْبَلْ فِي طَاعَتِي ثُمَّ حَارِكِ الْقَوْمَ
إِلَى أَحْبَلِكَ وَلِيَأْمِمْ عَلَى الْحَبَّةِ .

وَأَمَّا تَمْيِيزُكَ بَيْنَ الشَّامِ وَالْهَمْسَةِ ، وَبَيْنَ « طَلْسَةِ » وَ « الزَّهْرِ »
خَلَسَتْ بِي مَا الْأَمْرُ فِيهَا هُنَاكَ إِلَّا وَاحِدٌ — لِأَنَّهُا بِوَجْهَةٍ عَامَةٍ لَا يَتَّخِذُ فِيهَا النَّظَرُ
وَلَا يَسْتَعَانَفُ فِيهَا لِغِلْيَارِ . وَأَمَّا قَوْلُكَ بِي فِي أَمْرِ « عُمَان » فَمَا قُلْتَ ذَلِكَ
عَنْ حَقِّ الْإِيمَانِ ، وَلَا يَقِينِ النَّجْوَى ^(١) .

وَأَمَّا فَضْلِي فِي الْإِسْلَامِ ، وَقِرَائَتِي مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَوُضُوعِي فِي قُرَيْشٍ فَلَمَسْتُ لَوْ اسْتَطَعْتُ دَفْعَ ذَلِكَ لِدَفْعِهِ .

البيان الأدبي :

يُحْتَضَرُ أَنَّ مَضْمُونَ رِسَالَةِ الْخُلَيْفَةِ « عَلِيٍّ » قَدْ حَوَى التَّنْفِيدَ وَالْإِبْطَالَ
لِجَانِبِ التَّهْمِ الَّتِي رَمَاهُ بِهَا الْوَالِي « مُعَاوِيَةُ » لَمَّا — نَرَاهُ وَقَدْ وَافَقَ مَوْثِقَ
الْمَقَامِ مِنَ النَّفْسِ فَعَدَّ إِلَى مَا يَلِي :

أَنْتَبَهْتُ أَنْ تَصْرَفَ الْوَالِي « مُعَاوِيَةُ » قَدْ مَالَ بِهِ إِلَى الْهَوَى فَاتَّبَعَهُ
وَحَادَّاهُ مِنَ الرُّشْدِ وَالصَّوَابِ لِقُدْرَةِ النَّظَرِ الْمَادِي ، وَالْقَائِدِ الْمُرْشِدِ ؛
وَبَعْدَ الْخُلَيْفَةِ الْإِمَامِ مَوْثِقَهُ مِنَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي أَوْدَعَتْ بِالْغُلَيْفَةِ « عُمَان »
بِأَنَّهَا كَانَتْ فِي تِلْكَ الْآوَةِ شَخْصًا حَادِدًا لَا يَمْلِكُ أَمْرًا وَلَا سُلْطَةً يَسْتَطِيعُ
بِهَا مَدْلَفَةَ الْأَحْدَاثِ وَرَدَّهَا . وَيَعْرِى الْإِمَامُ نَفْسَهُ عَنْ طَرِيقِ التَّنْفِيدِ
لِيَتَّخِذَ لَمْ يَنْهَضْ عَلَى إِنْبَاتِهَا عَلَيْهِ أَمْرًا دَلِيلًا (مَا أَمَرْتُ وَلَا قُلْتُ) وَيَمْتَدُّ

(١) العلم والاختيار .

الإمام ويستقصي سائر ما كان يمكن أن ينهم به فيردّد ما قيل منه
ومالم يقلّ مبالغة منه في أن يدفع عن نفسه أية شائبة لشبهة يمكن أن
تدور حوله أو تملّك به .

والإمام قوى في حجته المنيعة لولاية « معاوية » في المطالبة بدم
الخليفة « عثمان » فالتفريع والتفريع في أسلوبه (فإنت عثمان) ؟ !
كفيل بإسقاط أى صلة يدعيها « معاوية » لتكفل له حق المطالبة بدمه .
فهو ليس من « عثمان » في شيء من الصلات تبيح له أن يسبغ على نفسه
تلك الصفة (ولاية الدم) وادعاء الصلة واتصال الصفة هذه تجاوز ممعيب
لا يحق له أن يدعيه ، فليس من العقول في هُرف العرب أن يدعي الشخص
لنفسه قرابة لشخص ليست له به قرابة اعتزازاً من العرب بنسبه — كما
رتب الشرع درجات الأولوية في حق المطالبة بدم القتل وأسندها إلى
الولى الأقرب فالأقرب .

وبناء على هذه الحثيات يكون في قوة الخليفة « علي » لوالى
« معاوية » التفريع لتدخله بدون وجه حق مطالباً بأموال إسائه فيها
أى حق شرعى أو عرف أو تقليد .

إنه التبعيت القاسى لوالى الذى يدعى ما ليس له بحق .
ثم يسوق الإمام أدلة النفي المنطقة لحق « معاوية » فيما يدعيه من
ولاية دم « عثمان » .

فيبين أن « عثمان » من بيت ؛ و « معاوية » من بيت آخر
(إنما أنت رجل من بني أمية ، وبني « عثمان » أولى بذلك منك) .
وبذا يكون الإمام قد أسقط عن « معاوية » الصلة القريهة التي يستند إليها

كسجة في حق للطالبة بدمه بقصره على كونه أموى مُباعد بدرجات من « عثمان » ، ونزع هذا الحق منه وأسندته على طريق الأولوية إلى بني « عثمان » شرعاً — كما جرّده أيضاً من دعوى القوة التي تُنهض دفاعاً عن حقوق الضملاء ولظلمين شهامة قصد التقصص لهم إن كان قد خالطه الزعم بذلك ، ثم يرشده إلى الطريق الأمثل لنيل الحقوق للسرعة بطريق شرعى بأن (ادخل في طاعتى ثم حاكم القوم إلى أحلك وإمام على الحجة) .

إذن — لم يبق لوالى « معاوية » من حق بيعه له للطالبة بدم « عثمان » سوى أن يسلك سلوكاً شرعياً في سائر خطواته : بأن يدخل في طاعة الخليفة « على » أولاً ، ثم يحاكم إليه القتلة ثانياً ، ويسحب الإمام الحجة والحكم الشرعى الذى طُبّق في وقته الجبل على الرافضين لبيعتهم على أهل الشام واليهيم ، ويقسم على صحة التناوى عنده بينهما في الحكم (فليسرى ما الأمر فيها هناك إلا واحد) ويدلل على تلك الصحة بأنها (بيعة عامة) .

ثم يناول الإمام أمر صحة انقلابه له بعبارة تقطع على والى « معاوية » حول التشكيك في صحة البيعة له حيث يُثبت (أنها بيعة عامة لا يثنى فيها العذر) وهذه جملة قد أثبتت صحة البيعة له ، وأخرجتها عن أن تكون موضع نظر جديد حيث قد بُت لها وبها ما بُت من الصحة لاستيفاء أشرائها في حينها ، ثم يعيد التأكيّد لهذا المعنى بجملة مالية تقطع الطريق والالتمس دون الحديث في بيعة قد أبرمت وانتهت — ولم يبق فيها أى مجال يسمح بأن (يسقأنف فيها الخواص) .

وأخيراً يعم الإمام بالحق سائر التهم التي رُمي بها في حق « عنان »
ويستطاع جميعاً حيث لم يَقم على صحة ثبوتها دليل عميق أو خبر يقيني .
وبذا تصبح التهم ساقطة لانتفاء الأدلة للثبوت لها والحكم بعدم
صحتها ١١١

والإمام « علي » والحق يُقال إن الرجل هو صاحب الفُتيا والفصل
في المحاكمات والقضايا المصيلة ؛ فقد كان رجالها الذين بالقوة المشهورة :
خصمية ولا أبا حسن لها .

وهو في تلك الآونة قد حكمته الأحداث ، ووضعته حيث يقف
مدافعاً عن نفسه أمام الأمة ورأيها العام سئل عنهم رُمي بها لم يسكن
معتزلاً لها أو مُمينا عليها ، فالبري المتهم البريء المظنون على خلافته يدافع
بكل ما أوتي من قوة الحجة ، ويستشهد بأقطع الأدلة الدافعة لثبوتهم والمثبتة
في حقه ، فهذا هو مقام ظهور عبقرية وبراعة الشهود له بها — فبالك
إذا كان مظلوماً رُمي به ١١

ثم يذهب الإمام الرسالة بما يفيد أنه مُدرك أن خصومته مع الوالي
« معاوية » كفيفة بأن تدفع الوالي إلى الإنسكار والنقض لأي تفوق وفضل
للخليفة في الإسلام أو القرابة أو الشرف لو أمكنه ذلك (فلمرى
لو استطعت دفع ذلك لهفتمته) .

وجزأ على صنيع الوالي « معاوية » من إلحاقه قصيدة « كعب بن
جهميل » رسالته سائلة الذكر^(١) الموجهة إلى الخليفة « علي » نرى الإمام

(١) راجع الرسالة السابقة والقصيدة الملحق بها

قد سلك نفس النعج حيث أمر « النعاشي » أن يحميه شمرا بذئب به
وسائقه فقال (١) :

كَمَنْ « مَأْوَى » مَالِي يَكُونَا فَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ مَا تَهَذَّرُونَا
أَتَاكُمْ « عَلِيٌّ » بِأَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ فَا تَصْنَعُونَا ؟
عَلَى كُلِّ جَسَدَاءٍ خِيْفَانَةٌ (٢) وَأَشْعَثَ نَهْدِي (٣) بِسَرِّ الْمَيُونَا
عَلَيْهَا فَوَارِسُ عَشِيْمَةٍ كَأَسَدِ الْعَرِينِ مَعَهُنَّ الرَّيْنَا
يَرَوْنَ الطَّمَانَ فِي لَحَالِ الْمَجَاجِ وَغَرِبَ الْفَوَارِسُ فِي النِّعَمِ (٤) دِينَا
مُمْحِزَمُوا الْمُجَمِّعِ جَمْعُ « الْوَيْبِ » وَ « طَلْعَةِ » وَالْمَشْرِ النَّارِ كَيْفِينَا
وَقَالُوا يَمِينًا عَلَى حَلْفَةٍ لِنَهْدِي إِلَى الشَّامِ حَرْبًا زَيْوُنَا
تُصِيبُ النَّوَامِيَّ قَبْلَ الشَّيْبِ وَتَلْقَى الْحَوَامِلَ مِنْهَا الْجَيْنَا
فَضَّلَ الْمَضَالَّ مِنْ وَائِلٍ وَمَنْ جَعَلَ الْقَتْلَ يَوْمًا سَمِينَا
جَلَمَ « عَلِيًّا » وَأَشْهَاهَ يُظَلِّهِ « ابْنُ هِنْدٍ » أَلَا تَسْعَوُنَا ؟
إِلَى أَوَّلِ النَّاسِ بَدَّ الرَّسُولِ وَصِنُو الرَّسُولِ مِنَ الْمَالِينَا
وَصِنُو الرَّسُولِ - وَمَنْ مِثْلِهِ إِذَا كَانَ يَوْمُ بَشِيبِ الْقُرُونَا
الْبَيْتُ الْأَوَّلِيُّ :

القصيدة تحمل سيف التهديد مُشْرَما دون مَوَارِيَةٍ من بعد أن اتضح

(١) وقمة صفين ص ٥٨

(٢) المجرى . الخيْفَانَةُ / الفرس القصيدة الشعر الروماني .

(٣) النهْد من الخيل الجسم الضخم .

(٤) غبار المعركة المنعقد فوق رؤوس المقاتلين .

أن الرأى « معاوية » قد رفض البيعة للإمام القائم بالأمر بناء على اعتبارات يدهيها .

لذا - نرى التصيدة في بنائها الفكرى : تنفتح بالتنبيط والإحباط للوالى فيما يشئ إليه جاهدا من محاولة الخروج على الخليفة « على » فيقول له الشاعر : (دعن) بكل ما فيها من إظهار خالص النصيح للبيكت في مقام انعدام الفائدة من بذل المحاولات غير النتيجة ، ثم يمتدح بما يدعو إلى التيسير من نتائج مساعيه ، فالأمر (لن يكونا) وهذا أدعى إلى قطع الأمل من بعد أن تحقق وقوع (ما تحذرون) وقد تم هذا بفعل (الله) القوى الذى لا ينقض له قضاء .

وليس أشد من ذلك تنبيط وتيسير من نتائج الجهود المبذولة دون تأمل لبلوغ أى هدف ولا فائدة .

ويقيم الشاعر تيسيره للوالى بالدليل المنفع بصحة ما ذهب إليه فبهين أنه قد اجتمع إلى جانب الخليفة الإمام (أهل الحجاز وأهل العراق) في جبهة متعددة تنف في وجه أهل الشام من أجل عرقلة ما يهدفون إليه من محاولة الخروج على الخليفة الشرعى والتجميع لحقه .

وفي إظهار الشاعر لقوة الاتحادية التى تجمعت للإمام من (أهل الحجاز والعراق) ووضعت رهن إشارته وطوق يده كقوة كنفية بتعقيق الثمر على أهل الشام - أسلوب فيه من الإزهاب ما فيه لكل من الرأى وأهل الإقليم جميعا ، ويعمل معنى الضياع للسعى بالجرى وراء ما لا فائدة ترجى منه بمحاولاتهم التماس من زوم البيعة لهم - (١٥ - أدب سياسى)

حيث قد أصبحوا في موقف ضئف فقدوا فيه كل عنصر من عناصر
الغلبة، فساء لهم مساءلة التوبيخ لن أوقع نفسه في مأزق وغدوم وسيلة
الخروج منه بقوله :

(فما تصلمونا) حيث قد أتاكم بأضخم قوة لها وزنها في اعتبارات
النصر والغلبة عند من يزن الأمور بميزان القوة الحربية الضاربة إذا
ما استدعت الأحداث استخدامها من أجل التأييد والتثبيت لما يمكن
أن يذمى من حقوق .

ويطالع الشاعر السرد لأدلة النصر المتحقق وقوعه إلى جانب
الخلافة « على » فيذكر أن فرسانه شجعان مشهود لهم بالسكفاءة
الحربية ، والاستانة في القتال لديهم الوفرة في معداته ، وقد طرخوا
أجوابكم ، وأناكم الخلافة الإمام بهم على حين غرة منكم حيث لم يترك
لكم فرصة لإعمال الفكر أو التهوؤ من بعد أن فاجئوكم بما لا يقبل
لكم به .

وبما أنه قد تم الإجماع الأكيد من أهل هذه القوى المرمجة على
ضرورة الإتيان بأهل الشام في حرب مريعة قد أقسموا على خوضها
— وم الفرسان المجزون من قبل في إتيان الهزائم الماحقة بالجموع
التي انتفضت وخرجت على الخلافة الشرعي — إذن — فسيعيق بكم
مثل معيبرم .

ويسوق الشاعر المعنى هنا في صورة تدعو أهل الشام إلى الاعتبار
بمصائر الماضين من الخائفين تداركا لأمرهم قبل أن تقع الواقعة ، وبحل

بهم ماحل بالخائن من أمثالهم ، وإذا ما أصر (أهل الشام) على العصيان فلا بد من أن يلتفتوا دوسا فيقتلهم بالحق بحرب مهلكة ، وتكون هذه الحرب خير هدية تُقدّم لهم حيث تكون صاحبة الفضل في تصحيح وضعهم بردعهم عن العصيان ، وردّهم إلى رحى الجماعة ، وإذعانهم بالخليفة .

ثم يرضى الشاعر لإحساس الكراهية النّار من أهل الشام ضد أهل العراق فيبين في أسلوب شرط مُقنع أن الحساسية السياسية المؤدية إلى إبتاع الكراهية بين الإقلاوين أمرٌ مفروض من أساسه .
فإن تكروهوا الملكَ ملكَ العراق فقد رضى التّوّم ما تَكْرَهُونا
غالباً في جوهرها طاعة مفروضة للإمام المبايع له أو تضاها أهل العراق ، وبذلك أهل الشام مثل هذه الطاعة ، فالجميع رعية الخليفة .
وليس الأمر كما تدّعون من حكم إقلم ونساطع على إقليم آخر مما تحاولون إثارة من حزازات المصهبات الإقليمية — فهذا أمر ليس بمنظور إليه .

والشاعر هنا يكتفى أمر المصيبة جانباً ، ويقتصر الأمر على جوهر وجوب الطاعة بالمبايعة للخليفة الإمام ، وعدم الخالفة له أو انخروج عليه استناداً إلى دعاوى باطلة أو ادعاءات لا تُقدح في صفة يستند .
ثم يستند الشاعر زعم أهل الشام بادعائهم للسّيادة في السكّانة وللثقة بين الخليفة « على » والوالى « معاوية » لدى مجتمع الأمة من حيث إمكان الوازلة بين الشخصيتين فيثبت أن البؤن بينهما شائع ، وإمكانية التناظر بينهما مستحيلة .

فهذا أمر لا يقرم عليه أحد ، ولا يُقبل في عُرْف مجتمع الدولة الإسلامية القائمة على التقويم للشخص على قدر عَمَلِه وأصالته وضمَامته أرومته في الإسلام . من أجل هذا يَتَمَيَّ الشاعر عليهم ارتكاب هذا الخطأ فيهِسَكْتهم قَاتِلًا : (أَلَا تَسْتَعْوَنَا) !!

بناء على اعتبار أن ادعاء التناظر أو التساوى في النزلة بين هاتين الشخصيتين أمر داح إلى الخجل ، ولا يقول به إلا مَنْ حُلم الحياء . ثم يُبَيِّن الشاعر ذلك سَوِّق الحِثِّيَّاتِ الْعَظْمَةِ لِقَدْر « على » الخليفة في الإسلام ، والمُسَمِّية لمسكاته إلى حيث لا نَبَاهِي أو تُضَارِع — والتي من أجلها رمام بإمداد الحياء :

(أ) ذ « على » أعظم شخصية بعد الرسول عليه السلام والمتقدم من بينهم (أول الناس من بعد الرسول) .

(ب) ذ « على » سَنُو الرسول لأنهما أبناء أبي واحد — بينهما تمام التماثل في الشرف والأصالة في بيوتهما القريبة ، ويسموان بها علوًا في أصل قريش .

(ج) ذ « على » له منزلة عظمى وشرف أكبر يُعْلِيَانِه على غيره في مجال التفكير والموازنة ، فله علاوة على قرابة أدم شرف المعاصرة للرسول عليه السلام .

(د) ذ « على » ليس له مَنْ يَمَانِه شجاعة وإقداما في الحروب المروعة .

النزاع بين أتباع الخليفة

بين «جرير» و«الأشتر»

للوقف السياسي: لما رجع للبعث للفاوض «جرير» بما رجع دون
بإقناع لوالى الشام وأهلها ، وكانت هودته قد تأخرت واستطاعت
واستبطيت — نشأ موقف بين الوالدين للخليفة الإمام كان له تأثيره
المضرب للجبهة الوالية له ، والذي يمكن أن يقال فيه إنه قد فتح باب
شر خطير مضيق بما أنهض بينهم من الفلاح والفتازع المفق للصفوف
والمؤمن للثوى ، والذهب لروح المعنوية من بين جماعة تقاهب
القتال ، وللفرض في حقهم أن يخرسوا الألسنة ويسكتوا مثل هذه
الأمصوات التي تردّ الغنمة المقيمة للنزاع في الرأي الذي أغرقهم
في منازعات لا تحسم حول كل شيء ، ولم يحسمها الخليفة الإمام في حينها
بما أدى بها إلى العصامد في السوء حتى بلغت حد التأثير في للوقف
المسكري ، ومثلت خطراً ذهب بالنصر في «صنين» فيها بدا .

والجانب الخطير في هذا التنازع :

(أ) أنه لم يحسم في حينه بحيث تخفى كل نشمة ونبرة يمكن أن
تصدر عنه من غير المختصين للفصل فيه ، وإنما ترك يستشري حتى
يشمل الخوض في الأمور السياسية والدينية والمسكرية حتى بلغ حد
الخطانة العظمى بإلقاء الجند . للسلح وترك المسكرات بقاء على آراء

شخصية لم يتم عليها إجماع مما أضع نظام الضبط والربط وسرّب الجند حتى غدا الخليفة القائد دون جيش يحارب به ، وانتهى الأمر بهمضهم إلى الخسومة منه والمخرج عليه والتآمر ضده وأخيراً أودى به ضحية لفتح كان يتعمد إخماده قوّر شبوبه - وتلك كانت مسئولة الخليفة الإمام ولاشك !!!

(ب) لقد ترك المجال للتنازع بين أتباع يتعمد عليهم ، ويعمد عليهم موقعتهم التراث انتظاراً لقول الفصل يصدر من الخليفة صاحب الرأي الأول والأخير في الحسم في كل ما يدعوم إلى التنازع وللإحالة ، وما عليهم كرمية غير السم والطاعة لما يصدر عن الخليفة مادام قد حُسم بالعدل ولكن ترك الأمر مشاعاً يخوض فيه غير المختصين بخفى بهمضهم بمضاء ويسفهم بهمضهم رأى بعض ، وعتت فوضى سياسية في الآراء ، ولم يمتطوا الإمام الفرصة ليصدر حكمه السياسي ، ولم يسمحوا لملكته الفاصلة أن تأخذ طريقها لتوقف نزاعهم عند حده في اللحظة المناسبة ، فضلقوا نزاعاً سياسياً داخلياً أودى بجيش الإمام وحقه ، ولم يتركوا مالا خلفه للخليفة ويزموا حدم كأنهاج ورعية .

وبهذا - انتفض باب التنازع البين في صفوف المواليين للإمام - ولما لم يلق ذلك الباب الأمن أو يسد في حينه فقد غدا باب شرير زاد انساعاً ، واندفعت منه رياح النزاع السياسي عاصفة عاتية بمحض استعمال إغلاقه فيما بعد واستعصى على أى قوة تحاول التصدي لإغلاقه مما نجم عنه الضياع لحق صاحب الحق خسارة في خضم السياسة بلاهزيمة في ميدان القتال والحرب !!!

لقد رجع المبعوث « جرير » فترددت الأحاديث عالية ، وكثر لفظ الناس يهتمونه بالليل إلى الوالى « معاوية » من بعد أن طالت غيبته عنده .

لقد بدأ اللفظ طمنا على « جرير » بأنه ما كان أهلاً لأن يحصل مسئولية هذه المهمة من ابن الخليفة فبعد « الأشتر » وقد اجتمع هو و « جرير » عند الإمام يقول له :

« أما والله يا أمير المؤمنين — لو كنت أرسلتني إلى « معاوية » لسكنت خيراً لك من هذا الذى أوتيت خناقه ، وأقام عنده حتى لم يدع باباً يرجو رَوْحَهُ ^(١) إلا فَنَسَهُ ، أو يضاف غمّة إلا سَدَّهُ ^(٢) ،

إذن — لقد اتهم « الأشتر » « جريرا » بأنه : الضعيف الذى لم يقول شذوذاً إلى الوالى « معاوية » وأطال للشكك عنده بما همأ له الراحة وأعطاه الفرصة للتخلص مما يهدده به الخليفة .

وتعليقنا على هذا الكلام أنه قد جاء في غير أوانه ؛ فقد انتهى وقت للشورة وبذل الرأى فيه ، والاعتراض عليه .

هذا — مع صدوره من غير مختص في شأن اختيار المبعوثين المناوئين — غنى تلك الآونة — الحق السياسى للخليفة وحده يلتقى مبعوثيه طمناً لما يعتقدونه فيهم من إخلاص وصلاحية قدمه للوكوة إليهم — كما أن « الأشتر » قد زكى نفسه بأنه الأكفأ في الابتاح

(١) يهد فيه راحته

(٢) وقمة صغين ص ٦٠

للمفاوضة في وقت هو الأجل بأحوال اعظم ومواقفهم وقدراتهم في إقليمهم - حيث تدنسه الصورة الواضحة الناتجة من القرب والرؤية والاحساسك والفاعل بالأحداث هناك - فكيف يمكن تدبير حل سياسي على مدى ربما لا يتسكافاً أو يتسق للواقف والأوضاع التي عليها الإقليم في الشام نتيجة لانسداد الرؤية السليمة لمقيفة الأحداث والجهل بها ١٩ .

ويذكر « جرير » للدفاع عن نفسه إزاء ما يُتهم به من عدم الكفاءة في مهمة سياسية خطيرة كان فيها رسول الخليفة ومبعوثه للتفاوض إلى « والي » معاوية « في وقت هو من أخرج الأوقات وأدقها في حياة كل من الخليفة والوالي الرافض لبيعتهم فيما عرض لهما من أوقات حرجية - وما كان أكثرها في تلك الفترة ١١

فقد كان يعرب على ما يتخذ في تلك الآونة من قرارات أثر السلم أو الحرب بين الخليفة والوالي - أي نشوب حرب أهلية تهم الأمة الإسلامية بأسرها ، وتكرّر مصيرها إلى آيات طويلة .

ويدافع « جرير » عن نفسه فيقول له « الأشتر » :

« والله - لو أتيتهم لقتلوك - وقد زعموا أنك من قتل « حنان » ثم خوفه بأشخاص حذّهم بأعيانهم م: عمرو وذو الكلاع وحوشب بن طخنة . ولم يكن لدى « جرير » من تبرير لما اتهم به سوى أن يخوف « الأشتر » مضية القتل نتيجة اتهامه بالهمة التي قد غدت ناجزة (همة الاشتراك في قتل « حنان ») يمكن توجيهها وإصابتها بكل شخص

يُرجب في العناصر منه حتى عند الظلمة « على » وبين اللواين له ، وفي منطقة نفوذه III ولئن ساء لأهل الشام أن يرموا بهذه التهمة للوالين الخليفة « على » فلا يسوغ لأتباع الإمام أن يرمي بها بعضهم بعضا .
والواقع أن رد « جرير » لم يكن جذيرا صدوره من المثل السياسي للإمام في أخطر مهمة واجهته ، ووقفت حائلا بينه وبين فرض سيطرته الكاملة على سائر أطراف الدولة الإسلامية كخليفة شرعي بوجع له .
ولم يحاول « جرير » أن يبرز كفاءته في أداء المهمة التي وُكِّلَ إليه . الأمر الذي طعن عليه من قبل « الأشر » في صميم كفاءته الشخصية وقدرته على إدارة دفة المفاوضات مع الوالى وتوجيهها لصالح الخليفة .
وما لاشك فيه أن الكفاءة الشخصية ، والقدرة على حسن التصرف طبقا لما تعلمه تطورات المواقف والأحداث — أمران لا يضمن توافرها فيمن يُنذب لمثل هذه المهام السياسية الخطيرة و« جرير » برؤى الآنف على « الأشر » كشف عن أنه قد تجرد من أخص خصائص المبعوث الفوق السياسي الذي يُرجى له التعويض في أداء مهمته — حيث لم يحاول أن يصحح موقفه ، ويثني مائتهم به ، ويثبت جدارته ، وإنما اكتفى بإشهاد سلاح التهمة الممينة في وجه « الأشر » حين السلاح الذي اعتمد عليه الخصوم من أهل الشام ، واتخذوه نكاة لطمع على الإمام والوالين له من سائر معارضهم .

ويكون « جرير » برؤى الجوابى هذا قد أثبت من طرقت خفي للدولتين أن سلاح التهمة هذا (سلاح تهديدى خطير) يمكن أن يرمى

به كل فرد ، ويؤجبه إلى كل معارض فيطيش صواب الجميع ، ويُفقدتهم توازنهم - مما دفع به إلى الاستشراء فيما بعد ، واعتبر قضية كبرى فرقت بين جماعة المسلمين - بطلها كل من يحاول أن يظهر نفسه أنه يقف إلى جانب المناصرة للحق حق وإن كان يروم من ورائها أموراً أخرى لا تبيح وجه الحق ، ومن هذا القبيل ما كان من إشراح أصابع تجاه الإمام ترميه بالثمة هو ومن تأبسه دون بيّنة ولا دليل ، ثم عظم الخطب من بعد أن تبين أن التهمة سلاح قاتل؛ فأصبح مجرد الزعم على أي وجه كان بأن فرداً ما متهم على صورة لم تتضح أبداً ما قدّست كنيته بأن يضع نفسه في موضع الإدانة والمطاردة والمطالبة بالقصاص منه من جماعة المتأذين بالقصاص من قُتلة « عثمان » .

وعلى الرغم من أن الحكم الشرعي في القصاص يقتضي بالنسبة من وضوح الصورة التي تمت عليها الممارسة للجريمة حتى يمكن إيقاع القصاص المادل المكافئ للجريمة على بصيرة تفي أي شك يذراً الحد - غير أن الأمر هنا أصبح وهذا بمجرد الزعم بالمشاركة على أي صورة كانت . . .

ومما يمكن من اعتبارات في إجابة « جرير » فقد كشفت من عظام خطورة ما كانت مدركة من قبل :

أولها : ظهور سلاح التهمة بالمشاركة في مقتل « عثمان » وتبين خطورته .

ثانيها : اتجاه أصابع الاتهام إلى الإمام « علي » وأتباعه ذرعتهم بها .

ثالثها : الاستغلال الشخصي لسلاح التهمة في الإرعاب للمصنوع ،
وسهولة الرضى به من يفتد الإيقاع بهم ، والاكتفاء في إثبات التهمة
بمجرد الزعم ! .

ولما لم تكن إجابة « جرير » بشافية شيئاً مما في نفس « الأشر »
حيث نقلت من الإجابة القنمة وانجه إلى التحذير له من القتل بناءً على
الزعم للقرض غير أن « الأشر » لم يقل « جرير » من إجابته
للتهاوية عن التهم التي لحقت به — وإنما أمسك بتلابيبه ، وألحَّ على
ملاحقته قائلاً :

ولو أنيتُهُ والله يا « جرير » لم يفتي جوابها ، ولم يثقل على عَمَلها ،
ولمحت « معاوية » على خُطَّة أمجد فيها عن الفكر »

ويبدو أن « الأشر » كان واثقاً من نفسه أنه كان الأجدو بمنعيل.
الإمام ، والتفاوض نيابة عنه ، فقد أضح أنه السكف الذي يستطيع
أن يرد التهمة ، ويهطل الزعم ، وأنه الأقوى على تحمل أعباء تلك
المهمة ، والأشد تدبيراً وإدارة لفكة المفاوضات بحيث يمكنه التأمير
على الخصم وإزبأك وإيقاد الفكر السليم مما يضطره إلى الانقياد
والواقعة لما عليه عليه دون معارضة — لما يتمتع به من قدرات.
تجعله الأقوى على التطوع والارتياض للخصم بما يجيل به إلى ما يفتنيه.
الخليقة ، أو يفساد خُطط الوالى السياسية وقلبها عليه بحيث يكزمه
الانقياد لما رسمه « الأشر » وكل هذا يتم في مرونة تنسق وكل موقف
بقفه الخصم .

إن « الأشتر » يثق بنفسه ، ويضفي الكفاءة على شخصه ، ويُظهر
 حقدته على النائرة والدائرة إزاء الأحداث العنيفة .

والثقة والكفاءة وللروية هي العناصر الأساسية التي لا بد من
 توافرها في شخص أى مهموث سياسى مقاض وخاصة إذا كان مُرسلاً
 إلى أدهى من عُرف من العرب ، ولم يحرم « جرير » جواباً على « الأشتر »
 الراضى من نفسه سوى أن يقول : فأنتم إذن — ويتدارك « الأشتر »
 الأمر ويعلم أن هذا الإتيان قد مضى أوانه ، ولم يكن ليصلح
 جامكابه هذه إلا عند المبادأة في النزاع قبل أن يستفعل فيندو وخاصة
 ومبادأة وإنذاراً بالحرب !!!

فما — نراه يرد قائلاً :

« الآن وقد أفسدتهم ، ووقع بينهم الشر !!! »

ملاحاةٌ بحضرة الخليفة

لقد رجعت كفة « الأشتر » كفاءة كانت نعم أن يكون هو الأول
 بأن يكون هو للبسوث السياسى للفاوض وللثقل للخليفة « على » لدى
 الزوال « معاوية » طبقاً للنتيجة التي انجلى عنها النقاش الحاد الذي
 استصحب بين « جرير » و « الأشتر »

ولم يحاول « الأشتر » أن يقف في حوار الحاد عند حد اللواقف
 التي عابها على « جرير » وأنهى من الناحية العملية وقت النقاش حولها
 حيث اندم القأميل في أى جدوى فيها وخاصة بمثل هذه الحدة والمنفج
 فالرسول قد أُنقذ وماد خاوى الرفاض ، وقطعت للفاضات ، وأعلن

الانذار بالحرب من قبل الوالي « معاوية »
ومثل هذا الموقف كان يسعدني كل من يحاول أن يذلي رأيه فيه
أن يدور به حول اللواقف المنبهة ، واحتمالات الأحداث للتفكر .
ولكن « الأشتر » بدلاً من ذلك نجدته يسلك بهتف بتلايب جرير
ولا يثقله ، ويعلم عليه أموراً خطيرة !

فمنذما اجتمع « الأشتر » و « جرير » عند الإمام نرى « الأشتر »
وقد انبرى في هجوم قاس على « جرير » في حديثه الموجه إلى الإمام
حيث قال :

الأشتر (للإمام) أليس قد نهضت يا أمير المؤمنين أن تهت « جريراً »
وأخبرتكم بمدابره وغشاه ؟ (١)

ثم توجه بحديثه إلى « جرير » شامخاً إياه فقال :
الأشتر (لجرير) يا أخا بنيمة (٢) : إن « عثمان » اشترى منك دينك
بـ « نمدان »

والله ما أنت بأهل أن تمشي فوق الأرض حياً — إنما أنتهم
لتتخذ منهم بدءاً بمسيرك إليهم ، ثم رجعت إلينا من عندم نهدونا بهم
وأنت والله منهم ، ولا أرى سنيك إلا لهم ، ولئن أطاعتني فيك أمير
للمؤمنين ليحبسك وأشباهك في نحس لا تخرجون معه حتى تستبين هذه
الأمور ، ويهلك الله الظالمين .

تاليق :

وقوة « الأشتر » هذه لم تكن إلا سهاماً مسمومة صوبها إلى

(١) وقعة صفين ص ٦٠ (٢) قوم جرير بن عبد الله البجلي

« جرير » منها إياه بأسوأ منهم يمكن أن توجه إلى مبعوث سياسي
مقاوم يمثل الخلافة الإمام .

(أ) فهو مدوّ غاش — وفي هذا تجريد المبعوث من الإخلاص
للإمامه ، ومن الوضوح والصراحة في تعامله معه ؛ وهذا يعكس سوء
الاختيار لشخص المبعوث لانعدام كفاءته ، وبالتالي طعن على من
اختاره .

(ب) وهو منهم في دينه بالضعف — حيث قد أُجر عليه من عثمان
وضعت الدين بفتح الباب واسعا ليبلغ منه مقدما الضعف الخلق : من
إمكان المادة مع قيام للصاحبة ، ومن إكسان النفس والمخداع مع
إظهار الولاء والمتابعة .

(ج) و « جرير » منهم أيضا بالتواطؤ مع الوالد « معاوية » والعمل
على انتصاره في خصومته السياسية للإمام .

إذن — فهو العالي خائن للخليفة « علي » في قضية نزاعه هذا !
ولما كانت الخلافة السياسية وعلى الأخص أثناء الحرب ليس لها
من عقوبة سوى الإعدام . لذا — نرى « الأشر » يُصدر حكمه الأكيد
بأن « جرير » ليس بأهل أن يمشى فوق الأرض حيا .

حيث قد ثبتت خيانتة كائني ، وصح عداؤه للإمامه بدمله وفق
مصلحة خصومه المازحين له . لهذا — لا يرى « الأشر » مفرقا من أن
يواجه بحكمه القاسي : « أَلَمْ يَأْتِ اللَّهُ مِنْهُمْ »^(١)

(١) راجع نص الرسالة ص ٦٠ وقمة صفين

كما يدمغه بالنهاية للخليفة الإمام في كل مسمى يقوم به ، وبمثل ذلك بحديثات يراها باعثة على إصدار ذلك الحكم :

(أ) ذ « جرير » قد رجع يهتد الإمام وأتباعه بقوة الوالى معاوية ومن تابعه — وفي هذا إضفاف للروح العنوبية في جانب الخليفة الإمام وهو يول في قوى الخصم المنازع كفيل بأن يمنعه سلاح نصر أئضى وأردف .

(ب) ذ « جرير » في رأيه لم يسكن غير تهازل لفرص يبنى النفع الشغوى من وراء قيامه بهذه المهمة السياسية الخطيرة كمثل الإمام — على الرغم من وضوح ضعفه ، وقلة ثقاته في النهوض بها .

وينتهى « الأشر » حلقه على « جرير » بمطالبة الخليفة « على » بحبس حبسا مطلقا ، وعدم إفلاته هو ونظرائه من الظلوة إلى أن تتضح الأمور بهلاك الخصوم الذين يقفون في وجه إحقاق الحق :

وأخيرا — بذكر « الأشر » بأنه في حضرة أمير المؤمنين صاحب الحق الأول في اختيار مموثيه السياسيين ، وصاحب الكلمة الأولى التي تحسم الأمور ، وتنتج النجاح والفشل فيما يكمل إلى تمثليه من مهمات وتصدر الأحكام نبعا لذلك .

وهنا — يتجه « الأشر » إلى الخليفة الإمام طالبا منه السماح له بإيقاع عقوبة الحبس المطلق على « جرير » فيقول : « لئن أطاعني فيك أمير المؤمنين » .

وهو هنا يصدر الحكم بناء على التفهيم الذى ارتآه ، ولا يترك ذلك لصاحب الرأى الأول والأخير وهو الخليفة « على » أمير المؤمنين !!! .

و «الأشتر» بصنيته هذا يمنح نفسه حق الخوض في مسائل سياسية عليها ليس مُفَوَّضًا للخوض فيها إلا عند طلب الرأي في ذلك إن كان من ذوى الرأي فيه - ولكنه تعدى ذلك إلى حق إصدار الحكم بالإعدام - ثم التعفف له والاكتفاء بالحبس المطلق إلى أن تقضى الحرب .

ولم يكن لـ « جرير » من جواب يدفع به عن نفسه التهم التي وجهت إليه بمحضرة الإمام غير أن يقول :

جرير - وَدِدْتُ وَاللَّهِ أَتُكِّ كُنْتُ مَكَانِي بُعِثْتُ - إِذْنِ وَاللَّهِ لَمْ تَرْجِعْ .
ويبدو من رد « جرير » أن مهمته كانت قاسية صعبة لدى الوالي « معاوية » حيث تبنى لو كان الأتومات والتفاوض قد تم لأى شخص آخر بدله - ليعفيه من ثقل هذه المهمة ، وليدرك مقدار العنت وللشفقة فيها ، الأمر الذى لم يُقَدَّرَ فيُحْمَدَ له - ولو كان الإرسال قد تم لمثل « الأشتر » لما كانت له عودة .

إن « جريرا » يعبر عن قسوة المهمة السياسية التي نهض بها، وحقق فيها مالا يسكن لأحد أن يحققه إخلاصاً منه للخليفة الإمام، واستمساكاً بحقوقه ، ولو غير « جرير » حاول ذلك لاضطر إلى دفع حياته ثمناً ؛ فالأوضاع السياسية في الشام لم يطلع عليها ولم بها غير « جرير » وقد هاجم مجزئاتها طبقاً لأصلح الوجوه الممكنة ، وقد كانت منه الرونة الكافية التي أيلنته أقصى ما يبلغ وعاد سالماً .

وإذا كان التقييم المهمة « جرير » يسعد عينا الحكم عليها بالفضل غير أننا لا نستطيع أن ننقل القول بأن هذا الفضل يعمل في طياته

الهالة على حال الوالى للنازع فى الشام وهو أنه قد صمَّ على تَبَلُّ غرض معين من وراء نزاعه هذا - اعتماداً على أنه صاحب الحق فيه ، وفى سبيل ذلك لن يدع لأحد فرصة الوقوف فى طريقه ، أو محاولة الخيلولة دون بلوغ هدفه .

وقد اختط لنفسه من أجل تحقيق ذلك أسلوباً سياسياً حاداً (للأليفة) ومحاربة الاجتذاب للناوئين إطماعاً لهم فى شيء من الدنيا التى بين يديه ومن لم تنلح معه للأليفة فالقتل لاختلاس منه ولو كان المناوئ للناهض مبعوثاً ممثلاً للخليفة الإمام « على » .

ومهما يكن من أمر للأحاة التى نمت بمحض من الخليفة الإمام اعتماداً على الحرية المطلقة فى إبداء رأى الذى كانت مكفولة إلى أبعد حد فى ظلال الدولة الإسلامية فى عصر الراشدين فقد فتحت باب الشر والنزاع والفرقة الذى أدى إلى التفتت والتفتت لقوى جيش الإمام وأخيراً انتهى بإذهاب حق صاحب الحق وإخضاعه ، وقضى بصورة نهائية على عصر الخلافة الراشدة ، وكان ذلك نتيجة للعربة المطلقة السراح للتدخل بإبداء الآراء فى أمور سياسية قلما يستعصى الإدراك لأبصارها على الشخص المادى ، وتحتاج إلى الحسم فيها بأراء المختصين ، ووقف إصدار الأحكام بخصوصها على رأس الدولة وحده !!!

وقد نجم من عدم الحسم فى ذلك أن امتدت تلك الحرية فشميت إبداء رأى فى أمور عقائدية ، وتميَّت حتى لم تبقى لها حدود ولا رسوم تحكمها أو تحكم تصرف الشخص فى حدودها !!!

لقد كانت ملاحاة « الأشتر » لـ « جرير » بمحضرة الإمام أمراً طبيعياً من ناحية إبداء الرأي بكل حرية جرياً على عادة المجتمع الإسلامى فى تلك الفترة - غير أن أحوال المجتمع كانت قد اختلفت فى آخر عصر الراشدين عنه فى أوله - مما كان يستدعى التدخل من رأس الدولة بوضع حد للتدخل فى النقاش السياسى لمطائى الأمور فيقتصر على المختصين أو القوضيين فيه ، وخاصة إثر فتنة عارمة عمت شروها سائر أمم الدولة الإسلامية ، وأدت إلى الاغتيال السياسى للخليفة « عثمان » .

ردود فعل الملاحاة

الوقف السياسى : كان من النتائج المباشرة لملاحاة « الأشتر » لـ « جرير » والانتهاكات التى وجهت إليه بمحضرة الخليفة الإمام أن تهزل جماعتهم ، وخلق بـ (فرقيسها) وخلق به أناس من قومه ، ولم يشهد (صفين) من قومه الأقربين غير تسعة عشر رجلاً^(١) .

وكان رد الفعل لدى « الأشتر » نتيجة تخويف « جرير » له مغبة القتل لو كان قد أنفذ مبعوثاً مفاوضاً إلى الوالى « معاوية » وخاصة أن هناك شخصيات تحسب حسابها تماديه^(٢) ، وتعتزق شوقاً لاقتناصه وقتله من بعد أن أنعمت به أنه من القلة الخليفة « عثمان » .

فما كان أن ثارت ثائرتة لهذا التخويف الذى جوبه به واعتبره نكلاً

(١) راجع وقته صفين ص ٦٠

(٢) ذو الكلام ، وحوشب بن طخمة .

عن شجاعته ، فإكان منه إلا أن انبرى يرد على حلة الإرهاب والتخويف
على وجّهته إليه من « جرير » شعراً فقال :

لَمَرَكْ بِأَجْرِي « قَوْلٌ « عَمْرُو » وصاحبه « معاوية » الشامي
و « ذى كَلَم » و « حَوْشَبْ ذِي ظَلِيم » أَخَفَّ عَلَىَّ مِنْ زَفِّ النَّعَامِ ^(١)
إِذَا أَجَبُوا عَلَى فَعَلْتَهُمْ وَهَنْ بَارِئِ غَالِيهِ دَوَامِ ^(٢)
فَأَسْتُ بِخَائِفٍ مَا خَوَّنُونِي وَكَيْفَ أَخَافُ أَخْلَامَ النَّهَامِ
وَمَنْهُمْ الَّذِي حَامُوا عَلَيْهِ مِنْ الدُّنْيَا وَهِيَ مَا أَمَامِي
فَإِنْ أَسْلَمَ أَعْمَهُمْ يَجْرِبُ يَشِيبُ لِهَوْلَا رَأْسُ الْغَلَامِ
وَإِنْ أَهْلَكَ فَقَدْ قَدَّمْتُ أَمْرًا أَنْوِزُ بِفُلْبَعَةٍ ^(٣) يَوْمَ الْغَضَامِ ^(٤)
وَقَدْ زَارُوا إِلَيَّ وَأَوَّعُونِي وَمَنْ ذَامَاتِ مِنْ خَوْفِ السَّكَامِ ؟

« البيان الأدبي :

قصيدة « الأشتر » بنامها موجهة إلى الرد على التهديد والتخويف
الذي وجهه إليه « جرير » صادرا من وإلى الشام « معاوية » وأتباعه
عن وقفوا إلى جانبه ، وعلى الأخص منهم من أمثال : « عمرو » و « ذى كَلَم »
و « حَوْشَبْ ذِي ظَلِيم » .

(١) حفيف صفار ويشها .

(٢) ملطخه بالدم لكثرة الاقتراس .

(٣) للنصر .

(٤) يوم القيامة .

و«الأشتر» هنا يُقصد أنه لم يمد مالياً ، ولا يُلقى بالأل إلى التهديدات التي صدرت عنهم وجعلها إليه «جور» وعدم اللبالاة بهديداتهم إنما يعود إلى أنها تهديدات ليست بذات أثر خفيف أو مرعب يمكن أن يحسب حسابها نتيجة لما يمكن أن يتوقع من ورائه من الإيقاع به .

وقصارى ما يحسه الشاعر «الأشتر» لذلك هو انعدام التأثير المحفون لتلك التهديدات ، واعتبارها جوفاء خالية من مضمونها للربح لأن قوى الإيقاع السكاينة من ورائها تافهة لا يُقدَّر بها ، وغاية التقويم لما في إحساس الشاعر أنها تتعادل وزناً مع زُجَب وِيش النمام التي لا تحسُّ له أى وزن ، وبالتالي فلن تعقُ تهديدات خصومه له غير أن تكون التفاحة بينهما في تأثيرها الفعل عليه .

ويسمى «الأشتر» في بيان أنه لا يسكاد بحس خوف ما يتهده به خصومه الشاميين من القتل فيأتى باستفهام بالغ الدلالة في هذا المعنى : وكيف أخاف أحلام النيام !!

حيث يُظهر أن تهديداتهم له لا تعدو أن تكون مجرد أحلام طافت بمقول خصومه وم نيام فأحسوا لما الراحة نتيجة لما حُوِّل إليهم في أحلامهم أنهم قد اشتقوا بالنيل منه قتيلاً . غير أن تلك الراحة لم تلبث أن تبددت بانقضاء الأحلام فإذا بهم يواجهون واقعهم للربان «الأشتر» لم يزل حياً يرزق يقف نداً مارقاً لهم ، ولم يفلوا منه مقتلاً .

إذن- تأميلهم في الخلاص منه يمدُّ أمراً لا يحدث إلا في عالم الأوهام

طلق تطوف بقول أصحاب أحلام اليقظة أو للنام على سبيل القاميل ،
 ولن يكون لما تحقق في الواقع ، ثم يقتل الشاعر إلى بيان أن مُتهدِّبه
 حين خوفهم من اتباع والي الشام مام إلا جماعة من أصحاب للآرب
 والأغراض ، فكل همهم الدنيا بما فيها من متاع يشدونه ، وانخذوها
 محورا غرضها يدورون حوله .

ويبدو أن الشاعر قد صور الدنيا التي جئت بينهم وصارت أكبر همهم
 جأها جيفة لكنه متفحصة - لا يدور حولها ويقع عليها ، ويقاقل بغية النابل
 لشيء منها غير أكلة الجيف من الحدا والغربان - بدليل استخدامه لفظ
 (حاموا) للشعر أنهم طيور جوف !!!

وبهذا يكون الشاعر قد أجرى تقريبا غلصومه الشاميين بأنهم طلاب
 دنيا وليسوا بطلاب حق ، وأصحاب كقع وغرض يميلون إليهما وليسوا
 بأصحاب مبادئ يستمسكون بها ، فتأية مألهم دنيا يدورون حولها
 آملا في اعتبال فرصة تفيح لهم نهشه ، أو الاختلاس أو الاختطاف إن
 أمكن لشيء منها - كينما تهيأت الظروف ، وأتيحت الفرص للمتطلعين
 إلى النهش من جماعة طلاب الدنيا .

وفي الوقت الذي أنصح فيه « الأشر » عن مخ خصومه من أصحاب
 الأغراض من أنهم يؤم الدنيا - نراه قد كشف في اللقائل عن م نفسه هو
 الآخر - وهو ما يمثل أمامه من مهام تشغله (وهي ما أسمى) وما أظن
 له من مهام مقبلة تشغله وتمثل أمامه غير مستقبله ومستقبل إمامه في
 الأيام القليلة القادمة التي ستصمم للوقوف بين الخليفة الإمام المهاجج له ،

ووالى الشام الفارز الذى لم يبايع ، وما يمثل أمامه أبنا من وضوح الحق إلى جانب الإمام ، وتعلق متازعيه بالباطل ومهلهم إليه ، ويمثل أمامه الفوز برضى الله فى الآخرة بوقوفه ومؤازرته للإمام صاحب الحق ولو أدى ذلك إلى هلاكه بالتضحية فى سبيله دفاعاً عنه ، واطمئناناً إليه صحة سلامة موقفه منه .

وبناء على ماوضح الشاعر واطمأن إليه من أنه يقف إلى جانب الحق مع إمامه هذا - نراه بعد نفسه ملوَّب لا يدرك لملوَّلهامدى - حيث ذكر أن حولها كنفيل بإشابة ودوس (الفنان) عن م فى سن صغيرة لم تبح السادة على رؤيتهم ذوى شَيْبَةٍ - اللهم إلا إذا صادقتهم الكوارث الموهلة من أمثال تلك الحرب للقوَّة .

ولفظ (أَمْهَمَّ) يَشِيرُ بالخطورة الحربية للشاعر فهو وحده كنفيل. يشن حرب ثم سائر الخصوم من متهدديه ثقة منه بنفسه ، وكفائته فى مجابهة خصومه بمفرده ، وكل هذا إذا صدق حدس الشاعر وكُتِبَتْ له السلامة ليشهد تلك الأيام كما يقضى .

ويبدو هذا من تمليقه لظلمه الحربى الذى يتهدد به خصومه على شرط (السلامة) فى قوله : إن أسلم ، ويستمر الشاعر مُطِيلًا نفسه فى استغراق سائر الافتراضات الأخرى إن لم يتحقق لشرط السلامة وذلك فبين أن يكون قد ذهب فداح للحق ، وسيستغنى نتيجة ذلك بفوز أعظم فى الآخرة إن كان قد فاته الفوز فى الدنيا ، فهو دائماً الفائر المنتصر فى الدنيا أو الآخرة ؛ وبانسحاب المعنى المتعكس على خصومه نبحده

يُدْمِغُهُم بِالْغُصْرَانِ دُنْيَا وَآخِرَةً بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ عَنْ طَرِيقِ لُحْجِ الْمَدِينِ
الْمَنْظُورِ الَّذِي يَرَاهُم فِي الْمَقَابِلِ .

وَيُمْكِنُ أَنْ نَسْتَنْفِتَ مِنَ الْبَيَانِ الْوَجْدَانِ الَّذِي أَفْصَحَ عَنْهُ
« الْأَشْتَرُ » مَا يَلِي :

(أ) أَنَّهُ مَخْلُصٌ غَايَةَ الْإِخْلَاصِ لِلْخُلُفَاءِ الْإِمَامِ أَقْنَانًا مِنْهُ بَوْضُوحِ
الْحَقِّ إِلَى جَانِبِهِ، وَبِجَافَةِ الْخُصُومِ الْمُنَازِعِينَ لَهُ طَعْمًا فِي تَكْلِيفِ شَيْءٍ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا .
(ب) يَسْكَتُ « الْأَشْتَرُ » الشَّاعِرَ كَقَرْدٍ مِنْ أَنْبَاءِ الْخُلَفَاءِ الْإِمَامِ
عَنْ وَفَرَةٍ الْحَسَنِ الَّذِي يَمُرُّ قُلُوبَهُمْ ، وَاسْتِعْدَادِهِمُ لِلتَّضَعُّعِ وَالْقِدَاءِ مَعَ
مَنْ يَمَقْتَدُونَ أَنَّهُ صَاحِبُ الْحَقِّ .

(ج) مَا يَزَالُ الْعَامِلُ الدِّينِي فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ هُوَ الْفَيْصَلُ فِي
الْمُنَازَعَاتِ بَيْنَ الْطَلِيبِ وَالطَّيِّبِ ، وَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

فَهُوَ فِي جَانِبِ الْإِمَامِ الْمَهَابِيعِ لَهُ بِيَمَّةٌ مَحْمُودَةٌ عَامَّةٌ حَقٌّ صَرَّاحٌ نَبْأًا
مِنَ الدِّينِ الَّذِي يَقْضَى بِاطِّعَانِهِ لِمَنْ تَمَّتْ لَهُ تِلْكَ الْبِيَمَّةُ ، وَمَنْ خَالَفَ وَلَمْ
يَبْأِيعْ مِمَّا يَكُنْ عِذْرُهُ اِعْتِبَارُ خَارِجًا يَنْبَغِي رَدُّهُ إِلَى صَوَابِ الْحَقِّ بِأَيِّ
طَرِيقَةٍ بَرَاهَا الْخُلَفَاءُ الْمَهَابِيعُ لَهُ كَفَيْتُهُ بَرْدَهُ إِلَى حَوْزَةِ الْحَقِّ .

(د) اسْتَطَاعَ « الْأَشْتَرُ » الْحَكْمَ فِي شَعْرِهِ عَلَى الْخُصُومِ الْمُنَازِعِينَ .
فِي الشَّامِ بِأَتَمِّهِمْ طُلَاقَ دُنْيَا ، وَلَارْعَايَةِ عِنْدَهُمْ وَلَا وَزْنَ لِعَامِلِ الدِّينِ .
بِنَاءً عَلَى اسْتِعْدَادِهِ لِهَذَا الْعَامِلِ كَقَبْضِهِ يَفْرُقُ بِهِ وَيُمَيِّزُ بَيْنَ الصَّلَاحِ
وَالطَّلَاحِ .

(هـ) الْعَرَبُ وَاقِعَةٌ لِمُحَاوَلَةِ بَيْنِ الْخُلَفَاءِ « عَلِيٍّ » وَأَتْبَاعِهِ وَبَيْنَ الْوَالِدِ
عَلَى الشَّامِ « مُعَاوِيَةَ » وَمَنْ مَعَهُ .

وتلك هي النتيجة العتمة التي انتهى إليها «الأشتر» طبعاً لما يستفاد من تمهيدته : إن أسلم أصحابهم بحرب ... فهو لن يشن حرباً بمفرده يخالف في إشعال نارها رأي الخليفة الإمام ، وإنما سوف يشارك بكل قوة وعنف في حرب يملنها الإمام ، وينتهي لها أنهاهه بقوة مقابلة يحشد لها جيش بأكله يُحشد فيه الجميع بحيث يتفوق كفاءة جيش الخصوم المتنازعين في الشام .

وبناء على هذا نقول إن الرؤيا الشاعرية كانت صادقة الحس لدى «الأشتر» حيث راعى الأحداث رَصدًا ورتبها واستغلص النتائج من تَوَقُّعات تداخلها ، وانتهى إلى حكم سليم مؤداه احتمية الحرب بين الخليفة والوالى المتنازعين من بعد أن علا صَوْتُ نفيرها ، وارتفع سيف التهديد بها .

ولم يسكن التهديد بأهل الشام الذي دفعه «جرير» في وجه «الأشتر» مثراً «للأشتر» وحده فقط ، وإنما وجدنا أثره يمتد إلى آخرين فتشور نفوسهم أيضاً — فترى الشاعر «الشكوى» وقد اضعافه التهديد فأنشأ يقول :

تَطَاوَلَهُ لَيْلِي بِالْعَبِّ الشَّكَايِكِ^(١)

لَقَوْلِ أَتَانَا مِنْ «جَرِير» وَ«مَالِك»

أَجْرٌ عَلَيْهِ دَبِلَ «عُصْرُو» عَدَاوَةٌ

وَمَا هَكَذَا فَنَلُّ الرِّجَالِ الْحَوَائِكِ^(٢)

(١) حتى من الذين يُنسبون إلى أبيهم سكتك بن أمرس .

(٢) المدركون للأمور والقاعمون لها

فَأَعِظْ بِهَا كَرْمِي عَالِيكَ مَصِيبَةٍ (١)
 وحل يهلك الأقوامَ غيرُ المَلْحِكِ (٢)
 فَإِنْ تَبَيَّنَا تَهَنَّقَ الْمَرْاقُ يَنْطَلِقُ
 وفي النَّاسِ مَا دَرَى لِرِجَالِ الصَّمَالِكِ
 وَإِلَّا فَلَهْتَ الْأَرْضَ يَوْمًا بِأَهْلِهَا
 تَمِيلُ إِذَا مَا أَصْبَحَا فِي الْهَوَاكِ
 فَإِنَّ « جَرِيرًا » نَاصِحٌ لِإِمَامِهِ
 حَرِيصٌ عَلَى قَسْلِ الْوَجُوعِ الصَّوَاكِ
 وَلَكِنَّ أَمْرَ اللَّهِ فِي النَّاسِ بِالْبَغِ
 بِحَسْلِ مَنَافَا بِالْفُفُوسِ الشَّوَارِكِ
 البيان الأدبي :

لقد أوقد التهديد الذي حله « جرير » عن الشام نيران الدواوة
الإقليمية بين الشام والعراق - وذلك هي النعمة الجديدة التي انطوت
 عليها قصيدة « السكوني » مما دعاه إلى التنادي بحب قومه البليانين
 يناصرونه في تلك الأزمة التي كثر فيها الجناح والشارّة وأصبحت تندر
 بالهلاك إذا ماتصادم الإقليمان .
 وبما حل الشاعر أن يُنصِف « جريراً » في موقفه فهذا ذكر أن الشاحنة
 بينه وبين « الأشرار وسوء العلاقات ونذر الحرب المنبئة بين الإقليمين
 لم تكن إلا بفعل « عمرو »

و « جرير » لم يكن إلا خلاصاً في مهمته لإمامه - حاول أن يزيل بالحسنى آثار النزاع السواسى التى نشبت بين الثنازين - غير أن اشتعال العداوة بين القبيين لم يكن غير قَدَر من الله أراد أن يوقع النهاية بالخالفين الحائدين .

« معاوية » و تحييد أهل مكة والمدينة

يبدو أن والى الشام قد أحس خطراً على موقفه فى نزاعه السياسى مع الخليفة الإمام ويبدو أنه قد أدرك أن مبعث هذا الخطر يكمن فى القتل السياسى لأهل الحرمين ، وألقى لا ينفى أن يتجاذبه حصرى يحاول أن يتصدى للتعامل مع رأى العام لجماعة المسلمين فى تلك الآونة ونحن ما زلنا على مشارف الغلالة الراشدة حتى وإن كانت مشارف النهاية ، وخاصة من مائل إلى « معاوية » فى دهائه السياسى .

وليس من السَّيِّم أن يكون والى الشام ربما يكون قد أحس أن أهل الحرمين هم مع الخليفة « على » ميلاً إليه فى غالبيتهم إن لم يكونوا جميعهم .

وما يزال رأى أهل المدينة ومكة وزنه وقدره الخطير فى أى خلاف أو نزاع عام ينشب فى الدولة الإسلامية لصدوره من كبار الصعابة من أمثال « عبد الله بن عمر » وغيره - ممن لم يهرم الصعول إلى البلاد المفتوحة فأقاموا ولذين فى جوار الرسول ، وقريبا من بيته الحرام . لقد كان والى « معاوية » يحشى أن يجمعه أهل الحرمين فى لحظة لاتناسبه برأى يضيف من مكافته فى نزاعه السواسى مع الخليفة « على » خاصة

أن النزاع بينهما ديني سلسي يتعلق بنظام الدولة والحكم في الإسلام — مؤداه أن البهيمة العامة لتغطية للسدين تنزيم أفراد الأمة بما فيهم الولاة حكام الولايات بالمباينة له ، وإلا فليعتزلوا الفصل لحسابه إن لم يكونوا في رضى شخصي من خلافته ، ويلزمهم بعد ذلك أن يهابوا كأفراد مواطنين عاديين وإلا خضعوا لمقوبات للمتعمين من البهيمة للقررة للثقة كنظام متبع منذ أن بدأ الأخذ بنظام الخلافة في الدولة الإسلامية (١) . وما لا شك فيه أن صدور رأي لأهل مكة وللدولة فيها ينشعب من نزاع في دولة سياستها دينها ، ودينها فهم سياستها يكون فيه الترجيح .. لوجهة النظر التي يميلون إليها وبالتالي تعمل إليها وتلتزم بها سائر البقاع في الدولة الإسلامية .

وإزاء ما يبدو من حامل الضغط والنقل السياسي الذي يمثل أهل الحرمين في المجتمع ميلا إلى التخليقة الإمام يبرز مكثفاته في جانب وإلى الشام حامل الجذب السياسي بناء على بسند النظر ، واستغلا لا للدواء في توجيه دفة النزاع وأخذاً بالأحوط في التعامل مع الخصوم للنزاعين . وذلك باستخدام سياسة التطويق للخصم ومحاولة تجريد من القوى المعاضدة معه والتي تمثل عنصر قوة له .

وهنا يدخل الوالى « مداوية » في سلوك أسلوب التعهيد لأهل مكة وللدولة حسام لا يميلون إلى الخليفة « على » إن استعصى عليه الجذب لهم تجاهه كلية .

وقدّر اقتداح العسكرية في ذهنه بدأ ممارسة التنفيذ لها ؛ فراء قبل .

(١) لقتال لمن لم يبايع

بدنه للسيرة إلى (صفهن) يسرع إلى «عرو» يستشير فيها اعتمذه من
محارة التعييد لأهل مكة وأهل المدينة «تلاقي حوار استشاري بينهما :
مماوية : إني قد رأيتُ أن تُلقى إلى أهل مكة وأهل المدينة كتاباً
تذكر لهم فيه أمر «عنان» فلما أن نُدرِك حاجتنا ، وإما
أن يكفَّ القومُ عنا .

عرو : إنما نكتب إلى ثلاثة نفر :

- ١ - راضي بـ «عل» فلا يزيد ذلك إلا بصيرة .
- ٢ - أو رجل يهوى «عنان» فلن نريه على ما هو عليه .
- ٣ - أو رجل معتزل ؟ فليست بأوثق في نفسه من «عل» .

مماوية : على ذلك !!

ومن المحاوره يعضخ أن والى الشام قد حاول التعييد لأهل الحرمين
معتدلاً على استنارة الجانب الماطن في نفوسهم واستمطاب له حساباً وذلك
بتوجيهه إلى المضادة للخليفة «عل» عن طريق تذكيرهم بمأساة الاغتيال
للخليفة «عنان» التي أُلقيت مسئوليتها على البغيين من أتباع الخليفة
«عل» دون تحديد بحيث يمكن إلقاء تبعاتها على كل فرد منهم مادامت
التهمة قد اتسعت بالشروع ، ثم امتدت حتى تناولت الخليفة عينه ، ثم
تضخمت وحمل الخليفة «عل» كل وزرها ، وانتهى بها الأمر إلى أن
حاصرت وصمة عامة يمكن أن يؤسّم بها كل فرد يحاول أن يقف في وجه
الغاصبين من أهل الشام ، أو تشتم منه ربح القصدى لهم .

ولم يعرف التاريخ تهمة مطاطة سريعة الانتقال والمدوى والارام
لشرورها القطاير حتى تلتحق بكل من لحقت به من المسلمين مثل تلك التهمة

التي تمتعت ، واستمعت على التعديد والحصر لما في فرد بعينه - واربعة
كان الجميع لها على هذا الوضع قد قصد به التطويل لتهمة لتخدم الغايات
للخليفة حقه في بسط سلطانه على سائر ارض الخلافة حيث قدمكنهم التوبيخ
لها من التعكم بدقة في توجيهها ليترى بها كل من يحاول قطع الطريق
عليهم ليحول بينهم وبين تحقيق مأربهم السياسي في ذلك - فترام
وقد نصبوا من أنفسهم اولياء الدم المطالبين بالقصاص للخليفة المغال
في الوقت الذي يوجد فيه من هو اولى منهم بتلك المطالبة ، ثم توسعوا
في هذا الحق فوققوا بوجهون سهام الاتهام بالاغتيال إلى كل من م في
غير موضع عنه حتى ولو كان من أنقى الأبرياء وأهدم من تلك التهمة .
وواضح من الحوار الاستشاري بين الداهيتين أن الوالي « معاوية »
كان واجها من الفائدة المرجوة من وراء تلك السكعابة إلى أهل الحرمين .
حيث يرى نفسه وهو متراوح بين احتمالين كلاما في صالحه :

(أ) فهو إما أن ينجح في استيانتهم إليه فعلاً ، وصرفهم من الميل .
والتأييد للخليفة « هل » وهذا يمثل عنده قوة النجاح المرموق - بدليل
قوله : « نذكر حاجتنا » .

(ب) وإما أن ينجح نجاحاً جزئياً على أقل تقدير - وذلك بهلوجه
هدف التعديد لأهل المدينتين بكف تأييدهم عن الضليقة الإمام ،
ومضادتهم له بدليل قوله : « يكف القوم عنا » وهذا يمثل في نظره نجاحاً
في تخفيف ضغط جماعات التوجيه للرأى العام ليس مقتنفاً مَرِجاً إذا
مانحج في التفرغ لضبط أولئك من أصحاب الحل والمقد ذوى الرأى .

المسروع المقدر به بين جماعات المسلمين عامة الصادر عن أهل مكة وأهل المدينة .

ويبدو من التحليل بالتقسيم الثلاثي لحال أهل الحرمين الذى طرحه المستشار « عمرو » أنه قد أظهر الأجدوى من مكانة أهل المدينتين فى هذا الشأن حيث لا بُرجى تحقيق أية فائدة تخدّم الوالى « معاوية » من جِراء الكتابة إليهم .

(١) فالأرضى بالخليفة « على » هو ضد الوالى « معاوية » والكتابة إليه لن تزيده ثقة وبصراً بسلامة موقفه أكثر مما هو عليه . إذن — لا فائدة تُرجى من مكانته — لأنه ضد صريح لا يمكن زحزحته عن وضاء بالخليفة الإمام .

(ب) ومن يهوى الخليفة المتعالي « عثمان » هو معلق بهواه بحيث لا يمكن أن يصرفه عنه صارف آخر عن الاشتغال به حتى ولو كان النظر فى أمر اغتياله والقصاص له ؛ فلن يَسْمَح له هواء بالجرى وراء التهمة الملوّح بها تركاً لما انعقد عليه قلبه من الحب لـ « عثمان » ؟؟

إذن فهذا القسم أيضاً لن يكون مع « معاوية » .

(ج) وللتزول للنزاع ليسوا أيضاً معه من بعد أن ارتفعوا لأنفسهم البُعد عن الخوض فى هذا النزاع اعقاداً منهم أن السلامة فى عزلتهم — وبهذا لن تخرجهم الكتابة إليهم مما ارتفعوه لأنفسهم .

وعلى سبيل القرض لو أمكن لأمثال هؤلاء أن يفارقوا عزلتهم لصح منهم الليل إلى « على » الخليفة ثقة منهم فى أن الحق إلى جانبه حيث ارتفعوا ييمته إداً ذى بده .

وصُفَّ مركز الوالى « معاوية » عند معتزلى النزاع يبدو من
 تحول « عمرو » : فُلِّتَ بِأَوْتَقَى فِي نَفْسِهِ مِنْ « عَلَى » حيث ركز الثقة
 النفسية عندهم وجعلها إلى جانب الخليفة الإمام - وبناء على هذا يَسْتَبْرِ
 المعتزلون من ليسوا مع « معاوية » ولا يمكن إمالتهم إلى جانبه .
 ويمكن التلخيص لناتج التقسيم الثلاثى لخال أهل الحرمين ومؤداه
 أنهم جميعاً في الجانب للضاد للوالى « معاوية » وإن كانت درجة للضادة
 له قد تفاوتت قوة وضخا .

فالأرض بالخليفة « على » هو في مضادة مريحة له ، وأحباب الخليفة
 للفتكال « عثمان » هم وللمعتزلون للنزاع في مضادة ضمنية له .

وبهذا يكون للاستشار « عمرو » قد كشف بخفة الوزن السياسى
 للوالى « معاوية » لقاء رجسان كفة الخليفة « على » عند من يهدم
 للميزان المقرر لقوى الفتاة في مجتمع الأمة الإسلامية .

والتصور الصحيح للموقف يندمونا إلى إسباغ الصلح على التتحييل
 الذى طرحه « عمرو » لمواقف أهل اللدبنتين حيث أبدى براعة الظهير
 للدرك لا تجاهات الراى العام للوزير ، واستشر ما انطوت عليه نفوسهم ،
 ومدى تأثرهم في الراى العام للدولة الإسلامية والذى تحقق صدقه نيا
 جمد^(١) .

غير أن الوالى « معاوية » لم يقتنع بما طرحه عليه « عمرو » من
 تحليل وتقسيم ، وربما كان يؤمل أن ينال خيراً من وراء المسكينة -

(١) واجع رد عبد الله بن عمر ، الذى أجابهما به ص ٢٥٨ التالية .

فما كان منه من جواب على تحليل « عمرو » سوى أن يقول : « على ذلك » .

إذن - فقد ضيع البعائج الإيمانية لمساكنته ، فما كان من « عمرو » سوى أن ينصاع لما اقترأه « معاوية » وانتهى بهما الأمر إلى الكتابة إلى « عبد الله بن عمر » سوياً فقالا في رسالتهما إليه :

« أما بعد - فإنه مهما غاب عنا من الأمور قلن ينهب عنا أن « علياً » قتل « عثمان » والدليل على ذلك مكان قفله منه ، وإنما نطلب يديه حتى يدفنوا إلينا فتلقه فنقتلهم بكتاب الله ، فإن دسهم « على » إلينا كفتنا عنه ، وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عليه « عمر ابن الخطاب » وأما الخلافة فلست نطلبها فاعهتونا على أسرتنا هذا ، واتهموا من ناحيتكم فإن أيدينا وأيديكم إذا اجتمعت على أمر واحد حاب « على » ما هو فيه » .

التعليق

والرسالة في مضمونها تنطوي على ما يلي :

(أ) الاتهام الصريح للخليفة « على » بأنه القاتل له « عثمان » استناداً إلى أنه قد آوى قتله ، وقد اتخذ الإيواء كذريعة لإقناع « ابن عمر » بأن علياً هو القاتل .

(ب) « معاوية » و « عمرو » قد نصبوا من نفسيهما أولياء دم « عثمان » لذا - طالبا بحقوقهما في التعاض من قتله .

(ح) ينفي كل من « معاوية » و « عمرو » عن نفسيهما شائبة المطالبة بالخلافة أو السعي لها - ليظل بارزاً أن قصدهما الأساسي ليس .

غير القصاص للخليفة المقتل ، ول يظهر نزاعهما أنه ديفى ميرف مقطوع
 بإنفاذ حد من حدود الله ويجرد من أية أغراض سياسية حيث أخفيت
 في ثنايا الرسالة ، ولم تذكر إلا عند اللطافة بحمل الخلافة شورى حتى بعد
 القصاص لـ « عثمان » حتى بعد الاستعانة لمطالبهم لن يصح عندما أن
 « علياً » هو الخليفة الذي يوسع له عن رفض تام من الجميع ثم جباراً أهوا.
 وما إذن أنه يستقيم لها قول بسد الآن : وأما الخلافة فلنشا
 نطلبها !!

(د) التلويح بحمل الخلافة شورى بين المسلمين فيه إسقاط الخلافة
 القائمة ، وسلطانها المائل في شخص الخليفة ، وإبطال لرسومها التي تمت
 بالمباينة لـ « علي » واعتبار أن الأمة الإسلامية في تلك الفترة إنما
 هي خُلُوفُ الإمام الشرعي لما يوسسها ويعمل مسئوليات القيادة
 لها ، وأن كل ما يصدر من تصرفات إنما تجانبه الشرعية لصدورها من
 شخص مطعون على صحة خلافته في نظره — لأنها ما تزال على ما جعلها
 عليه « عمر بن الخطاب » .

هذا — والتلويح بطرح الخلافة شورى بين المسلمين فيه التلويح
 قصد الإغراء لـ « عبد الله بن عمر » لعله يصيب منه هو في نفسه إليه
 بهواه — حيث قد وجدون المسلمين من نادى بإرجاع الخلافة « عمرية »
 في تشدها في مسيرتها بينهم بإسنادها إلى أبه « عبد الله » .
 وبما لا شك فيه أن التلويح المطيح « لابن عمر » بالخلافة ما هو إلا
 محاولة جادة من « معاوية » قصد الرزحمة « لابن عمر » عن موقفه منه
 الذي يدرك تماماً أنه ليس بمؤيد له فيه .

فشل مسعى التحييد

لقد صدق حدس « عمرو » في أن محاولة التحييد لأهل مكة وأهل المدينة غير مجدية فلا داعي للكتابة إليهم في ذلك ، وخاب نال « معاوية » في النتائج المعلقة عليها - حيث وجدنا « عبد الله بن عمرو » يرد عليهما قائلاً :

« أما بعد - فلم نرى لقد أخطأنا موضع البصيرة ، وتنازلناهما من مكان بعيد ، وما زاد الله من شاك في هذا الأمر بكتابكما إلا شكاً - وما أننا والخلافة ؟ »

وأما أنت يا « معاوية » فطليق^(١) ، وأما أنت يا « عمرو » فظنون^(٢) - ألا فكنا من أنفسكما فليس لسكما ولا لي نصير^(٣) . - .
التعليق :

والرسالة واضحة الدلالة على ما يلي :

يأتي (عبد الله بن عمرو) أن يعضده كل من (معاوية) (وعمرو) معبراً إلى غرضهما وهو الخلافة :

(١) فهين لهما أنهما قد سلكن أطول الطرق واشتقنا إلى قصدهما بقوله : تنازلناهما من مكان بعيد - أي أنه يتف في وجهيهما حقبة في هذا الأمر ، ولن يسطيعا فرصة العبور عليه بسهولة ويُسْر ، وكان من

(١) واحد الأسراء الذين أطلقهم الرسول عليه السلام يوم فتح مكة .

(٢) منهم لا يرتق به

(٣) وقمة صفين ص ٦٣

«الأنضل لهما أن يقصدا غيره» — أما هو فصلب لابلين، وبالتالي بدل الحقوى
المباراة مل أنه لو كان قد صبح منهما قصد الطريق الأقرب الأصوب
بالتسليم لصاحب الحق لكان لهما فيه خير عون .

(ب) وبين أنهما قد أخطأ القصد بليغتهما إليه — لأنه مدرك
لحقيقة مجريات الأمور، ويدل بمن هو صاحب الحق ومن يتنازعه فيه ؟
فثله لا يخفى عليه ما لهما من مأرب هو عين الطموح إلى الخلافة —
إذن — فلن يسكون لهما منه أى عون يؤثله فيه ؛ أو يحاولان
حذفه لهما . وهذا — سرٌ مخطئتهما الوثيقة التأكيد في عبارته (لقد
أخطأتما)

(ج) حدوث العلم السابق لدى « عهده بن عمر » إحساساً منه
بالتعبد الذى يهتف إليه كل من « معاوية » و « عمرو » من تطلع إلى
الخلافة كتمهيد للأحداث الجارية في الشام : من اعتناق لواليتها ومن
حبيبه من البيعة للخليفة « علي » وتطور الأمور إلى ردى للخليفة بفعل
سلفه الخليفة « عثمان » وللطالبة بدمه وإعلان « معاوية » من نفسه
ولياً يطالب بانقصاص له .

وإذا كان « ابن عمر » يساوره الشك قبل الآن في الدفاع المحرك
لذلك الأحداث ، وحقبة القصد فيما يتقويه الأشخاص الواقفون خلفها
مخدجات هذه الرسالة فزادته شكاً على شك فيما يمتزمانه من أنهما بينيان
حق وراء كل ذلك إلى التعلق بالخلافة ، والآن قد رقى شكه في ذلك قوة
حتى بلغت به الرسالة مبلغ اليقين — مما دعاه إلى أن يصارحهما في الجلة
التالية لذلك بأنهما ساقطى شرائط الأهلية لقولها .

وإذا كان « ابن عمر » قد استطاع أن يستشفَّ بِذِ كائنه من خلال
سطور الرسالة ما انتوي به ، ولم تنمَّوْه عليه الأمور فمتصدع بها ، فقد كان
أيضا واضعا في رده عليهما من أنه لن يكون مُمَيِّزا إلى قصدهما ، فمقدمه
تبيين له على سبيل القطع سرغوبهما في الخلافة نراه يماجلهما يرد تطلعهما
عليهما بأسلوب هو غاية في التوبيخ على مثل هذا التطلع بقوله : وما
أنا والخلافة ؟! أي أننا غير مُؤَهَّلَيْنَ لئليها أو محاولة التطلع إليها لعدم
توفر أيٍّ من شرائطها فيسكما — وبهذا — يكون « ابن عمر » قد
طرح بهما بعيدا من الخلافة ، وقرَّعتهما حتى على مجرد التعلق بنفسيهما
أو التطلع إليها بهذا الأسلوب !!

ولم يتركهما على حالهما من التفرغ وإنمسا أنبه ببيان الأسباب
المُنِيطة لأحليتهما فيصارع « معاوية » بأنه أحد طلقاء الرسول عليه
السلام يوم فتح مكة ، وبهذا تكون عبارته (أما أنت يا معاوية فطلقت)
للصدرة بأما الشارطة والمنقولة بأنك للوجهة للخطاب ، وإثرا وقع
النداء المحدث والمعين لذات الشخص قد حكمت عليه حكما أبديا لا تزول
رِيعته — بأنه من الأسراء الذين منَّ عليهم بإطلاق السراح — وبهذا —
لم يَسْطِطْ عنه الحق في الخلافة أبدا قطع ، وإنما ذكره أيضا بإذلال موقف
كان يحتمُّ عليه أن يكون فداءً لذلك أَمْره في ذلك اليوم .

وأما « عمرو » فقد حكَّم عليه بأنه مُتَمِّمٌ لا يُؤْتَقِ به (ولما أنت يا عمرو
ففلنكون) ومثل هذا الحكم كقول إسقاط أحليته العامة في أي تصرف
يمكن أن يمارسه في مجتمع المسلمين ، وما دامت الثقة فيه لا ترقى إلى هذه

المجلد - فإياك والخلافة ١١ وبناء على هذين الحكمين للسببين أصبح
الأمم لمهما في الخلافة ماداماً مؤسسون بذلك .

ولما كان من المقطوع به عند ابن عمر ، أن لاحق لمهما في التطلع
إلى الخلافة - إذن - فليكنها عنه مطالبتهما بالموافق في شيء إن
يستعفه ، وتكون عبارته (ألا فكفاً عن أنفسكما) تنبيه حازم صارخ
أن يجابدا بينهما وبين ملاحقته والضغط عليه بهذا الخصوص ، ويمكن
ملاحظة مدى الضغط الواقع عليه من الجمع للفظ (أنفسكما) للشراهما
ألقيا عليه بكل قلمهما - مما دعاه إلى إقذارهما بالكف عنه قلت -
حيث لن يمينهما على ما بينهما هو ولا أحد من جماعة اللذين الذين
يدركون فيهما ما أدرك - لذا قال : فليس لكما ولا في نصير .

وكأنني التفتة لمهما في هذا الأمر قاعاً أيضاً عن نفسه بخصوصه
حيث لن يجد من ينصره فيما فيه حكمة من الحق لوحد قرناً وحاول
أن يجاريهما بالمغازاة للخلافة « على » .

وهذا - أدخل في نقي النصراء من « معاوية » و « عمر » فيما
طلبها النصرة من أجله .

وإذا استطعنا أن نعتبر أن رأى « عبد الله بن عمر » هذا هو الرأى
المعبر من وجهة نظر المهجرين في عدم أحقية هذين في التطلع للخلافة فقد
وأننا رأى خلطائهم من الأنصار مثلاً في قصيدة بحث بها أنصارى (١)

(١) لم يرد ذكر لامم الأنصارى صاحب القصيدة ، وقد وثق النسب
الذى أوردته في هامش وقمة صفيين بذكره في المتن (كتب رجل من الأنصار)
مراجع ص ٦٣ .

ونقرد « ابن عمر » السالف قال فيها^(١) .
 « معاوية » إِنَّ الحقَّ أَهْلَجُ وَأَضَحُّ
 وليس بما رُبِّعْتَ أَنْتَ وَلَا « عمرو »
 نَصَبْتَ « ابن حنَّان » لَنَا اليومَ خُدعةً
 كما نَصَبَ الشَّيْخَانِ^(٢) إِذْ زُنُوفَ الْأَمْرِ
 فَمَذَا كَذَا الْبَلَاءِ^(٣) حَذَوْا نَحْسَهُ
 سواء كوفراق^(٤) يُغَرِّبُهُ السَّنَو
 رَمِيمٌ « عليا » بِالَّذِي لَا يَضُرُّهُ وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ السَّكِينَةُ وَالْمَكْرَمُ
 وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ نَالَ « حَنَّان » مَمْسَرَةً
 أَوَّلُهُ مِنْ الْأَحْيَاءِ يَجْمَعُهُمْ مَضَرَّةٌ
 فَصَارَ إِلَيْهِ الْمُلُونُ يَبْقِيهِ هَلَاكِيَةٌ مَا كَانَ فِيهَا لَمْ يَكُنْ قَسْرٌ
 فَبَاقِيَهُ الشَّيْخَانِ كَمْ تَحْمَلَا
 إِلَى الثَّمَرَةِ الْمُطَيِّ وَبَاطِنُهَا الْقَدُورُ
 فَكَانَ الَّذِي قَدْ كَانَ عَمَّا اقْتَصَاصُهُ^(٥)
 رَجِيحٌ^(٦) فَيَا لَيْلَ مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ لَنَا

(١) للتصيدة ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) غنى بها طلحة والزبير صاحبي وقمة الجبل

(٣) بمقصود البلاء

(٤) السراب يفتن به المسافرين الظلمات .

(٥) روايته تكرور وتماد (٦٠٥)

فَا وَالْقَصْرُ مَعًا وَأَنْتُمْ
وَمَا أَنَا لَهُ دُرٌّ أَيْسَكَا وَذِكْرُكَ الشَّوْزَى وَقَدْ فَتَحَ الْقَبْرُ
البيان الأدبي :

النص يُفصح عما يلي طبعا لما عبر عنه الشاعر :

(أ) لقد اتضح أن « معاوية » قد اتخذ من رثمة لقيص « عثمان »
وللناداة بالتصاحص من قتلته (خدمة) ينتظر من وراءها هدفاً سياسياً
آخر يحتميه لاهلاقة له بالدين ولا بالقبلى كي حل « عثمان » وذلك أمر لم
يخف علينا وقد ظهر واضعاً .

ولفظ (رُبِيت) يوحي بأن الانتظار إنما يتم قصد التحين لفرصة
للتأسيب للاقتراض على النرض المتصور من بعد أن تكون الخدمة قد
أنت أكلها ، ومكنت للتربصين فرصة التلث ريثما يحين وقت الوثوب ،
ولفظ (نصبت) يوحي بأن « معاوية » قد اتخذ من اغتيال « عثمان »
نصباً ألامه ليجتبه إليه المتباكون ويفرغ هو لتعتيق غرضه السياسى فى
الخلافة من وراء ذلك المشهد الحزين .

(ب) يسوى الشاعر بين صنوع « معاوية » وصنيع « طلحة »
« والزبير »^(١) فى الحادامة بما يُشِير به التشبيه فى قوله : « كما نصب
الشيطان ... » وما لاما به أمر جربلاء على المسلمين تماماً كهذا البلاه
المرتقب من وراء صنوع « معاوية » .

(١) مثيران الحروب الخفية .

(٢) بايما وعليها ، ثم انصرفا إلى التبييض حده بما أدى إلى وقعة الجمل .

(ج) يكشف الشاعر حقيقة أن ما ألهم به « علي » ما هو إلا مكيدة ومكر، وما وإن كانا لا يَصِيرَانِ شخصياً غير أن بهما من بلاء السكيدة ودعاء المكر الخطر العظيم عليه، وكان الشاعر دقيقاً عندما قال (رموز) حيث دَلَّ أن « علياً » قد أصيب فعلاً في مقتل بسبب تهميق دافعها خبت السكيد وعين السكر، ولولا حصانات معينة تميزت بها شخصية الإمام لسكنت القهمة كفولة بالحق له، وربما قصد الشاعر من وراء ذلك التلميح بظلمة « علي » في الإسلام ومواقفه الشهود به مما يسطيه مناعة ضد شرِّ القاتل أو القدامى أمام خطر هذه التهمة التي أملاها « السكيد وأحكمها السكر ».

(د) يُبْرِئ الشاعر « علياً » من تهمة القتل لـ « عتيان » مبيناً أنه لا ذنب له في الحادث الذي تألَّبَتْ فيه علي « عتيان » جماعات قديمات من خلف الأنحاء، وقصدوا بجهل علانية حيث شُهِدُوا وكانوا من السكيرة بحيث لا يقوى أحد على ردِّهم ولو عن طريق القوة، فقد كانوا رَمِيَّةً قصدوا الخيانة — وما يستطيع أحد ودَّ الرعية عن الإفناء بإمامها — وبما لُفِّقَ إليه شكاية، أو لُفِّعَ به في أمر أو لُفِّقَ به في تصرف أتاها رأَتْ فيه الجبانة للصواب — فلقاؤها حقها للشروع المكشوف في الدولة الإسلامية فلا يستطيع أحد أن يحول بين الرعية وبين هذا الحق — كأنه لم يكن لأحد فكر يمكن أن يحسد بأن الأمور ستعطور إلى حدٍّ من السوء ينتهي بمصرع الخليفة .

ولما كانت مسئولية إدارة دفة الأمور في الدولة رُفِّعَتْ بيد الخليفة القائم بالأمر — إذ أن — فقد ثبت أن لا ذنب يلحق « علياً »

على الاتهام الوجه إليه حق ولو في القرائن من نصرة « عثمان » حيث لم
يقترف القتل ، ولم يقصر في الحيلة دونه ، وبقاء على هذا
فلا مجال لاتهامه .

والاستفهام الثاني في قول الشاعر : وما ذنبه ؟

كفيل . معناه أى ذنب يمكن أن يُرمى به « على » وهو بالثالث
ثابت على من سواه من الجماعات القادمة من مختلف الأمصار والذين
هكّاهم الشاعر بقوله : قال « عثمان » معشر أئمة من الأحياء والعجز
بالنمل (ثل) يدل على أن قصد الجماعة لم يكن مصحوباً بنية القتل
للاخيلة هادى ذى بدء ، وإنما هي الأحداث تنابت نتيجة للتجمع
الجماعى غير المتجانس والمتكاثر في صعيد واحد يمثلون (الفوضى)
والجماع لا عقل لما أدى إلى تفاقم الأمور ، واندفاعها في السوء
حتى انعمت بالاعتقال المشنوم .

(هـ) ينص الشاعر على أن « طلحة » و « الزبير » بايما علياً ثم خرجا
متميزين وهما يُضمران خفراً عظيماً انطوت عليه العمرة المظلمة هذه
إشغال حرب لا ينطق لها لهيب بين جماعات المسلمين — الأمر الذي
يشنع فعله في المجتمع الإسلامى أن يفتلق المسلمون بسيفهم — وما دام
الأمر كذلك فلا تنتظر منا معونة فيما أنتم بسيله من سوء تدبير يدفع
المسلمين إلى التطاحن ، وأنتم أبعد عن الانتظار والتأجيل في أى نصرة
لكم منا في هذا الأمر الشنيع . وقد ضمن الشاعر هذا قوله البلعج : (فنا
أنتم والنصر) ثم أنبهه الأسلوب الإخبارى التثبت أنه لا هم لهما إلا إثمارة

الحروب التي لا يَجِدُ لها أوار بقوله : أننا بيميننا حروب - وجاء وصفه
المرّة - (العظمى) لِيُشِيرَ بانطوائها على غُدرٍ خطير - مما يتنافى مع
الفرض الذي شُرِعت له من كونها عامة لله ظاهرة وباطنة - أما هذه
فمظلمة لداخِلِها غرضاً خبيثاً يتنافى وشرعيتها وهو (القدر) .

(و) وكما ياعدد الشاعر بين « مساوية » و « عمرو » من أن ينظرا
أي نُصرة لهما من أهل المدينة كذلك ياعدد بينهما وبين مجرد القصد
في أمر الشورى (وما أننا . وذكرنا الشورى) وكأني به يقول لهما :
إنكنا لستما منها في شيء ، فلا تتناولانها ولو بالذكر لأنكنا لستما
من أهلها - هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لقد صح عندنا أنه
لا مقصد لكم غير (الخادعة) وما دامت حقيقتكما هكذا فكيف
يمكنكما أن تنصبا نفسيكما للشورى وأنكنا لستما من أهلها كولا مؤثمين
لها بمخادعتكم التي انكشفت مما يقطع أملكم في التطلم إليها نهائياً
على سبيل اقتراض جوازه^(١) .

وبالتّزن بين اقتتاح القصيدة : الحق أبلغ واضح وبين الاختتام
لها : وقد فلق القبر :

نرى لوئاً قريباً من ردِّ الصّدْر على العجز يُثبِت وضوح الحق نيراً
في قلب غلام الأحداث المصطنعية ، وفيما يحاول « مساوية » ومن الثقة
التقول : إنه ليس إلى جانبه وبناء على الاعتبارات التي أوردها الشاعر -

(١) لم يدخل الخليفة عمر ، في الشورى أحداً إلا من كانت نعل له
الحلّة من قريش .

عُودَ إِلَى إِرسَالِ الرُّسُلِ

للوقوف السياسي :

يبدو أن محاولات إحلال السلام ، وفض النزاع الدهاني المشعير بين الخليفة الإمام ووالى الشام بطريقة سلمية كانت ما تزال أملاً له بقية باقية ، وسرى لتلك المحاولات صوراً شتى فيما يُعَيَّل من أحداث النزاع حتى بعد اشتعجار السيوف وسقوط القتلى من الجانبين - وذلك بمحاولة كفى الرالى « معاوية » وصرفه عما هو عليه ، ودفعه إلى التَّيْن في موقعة بالهايمة للخليقة « على » وخاصة من بعد أن كان ما كان من إيفاد « جرير » وعودته بالفشل في مهمته .

وتأتى فكرة للعودة إلى إيفاد صيوت كفاء بُرامى في إرساله هذه المرة أن يدخل على « معاوية » بحيلة تأتى من عند « عدي بن حاتم » من أتباع الإمام حيث قال له :

يا أمير المؤمنين - إنَّ عندي رجلاً من قومي لا يُجارى به ، وهو يريد أن يزور ابنَ هَمٍّ^(١) « حابس بن سعد الطائي » بالشام فلو أمرناه أن يلقى « معاوية » لعله أن يكسره ، ويكسر أهل الشام .
ويسحب الإمام لامرض فأنلا : نعم فَرَّه بذلك .

وهكذا يميل الإمام إلى معاودة إرسال الرسل بناء على اقتراح قُدِّم إليه ، وتكون هذه هي المرة الأولى التي يميل فيها الإمام إلى الأخذ

(١) هو « خفاف بن عبد الله » لا والله أحد كفادة .

بما يُعرف بالسلوك الديبلوماسى الذى يهتم بالمرونة إلى جانب الحسنة فى سياسة المواقف ، ولا رُفُض الإخفاء للقصد فى العُمرِف بالسلوك به الطريق غير المباشر قصدًا إلى الهدف — حيث كان الإيقاد للرسول مدخولاً غير مرجح فقد حُطِّط ورسم له أن يتم فى صورة زيارة قريب ^١بحر إلى مقابلة الوالى « معاوية » .

ويقدم الرسول الجديد « خفاف بن عبد الله » على ابن عمه « حابس ابن سعد » بالشام ، ويُحدث « خفاف » ابن عمه « حابسا » أنه قد شهد أحداث المدينة التى أودت بحياة الخليفة « عثمان » .

ولما كان أهل الشام فى حالة تمعش إلى العُمرِف على تفاصيل تلك الأحداث وحقيقة الأسر فيها من مصدر ثقة لم يثبتوا حقيقة موقفهم فى النزاع الدينى السياسى ، ولما كان « خفاف » للبعوث من الدين يؤثِق بكلامهم ^(١) فقد غدا به « حابس » إلى « معاوية » ليعُدِّته بأحداث المدينة ، وما أن انتهوا حتى دار بينهما الحوار التالى :

معاوية : (موجهسا حديثه إلى خفاف) هات يا أخا طيىء : حدثنا عن « عثمان » .

خفاف : حَقَرَهُ الْكُشُوح ^(٢) ، وَحَكَمَ فِيهِ حُكْمِي ^(٣) ، وَوَلِيَهُ مُحَمَّد ^(٤)

(١) كان بليغاً لئسأ ذا مهابة كما كان شاعرآ — راجع زقعة صفين ص ٦٥ .

(٢) المكشوح المرادى / شخص عتلف فى اسمه .

(٣) حكيم بن جبلة بن حصن العبدي كان عاملاً لعثمان .

(٤) محمد بن أبى بكر الصديق .

وَعَمَّارٌ^(١)، وَتَجَرَّدَ فِي أَمْرِهِ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ : عَدِيَّ بْنُ حَاتِمٍ ، وَالْأَشْجَرُ النَّضِيُّ ،
وَعَمْرُو بْنُ الْحَنَفِيِّ ، وَجَدَّ فِي أَمْرِهِ وَجَلَانٌ : طَلْحَةُ وَالزَّيْبِرُ ، وَأَبْرَأُ النَّاسِ
مَعَهُ « عَلِيٌّ »^(٢)

مَعَاوِيَةُ : كَيْفَ مَعَهُ ؟

خَفَافٌ : نَزِمَ خِفَافَتِ النَّفَاسِ عَلَى « عَلِيٍّ » بِالْبَهِيمَةِ نَهَافَتِ الْفَرَاشِ حَتَّى ضَلَّتْ
النَّمْلُ ، وَسَقَطَ الرُّذَاءُ ، وَوُطِنَ الشَّيْخُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ثُمَّ نَهَجًا
لِلسَّيْرِ وَخَفَّ مَعَهُ الْمَاهِجُونَ وَالْأَنْصَارُ .

وَكُرِهَ الْقِتَالُ مَعَهُ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ : رَسَمِدُ بْنُ مَالِكٍ ، وَعُمَيْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْرٍ ،
وَعُمَيْدُ بْنُ مَسْلَةَ ، لَمْ يَسْتَكَرْهُ أَحَدًا ، وَاسْتَعْنَى بِمَنْ خَفَّ فَمِنْهُ عَنْ نَقْلِ ،
ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى جَبَلَ طَبِيءٍ ، فَأَنَاءَ مَتْنًا جَمَاعَةً كَانُوا ضَارِبِينَ بَيْنَهُمُ النَّفَاسَ
حَتَّى إِذَا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَنَاءَ عَجِيرٍ « طَلْحَةُ » وَ « الزَّيْبِرُ »
وَ « عَائِشَةُ » إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَسَرَحَ وَجَاهِلًا إِلَى السَّكُونَةِ فَأَجَابُوا دَعْوَتَهُ ،
فَسَارَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَهِيَ فِي كَفِّهِ ، ثُمَّ قَدِمَ إِلَى السَّكُونَةِ فَحَصِّلَ إِلَيْهِ الْعَصِيَّ
وَدَبَّتْ إِلَيْهِ الْمَجُوزُ ، وَخَرَجَتْ إِلَيْهِ الْمُرُوسُ فَرَحًا بِهِ ، وَشَوَّكَهَا إِلَيْهِ ،
فَفَرَّقَتْهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا الثَّامُ^(٣) .

حَابِسٌ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَقَدْ أَسْعَيْتَ شَرًّا غَيْرَ بِحَالٍ فِي « عَنَانَ » وَعِظَامٍ
بِهِ « عَلِيًّا » عَفْلَى .

(١) عَمَّارُ بْنُ يَاسِرِ الصَّحَابِيُّ .

(٢) رَاجِعْ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةَ وَلَدِ الْمَذْبُورَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ السَّالِقَةِ .

(٣) وَقَعَةُ صَيْفِينَ ص ٦٥ .

حماوية : أسمعني يا «خفاف» .

فأنشد بين يديه قائلا^(١) :

قُلْتُ وَالْأَيْلُ سَاقِطُ الْأَكْفَانِ وَبِجَنِّي مِنَ الْفِرَاشِ نَجَافٍ
أَرْقُبُ النَّجْمَ مَائِلًا وَمِنَ الْغَمِّ هُنَّ^(٢) يَمِينُ حُلُوبَةِ التَّدْرَافِ
لَيْتَ شِعْرِي وَإِنِّي لَسْتُ لِحُلِّ هَلْ لِي الْيَوْمَ بِالْمَدِينَةِ شَافٍ
مِنْ صَاحِبِ النَّبِيِّ إِذْ عَظُمَ الْخَطُّ بٌ وَفِيهِمْ مِنَ الْبَرِيَّةِ كَافٍ
أَحْلَالَ دَمَ الْإِمَامِ يَذْنِبُ أَمْ حَرَامٌ بِسَفَةِ الْوَقَافِ^(٣)
خَالَ لِي الْقَوْمُ : لَا سَبِيلَ إِلَى مَا

تَطْلُبُ الْيَوْمَ قُلْتُ : حَسْبُ خِفَافٍ
خَفَدَ قَوْمٌ لَبِثُوا بِأَوْعِيَةِ الْمَلَسَمِ وَلَا أَهْلَ صِغَةِ وَغَفَافٍ
خَلْتُ لَمَّا سَمِعْتُ قَوْلًا : دَعُونِي إِنْ قَلْبِي مِنَ الْقُلُوبِ الضَّعَافِ
قَدْ مَضَى مَا مَضَى . وَمَرَّ بِهِ الدَّهْرُ كَمَا مَرَّ ذَاهِبُ الْأَسْلَافِ
إِنِّي وَالَّذِي يَجْعَلُ لِي النَّاسَ مِنْ هَلْ لُحِقَ الْبُطُونُ^(٤) الْعِجَافِ
تَتَبَاوَى مِثْلَ الْقَيْسِ^(٥) مِنَ النَّبِ عِ بَشْمِ^(٦) مِثْلَ الرَّصَافِ^(٧) بِخَافٍ
أَرْهَبُ الْيَوْمَ إِنْ أَتَاكَ « عَلَى » صِغَةً مِثْلَ صِغَةِ الْأَحْقَافِ^(٨)

(١) وقعة صفين ص ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ . (٢) يضم الغين النون .

(٣) التاني . (٤) ضامر الإبل هو لها .

(٥) الأقواس تضرب بها السهام — شبه بها الإبل في تقوسها لضعفها
وتنحرفها

(٦) مني بهم المصباح الذين تلبد شعرهم واغبر .

(٧) المقددة يصلح بها السهم المتكسر .

(٨) الإهلاك الذي لحق بمعاد قوم هود .

لَمَّا لَيْثٌ عَادِيًا وَشُجَاعٌ ﴿١﴾ مُطَرِّقٌ نَافِثٌ بِسَمِّ دُغَائِفِ
خَاسِرُ الْخَيْلِ كُلِّ يَوْمٍ نَزَالٍ وَنَزَالُ النَّفَى مِنَ الْإِنصَافِ
وَاضِعُ السَّيْفِ فَوْقَ عَاتِقِهِ الْأَيْمَنِ يُدْرِي بِشَتُونِ التَّعَافِ ﴿٢﴾
لَا يَرَى الْقَتْلَ فِي الْخِلَافِ عَلَيْهِ أَلْفُ أَلْفٍ كَانُوا مِنَ الْإِسْرَافِ
سَوَّمَ الْخَمَلَ ثُمَّ قَالَ لِقَوْمٍ تَابَعُوهُ إِلَى الطَّمَانِ خِفَافٍ :
اسْتَعْدُوا لِحَرْبٍ طَافِغَةٍ الشَّامِ قَلْبُوهُ كَالْبَهْنِ الْطَّافِ
ثُمَّ قَالُوا : أَنْتَ الْجَنَاحُ لَكَ الرَّيَّانُ شِئْنُ الْقُدَامِ وَنَحْنُ مَعَهُ الْخَوَافِ
أَنْتَ وَالِإِثْمِ ، وَأَنْتَ وَالْهَرَبِ وَنَحْنُ الْغَدَاةُ كَالْأَشْيَافِ
وَقِرْبَى الضَّعِيفِ فِي الدَّارِ قَلِيلٍ قَدْ تَرَكْنَا الْمَرَاقِ لِلْإِنْعَافِ
وَمُمْ مَامُمْ إِذَا نَشِبَ الْبَأْسُ مِنْ ذَوِي الْفَضْلِ وَالْأُمُورِ الْكَوَاكِفِ
وَانْظُرِ الْيَوْمَ قَبْلَ نَادِيَةِ الْقَوَى مِ بِلْمِ أَرَدْتَ أَمْ بِخِلَافِ
إِنْ هَذَا رَأَى الشَّفِيقَ عَلَى الشَّامِ مِ وَلَوْلَاهُ مَا خَشِيتُ مَشَافِ

«بَيَانُ الْأَدَبِ» :

استطاع الرسول للدُّخُولِ « خِفَافٌ » أَنْ يَلْتَمِسَ فِي حَدِيثِهِ الْخَوَارِجَ
وَفِي إِيجَازِ بَلَاغِهِ عَمَلُ الْأَحْدَاثِ لِلتَّعْلُوقِ بِإِفْتِخَالِ الْخَلِيفَةِ « بَنَانٌ » حَيْثُ
تَحَدَّثُ عَنْ حِصَارِهِ وَحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ فِيهِ ، وَمَنْ وَقَفَ إِلَى جَانِبِهِ مِنْهُمْ ،
وَمَنْ تَجَرَّدَ فِي أَمْرِهِ ، وَمَنْ جَدَّ فِيهِ ، وَمَنْ هُوَ بِرِيءٍ مِنْ تَهْمَةِ قَتْلِهِ .
وَزَادَ الْأَمْرَ دَقَّةً وَوَضُوحًا بِقَرْئَةِ الْحَدِيثِ بِاسْمِ صَاحِبِهِ ، وَأَتَى بِهَا

(١) الذِّكْرُ مِنَ الْحَيَاتِ

(٢) يَطِيرُ بِهِ الرُّوسُ

مرتبقة وفق أهميتها ، وأنها يائبات البراءة الخالصة للخليفة « على » من تلك الأحداث المروية في حياة الأمة الإسلامية ، وكان بارحاً في تسميته : وأبرأ الناس منه « على » حيث أثبت له براءة مطلقة لا يلحقها أى شك ولا مطعن - حيث أوردنا على سبيل القرض بأن تهمة القتل لو لحقت بجميع الناس ووقعت عليهم لكان « على » هو الفرد الوحيد الأبرأ منها ، وأقرب مبادوته هذه في مقام الأحداث للعروضة لتكون للثبوت لحديث الأحداث والنقطة عند حد البراءة - « على » بما لا يدع مجالاً لـ « معاوية » للنقاش أو التشكك أو معاودة الذكر لتلك الأحداث ، وبها يكون الرسول « خفاف » قد بلغ قصده في إتهام البراءة للإمام ، وأسقط من يد « معاوية » أقصى سلاح كان يعتمد عليه في نزاعه السياسى له .

ولهذا لم يجد « معاوية » لنفسه من سهيل سوى أن يقول : ثمّة ؟ وكأنه قد خشي من « خفاف » أن يطيل من حديثه في إتهام البراءة لـ « على » فقاطعه طالباً منه الانتقال وسرد بقية الأحداث - مع أننا لو تذكر قاطعة حديث « معاوية » لوجدناه يقول : حدثنا عن « عثمان » .

ولربما كان داعى « معاوية » في طلبه السالف هو التعرف على ما تلك مقتل « عثمان » من أحداث ظاناً أنه لن يكون هناك حديث من براءة « على » فأن قالها حتى قاطعه لينتد من مجزئ الحديث الذى لا يرغب وحى لا تقع براءة الخليفة « على » على من في المجلس كالسكة اللطيفة السكتية يترقبون فى نفوس السامعين وثناقلها الألسن خارج المجلس مثبته البراءة للإمام - وهذا أمر لا يخفى « معاوية » فسكانت

المقاومة بمثابة صرف الفطر عن حديث البراءة ، والدعوة إلى موالاة

السرد لما تلا ذلك من أحداث III

و « خفاف » بليغ في تصويره التزام على بيمة « على » بهافت

الفرّاش - فن المعروف عن الفرّاش أنه لا يهافت إلا على مصدر الفود.

إذن - قد جعل « خفاف » من الإمام تبعا لهداية هفت إليه جميع

فوس المسلمين نهاية بطريقة لم تُعهد إلا في نهافت الفرّاش - حيث

أدى التزام على البيمة له إلى وقوع أمور ما كانت تحدث لو كان

التزام عاديا أو تم في حد المقول .

لقد دس الشيوخ في مجتمع مجل كباو البن ويوقرم ؛ وسقطت

الأردية من المناكب وما كان الدري يحرس إلا على كمال هيبة في

جال هيته ، وضاعت الثمال وزاغت باختلاط بمقتضا في بعض في

مجتمع شعث فيه الثمال فا كان كل عربي بمنصل - وما ذلك إلا

دليل السكرة السكرة التي تدافعت بطريقة تهاوى فيها حمل الثقاليد

نفرجت غايه ، وما أمكن الحفاظ على شيء من النظام نتيجة لطوفان

المنذمين العدائين من الجموع الراضية ببيمة الإمام .

أما قول « خفاف » : إن « جلها » لم يذكر « عيان » ولم يذكره -

فلربما أتى بها الرجول قصدا واضحة في موضعها هذا إثر الحديث عن

التزام على البيمة ليبرز أمرا قد اعتزمه المجتمع الإسلامي وشوكة أن

جماعة المسلمين قد صرفت النظر نهائيا عن الالتفات إلى أحداث الفتنة

الطاغية التي أودت بالغلبة « عيان » وأنها قد فتعت في حياتها صنعة

جديدة بدأتها بالبيمة للإمام « على » .

وعندما يتحدث « خفاف » من إجماع المراق على البيعة للإمام
تراه يصور ذلك في عبارات صنع منها التضاد في الأسلوب استغراقاً شل
جميع الرعية لم يخاف منهم أحد حتى من لا يحتم عليه الخروج بالمباينة .
فلحديث عن الصبي المحمول ، والمعجوز التي تدب إنما هو خيفك
فحق في التعبير تناول به جميع أفراد المراق من صغورهم إلى كبرهم ورجالاً
وتساء - بدءاً بالصبي من جنس الرجال وانتهاءً بمجائز النسوة ، وفاهولك
بالرجال شيباً وشباناً أصحاب الأصوات المخروطة بالمباينة أساساً وإن كان
مستكوناً عنهم لشمول التعبير لإمام ضمناً بالنس على المجائز من النساء
اللاتي لا يحتم عليهن الخروج ولا يقطعنه إلا بمشقة - إنه فرح القنām
شل الأمة على خليفة رضى به بموسها !!

حتى العروس التي غايشوقها شيء في حياتها أعظم من أن ترى نفسها
عروساً - لقد غماها فرح أمتع مما يحى فيه فخرت إليه لنفسهم فيه ،
ولقرب من الفرحة به - وما كانت ظروف موسها تدعوها إلى
الخروج لو لم تكن في اعتبارها أن الخروج هو الأمتع !

وبعد أن أحكم « خفاف » التصور للاستجابة الجماعية المحبة إلى
أهل العراق يبعثهم للإمام تراه ينهى حديثه بما يشعر أنه قد طارق
الإمام وهو مطمئن على قوته وضعه السياسي ورجوح كفته على من
يتنازعه ألا كان من بعد أن طابثة أرض الجزيرة والعراق ولم يبق أمامه
من مهام سوى الشام وما أيسرها أمام قوى الدولة الإسلامية التي
انحازت إلى جانب الإمام !

وبهذا يكون « خفاف » قد وازن خفية بين ماعليه الخليفة الإمام
 وبين ماعليه والى الشام من قوة ، ووضع والى الشام فى الجانب الأضعف
 الذى يسهل على الإمام اجتياحه والسيطرة عليه ، وورده إلى جادة العوالم
 حول بالقوة إذا تمكنت حلانها نيكاً من بعد أن فرغ له الإمام حيث دانت له
 مسائر أنحاء الدولة الإسلامية ، ولم تبق سوى ولاية الشام — وهنا يبرز
 حوال منبسط لمعة والى الشام ومؤداه : فهل تقوى يا « معاوية » على
 المجاهدة والمقاومة لتلك القوى التى أتاك بها الخليفة الإمام ؟

فقد أتاك بكل تاريخه الحربى ، وببطولته فى الحروب الإسلامية ،
 وبشجاعته التى أثرت عنه فيها ، وبصره فى وقعة الجمل ، وبقوة الأمة
 الإسلامية تقف إلى جانبه تشد أزره من بعد أن وضيت به ودانت
 له واسقوى الشرعية بالإجماع على مبايعته خليفة .

وهنا نجد والى الشام وقد استولى عليه القدر وركبه الخوف^(١)
 وما كان يملك سواها أمام تلك الأنباء للربعة لحشد القوى ضده
 والى صيبت عباداتها بنقة وعداية أذهبت قوة تماسكه .

وليت الأمر وقف عند حد النقاش الحوارى للرعب الآنف
 وإنما وجدنا « حابسا » صديق الرسول بخير « معاوية » بأن
 له « خفاف » شيراً خطيراً ، وخطورته تمكن فى تغييره للمعالم التى
 أحلت عليها فى الولاية فيما يتعلق به « عثمان » وفيه ما فيه مما عظم به
 « علياً » حدى .

ويسمى « معاوية » القصيدة فهيبه الانكسار^(١)، ويحس الضياح
من بعد أن أحسَّ أن أهل الشام الذين يركن إليهم هم حُرمة لفضلت
من قبضته ، وهذا — لا يملك إلا أن يقول :
معاوية : يا « حابس » إني لا أظن هذا^(٢) إلا عَيْناً لـ « علي »

وقد كان « معاوية » قوى الخلدس في إحساسه بالارتباط الوثيق
بين ما أُلقي إليه من حديث وشِعر مُرعب وبين النزاع الدائب بينه
وبين الخليفة الإمام ، وأن « خفافا » ليس غير جاسوس وطاير
خاص جاء ليضرب أهل الشام وواليتهم في منوياتهم لحساب الإمام .
ولربما ساءل والى الشام نفسه سريعا :

وماذا يملك مِن قوة إذا انصرف عنه أهل الشام اقتناعه
ببراءة « علي » ؟ .

وكيف تمكنه مقاومته والحال أن « عليا » بقواء لم يعد له مِن مُسواه ؟
وهنا تبسّدو قبة القشوف عند « معاوية » من خطورة بقاء
« خفاف » في الشام فتجده يصور أمره النافذ إلى « حابس » قائلا :
معاوية : « أَخْرِجْهُ هُنَاكَ لَا يَفْسِدُ أَهْلَ الشَّامِ »
وما كان هذا إلا نتيجة للتأثير النفسى الرعب الذى وقع والى الشام
سريعا له من بعد أن سمع قصيدة « خفاف » للرابعة إثر حوارهِ الخفيف .

(١) راجع نص القصيدة .

(٢) يعنى « خفافا » الرسول .

وبعد — فما هي تلك للماني التي أزعجت « مساوية »
في القصيدة ؟

(أ) استعمل « خفاف » قصيدته بإظهار الفائق والحدة نتيجة
لانتخبط نيا لم بالدينة من أحداث ، ولم يجد من يهتفه بحقيقتها فتسريح
غسه حتى ولا من الصحابة أنفسهم على الرغم من وفورهم — مما ياهد
بينه وبين المنام وأسندهم يرقب العجم بعين دامعة .

ويكشف من حقيقة الأحداث في البيت الضامس وينص على أنها
تلك التي انتهت بأغتيال الخليفة « عثمان » .

وقد أظهر ذلك في صورة من يتساءل عنها وعن الخلل والخروعة نيا
أصاب الخليفة ؛ فتلك أمور قد انتهت ، ولم يستعلم لها أحد تفسيراً
أدبياً نافعاً يريح من يتساءل ، ثم يتبع تساؤله بسرد أقوال تتردد على السنة
العامّة تكاد تقطع في مجوعها بالأسبيل إلى محاولة تبين حقيقة
ما حدث — ولما كانت الأقوال الوردّة قد صدرت عن العامّة ولم
ينض دليل مقنع على صحتها ، ولم تصدر عن لسان مفسّر الترداد لتفسير
الوثيق من الأقوال ، ولم تصدر أيضاً من أهل بصيرة بحقيقة ما حدث
— لذا — ترى « خفاف » يبدى عدم الاطمئنان والرضى بكل ما ورد ،
ويظهر أنه لم يصد يقوى على تحمل الترداد لمثل تلك الأناويل التي
لا يدعها أي قدر من صحة أو سلامة ، وبهذا — يسم « خفاف » نفسه
بأنه واقعي يحكي حقيقة ما يعوج به المجتمع من أناويل ، وبأنه محايد نيا
يحكيه وليس أسير رأي معين قد يظعن عليه في صدق ما يحكيه لدى
« معاوية » فينسد عليه مهمته التي وقد من أجلها .

(ب) ولما كانت الأحداث قد تضاربت واختلطت دون إمكان التعديد أو تمايزها استعصى منه الاهتداء إلى صواب قرارها أصحاب « حيان » لا — كان من عين الصواب عند « خفاف » وعند عقلاء الأمة أن يفلقوا باب شر يهدد الأمة بأن يهبوا القتل فيها حدث، وبأن يقتنعوا بأنه :

قد مضى ما مضى ومز به الدهر — كما مرّ ذاهب الأسلاف
إتها الدعوة للأمة أن تضرب صفحا من فتنة قد ألت بها واتمت
بمصرع الظلمة ، وتذر القصاص له لاندام التعديد الدقيق لشخص
القاتل وتيممه خلال طوفان الجموع الزاحفة على منزل الظلعة دون توقع
من أحد أنها كانت ستعنى إلى ما اقتت إليه من الاعتيال للؤسف .
وكان في صرف النظر عن القصاص وإبراء للشبه فيهم مرور قوى
يؤدى تضاد الإهدار لأنها رسات يدماء السدين فيها يمد ، وكراهة
أن يوقع القتل عن طريق الشجة يرى . فيكون عدوانا قد ارتكب
في صورة قصاص ولا قصاص لن اغتيل — وهذا يمثل عين التعبط في
إيقاع العقوبة !!!

كما أن الأخذ بالحسنة : قد مضى ماضى ومز به الدهر ...
كان كفولا بتعلمص الأمة الإسلامية من الميزات السياسية التي أدت
بها إلى الققسام إلى شيع وأحزاب متنازعة متناحرة مقفانة ، وفصحت
على نفسها شروور الاعتيال السياسي ولم تفرأ منها حتى الآن ، وإنما
تماودها القينة بمد الفينة ملبسة أردية غفانة تراوح بين الدين أو السياسة

أو بين الدين والسياسة مما مما تنافي منه ضحفا وتضككا .

وقد كان من الأوفق والأصلح للأمة أن يتوقف النزاع بين الخليفة للبايع له والوالى للمنع عن البهمة عند مرحلة ما قبل تحكيم السيف في الرقاب وإخلاء النفوس وتأريث الأضغان وإثارة العصبية — حيث كان يرجي لنزاع حل أى حل غير الاحتراب !!!

والحكمة الذهبية الدامية إلى طرح الفكيك في أمر الفتنة جانباً فيما مرضه « خفاف » إنما هي موجهة في حقيقتها إلى شغور والى الشام بعينه ، وإن كان الشاعر قد مرضها في صورة الدعوى العامة — يحاول أن يريح بها نفسه والآخرين كذلك من بعد أن نشد الحقيقة فاستعصى عليه إذراكها . وهى أيضا دعوى لوال الشام ليستنوق ويخرج عما هو فيه من أمور من الهمم أنها تجرُّ خراباً على الأمة الإسلامية إذا استمر على تمسكها — إذن — فلا يضرب صفحاً عما مضى ، ولننهض لحل مشا كل نزاعه مع الخليفة .

وقد كان في هذه الدعوى انطى لسكل فريق لو كان قد أمكن إيلام الشرّ الجوىح — ولكن مجرى الأحداث قد صار مندفا إلى خلاف ما تنقضى به الحكمة وينشده عقلاء الأمة !!!

(ج) ولما كان الشاعر يحس أنه ربما لن تكون من والى الشام الاستجابة لمرضه .

لذا — نراه قد أتبعه يقسم مملو بمجيج بيت الله الحرام ينم على ضخامة المؤل المالح الذى ينتظر الشام على يد الخليفة « على » الذى أعد لهم إغلاكا بمائل لإهلاك قوم « عاد » !!!

وله دلال على صحة ذلك نراه قد امتدح « عليا » المقاتل بأنه :

١ - الشجاع القوي في حالة الهجوم .

٢ - أشد الثمانيين فكاً بسمه المقاتل - وهو الآن في لحظة

ما قبل النهش .

٣ - المقاتل المتعصب بسلاحه الذي يحسن استخدامه في الإطاحة

بالردوس .

٤ - المقاتل صاحب الرأي في القتال ، وأنه لا يرى بأساً بالإطاحة

بالآلاف المؤلفة في سبيل وضع الحق في نصايه .

ويلاحظ عند البهتان للاستعداد القتالي الذي أعدّه الإمام قد وجهه

الشاعر إلى وإلى الشام أساساً ، ولم يتناول به أهلها اللهم إلا إذا ناصرته

- عما يدل على أن النزاع في حقيقة بين الخلافة وواليه ، ثم هم فشل

الأحياء والأغنياء ، والقبائل والأقاليم ، والمراقبون في اعتزام الإمام

القتال جعلوا أنفسهم منه بمنزلة الخوفا من القوادم دحماً وتأيداً وكفاية .

(د) تظهر المفردة الشاعرية عند « خفاف » في تمكنه من صياغة

وأبه بقوة وإحكام عندما يتبها لاختتام قصيدته - فتراه يُنهيها بدعوة

ناصرة للوالي « معاوية » يرجسه فيها بين خيارين : السلم أو الخلاف

وكان في بدعوة قاتلاً : يا « معاوية » انظر وتأمل وتغير لك

طريقاً آمناً تملكه : السلم أم غيره قبل أن يتم التعادى للقتال ، والنفخ

في نفير الحرب .

وانظر اليوم قبل نادية القوم بسلم أروفت أم بخلاف

وتقديم لفظ (السل) إغراء « معاوية » أن يقع اختفاره عليه .
حين بعد أن عدده قبل تخييره ، وأورد اختيار الثاني بلفظ (انقلاب)
اليدل على سؤنه مسلكا لا يرتضيه لوالى .

هذا — والنصيحة مَسُوقة في صورة الرأى الشغفى يقدمه الحب
المشفق على الشام وأهله ، ومن الشفقة بهم تحميم انقلاب الموقع لهم
بلى الإهلاك .

فياحبذا — لاستعجاب والى لما أهداه الحب المشفق !

والقصيدة قد بلغت بمعانيها وحسن صياغتها ، وجميل مرضها حد
التأثير المنشود حيث انكسر لها « معاوية » ^(١) غير أن والى الشام كان
له من قوة الإدراك ما أشمره بأن « خفا » ليس إلا مدخولا عليه .
وأنه يآرائه هذه خطر شغفى عليه يمكن أن يفسد عليه أهل الشام ،
وإن كان دماؤه قد أبلى عليه أن يخرج الكلام على أنه يخشى منه
الإنساد لأهل الشام في أنفسهم أما هو فلا عليه منه شيء .

فأبدى خلاف ما يريد: مداراة وبراعة منه في التحكم في التعبير ،
وبنى على اعتباره هذا قراره بإبعاد « خفاف » من الشام .

عَوْدٌ إِلَى مُرَاسَلَةِ خَاصَّةٍ (أهل المدينة)

١ - « عبد الله بن عمر »

٢ - « سعد بن أبي وقاص »

٣ - « محمد بن مسلمة »

الموقف السياسي : يبدو أن الوالي « معاوية » مازال مُصِرّاً على محاولة استمالة أهل المدينة تجاهه بُنية الترجيح لوزنه السياسي في نزاعه مع الخليفة الإمام ، أو تحييدهم على أقل تقدير إن لم يمكن من استمالتهم. تجاهه كلية كما أوضحنا آنفاً^(١) .

من أجل هذا نراه هنا يماود الأتصال مع الخاطفة من أهل المدينة ممن يشتعر نفهم الخطر عليه إن لم يكونوا أميل إلى جانبه ؛ فكتب إلى « عبد الله بن عمر » يقول^(٢) :

١ - « أما بعد - فإنه لم يكن أحدٌ من قريش أحب أن تجتمع عليه الأمة بعد قتل « عثمان » منك ، ثم ذكرت خذلانك إياه وطعنك على أنصاره فتغيرت لك ، وقد هوّن ذلك على خلافك على « علي » ، وعما عنك بعض ما كان منك قاصداً - رحمتك الله - على حق هذا الخليفة للظلم ، فإنني استأريد الإغاثة عليك ، ولكنني أريدك لك ، فإن أبيت كانت شؤري بين المسلمين »

(١) راجع (الوالي معاوية يحاول تحييد أهل مكة والمدينة)

(٢) وقعة صفين ص ٧١ - ٧٢

التعليق :

وَقَوَى الرِّسَالَةَ بِتَضَمُّنِ التَّلْوِيجِ بِأَمْرٍ عَلَى دَوِجَةِ قُصُوفِ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ

فِيهَا يَتَمَلَّقُ بِشَخْصِ « عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ »

أُولَئِكَ : التَّلْوِيجُ بِالْتَهْدِيدِ لَهُ بِالتَّهْمَةِ (التَّهْنِائَةِ)

و « معاوية » في هذا وإن لم يكن منها إله بالتورط فيها مباشرة ،
إلا أنه قد أعان على « عاتق » غلبته والطمع على أنصاره — كما يذكر
ثم أتبع ذلك بمبرر يخفف من عقوبة الجرم الذي ألحقه به « ابن عمر »
وهو خلافه على « علي »

وَيُلَاحَظُ أَنَّ التَّهْدِيدَ فِي الرِّسَالَةِ مَخْلُفٌ بِخِلَافَةِ رَقِيقَةٍ تَمَكَّدُ بِحُفْنِهِ وَلَا يُتَّهَدِّدُ
فَقَدْ اسْتَعْدَمَ مَعَ الْإِتِّهَامِ مَبَارَةً : (فَتَغَيَّرَتْ لَكَ) الَّتِي تُظْهِرُ الْأَثَرَ النَّفْسِيَّ
لِلتَّهْمَةِ عِنْدَ « معاوية » أنه مجرد تضرع ولم يعتمد هذا الطُّورَ إِلَى مَا هُوَ
أَعْظَمُ ، وَاسْتَعْدَمَ مَبَارَةً (هَوَّنَ ذَلِكَ عَلَى) لِيُذِلَّ عَلَى أَنَّ أَثَرَ التَّهْمَةِ مِنَ
الْمُسْكِنِ أَنْ يَنْتَحِيَ إِذَا مَا تَمَّ لـ « ابن عمر » أَنْ يَسْتَمِرَّ عَلَى مَوْقِفِ
الْخِلَافِ عَلَى « علي » فَيَا يَتَمَلَّقُ بِتَزَاجُعِهِمَا ، وَمِنْ أَجْلِ دَفْعِهِ إِلَى الْمَارَضَةِ
وَالْخِلَافِ أَكْثَرَ ذِكْرٍ أَنَّ بَعْضَ أَرْكَانِ التَّهْمَةِ لِلْوَجْهِ إِلَيْهِ قَدْ سَقَطَتْ
فَعَلَا عَنْ « ابن عمر » مَا دَلَّ عَلَيْهِ تَهْوِيرُ « معاوية » : مَا عَنْكَ بَعْضُ
مَا كَانَ مِنْكَ .

إِذَنْ — فِيهِ تَهْمَةٌ غَيْرُ مُسْكَنَةٍ الْأَرْكَانِ ، وَمِنْ الْمُسْكِنِ أَنْ تَنْهَارَ
تَمَامًا وَلَا يَهْتَرِبُ عَلَيْهَا أَيْ عَقُوبَةٌ إِذَا مَا صَحَّ مِنْ « ابن عمر » الْمَوْزُونِ
لـ « معاوية » عَلَى الْخِلَافَةِ « عَلَى » فِي تَزَاجُعِهِمَا .

وَتَاوِيَهُمَا : التَّلْوِيجُ لـ « ابن عمر » بِالْخِلَافَةِ صِرَاحًا فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ لِإِطْلَاعِهِ

له في النصب الخطير إن لم يسكن سلاح التهديد غير مقم له بالاستقالة أو الخيانة — ومن لم تردعه الرحمة ربما يعتز به مغريات الإطعام.

وكانت تلك خطة يجانبها يفسد النظر في تامل « معاوية » مع « ابن عمر » فتل « ابن عمر » ما كان يأبه لرغبة أو رهبة مهما بلغت خشوة التهديد أو عظمت للفرات — مما استدلل عليه الأحداث غيا بد ١١١

وما كان لوالى الشام أن يقصب من نفسه مدحياً عاماً ومثلاً للأهلام بوجهه إلى من يريد كإقراءى له دون أن يدعبه أحد لذلك، أو تكون له أى صفة رسمية فيه — مما سوغ للعامة التلاعب بهذه التهمة الخطيرة في غير موضعها، فلاننى داع التنازع بوجهها أى فرد ليعم بها أى فرد آخر، فخرجت التهمة عن خطر الاغتيال السياسى وأصبحت سلاح تهديد يمكن أن يوجه لأى خصم قصد إيقاع الضرر به والتئيل منه .

وما كان لـ « معاوية » الوالى أن يحمل من نفسه وصفا على خلافة المسلمين — يستندها لمن يشاء، ويصرفها عن يشاء، أو يترك أمرها شورى وكأنه قد جمع سلطة أهل الشورى والحل والمقد وركزها في شخصه في مجمع للمسلمين، وأهل الشورى والحل والمقد فيه أحياء. ما تزال لهم مكاتبتهم ورأيهم في الخلافة وعظام شئون الدولة وزنه وقوته — بدليل لجوئه إلى بعضهم هنا يحاول معهم ما يحاول ١١١

هذا — وفي الإغراء من « معاوية » لـ « ابن عمر » تركزت في أسلوب قصير حاصر الخلافة في « ابن عمر » ميلاً لإيادها إليه من بد أن

فها من نفسه تأميراً ورأساً أوردته على سبيل النفي والاستثناء قائلاً :
 لست أريد الإمارة عليك ولكنني أريدك لك ، ولما كان « معاوية »
 حريصاً على إذهاب الشبهة القائمة للعنقة في أنه يسمي إلى الخلقة لنفسه
 من وراء جهوده هذه — لذا — نراه في تسميته قد صدر أسلوب القصر
 بتوكيد ظاهر ليزيد معنى نفى السمي لها والتطلع إليها وثاقفة في نفس.
 « ابن عمر » الذي يحاول إقناعه بهذا الضمون ، فأسلوب القصر ذاهب
 في تسميته إلى إثبات نية الإرادة في : لست أريد ولكنني أريد عند
 تفريقه من الضمائر للمعينة للأشخاص — ونفى الإمارة عن نفسه وأئمتها .
 لـ « ابن عمر »

وكأنني به معنى تسميته هذا : أنه لا يستطيع العطاول بالإمارة عليه
 إحساساً بمطعم مقامه ، وتسلياً بمنزلة التي لا تدافع ، وهو إذا كان
 يتقبل شيئاً إمارة « ابن عمر » عليه فهو في التنازل لن يتقبلها
 لـ « علي » عليه .

لأنها القوة في التعمير المقتنع .

ولم يكتف « معاوية » في رسالته الخاصة هذه بما أوردته من ممان
 حارل بها الإقناع ، وإنما نراه قد عمد إلى الشر ليذعم به ما قصد إليه
 ترواً فقال :

ألا قل لـ « عبد الله » و « أخضر » و « محمد »^(١)
 فدارسنا المأمون « سعد بن مالك »^(٢)

(٢) سعد بن أبي وقاص

(١) محمد بن مسلمة

ثلاثة رُحط من حساب محمد ،
 نجوم ومأوى للرجال الصالحين (١)
 ألا تخبرونا والحوادث جمة وما الناس إلا بين نازح وهالك
 أحل لكم قتل الإمام بذنبه ؟
 فلم لأهل الجور أول تارك
 وإلا فسكن ذنبا أحاط بقتله
 فني تركه - والله - إحدى للهالك
 وإلا وقستم بين حق وباطل توقف ستوان إمام هوارك (٢)
 وما القول إلا قصرة أو قتاله أمانة قوم بدلت غير ذلك
 غان نصرنا تنصروا أهل حرمي
 وفي خذلنا يا قوم جب الحوارك (٣)
 البيان الأدبي :

ودور الشعر للصاحب للرسالة هنا يؤدي ما يلي :

(أ) التوبيخ لثلاثة الخاصة من كبار الصحابة : « عبدالله بن عمر »

و « سعد بن أبي وقاص » و « محمد بن مسلمة »

بأنهم : (النجوم) سُموا ورفعة ، و (لأوى) يلجأ إليه كل مستضعف .

(ب) طلب البيان لحنفة ما تم فيها يعلق بأفعال الخليفة « عثمان »

يراد من الخاصة من أهل الثقة من الصحابة لبيت في أسر اغتياله ،

والبيان مُنصب على إيضاح الرأي : هل في قتله قصاص أم لا ؟ أو الأسلوب

(٢) لسوة حوائض

(١) القراء

(٣) القضاء علينا وإقطع لأهل الكمال

علا يمتنع بتعدد موقفهم من الجريئة الكبرى. قدروا ما يمتنع بالتعدد
ثلاثه انما هي بمجاوبتهم بمحدث جلال أتم بالأمة الإسلامية، ولا ينوي
السكوت عليه من أمثالهم

وينبغي هذا إلى محاولة الدفع ثلاثهم لينضموا إليه في الدعوى النافضة
للمطالبة. بدم «عنان» حتى إذا مات له إقناعهم بذلك أصبح من الختم
عليهم الانضواء تحت لواء زعيم المطالبين بالقصاص وهو « معاوية »
وذلك — أسلوب الدعاء العباسي للقطع النظير — فقد أوقف
أعيان الصحابة موقفاً يستعمل عليهم فيه الخيلار — وإلا فالكون إلى
عدم اللهاة إزاء ما يبدو على الأمة من أحداث وم فائدة الرأي العام
خبا ١١١

وخاصة : من بعد أن اعتبرهم (الصجوم والأوى) من بين الصحابة .
ومن بعد أن صنف الأمة إلى ناجين وحالكين بخصوص مصابها .
ومن بعد أن طلب منهم الرأي في جريمة اغتيال رأس الدولة .
ومن بعد أن أقسم أن ترك القصاص له ضياع للأمة .
ومن بعد أن غرهم في حديثهم بأنها تمثل موقفاً غير كرم منهم .
ومن بعد أن أهل قدوم إلى حد يصيب عليهم معه سلوك أرائل
النسوة في أسوأ حال لمن .

لقد حاول « معاوية » جاهداً بأسلوبه للفتن في رسالته أن يزعج
الثلاثة انما هي قسراً بعد كرمهم بأن ركونهم إلى الخيلاد موقف لمن
طارق زجولته ا

وزاد القسّر عنفاً بما أنتمه من تفرع خفي بأن للتحاز إلى ذلّ هذا الموقف لم يفرق رجولته فقط . وغداً يد التحول امرأة كريمة لها قدرها .
 من به . - حسنها فقط . - وإنما خداساً قطعاً أمة بين النساء ، وزاد الأمر مساةً يجعلها لا يُرعب فيها إطلاقاً لوجودها على حال تلونها الشورى .
 علاوة على خسانتها كجئس مصحول في حواد الإمام منهن بما يزيد الغرور والجورف منها نهائياً .

(ج) دخل الرخص من أن « معاديه » يطلب رأى الخاصة في الجريمة غير أنه يبدل رأيه الشخصي متغياً أو ضامها طبقاً للاعتبارات التي ارتأها .
 فالأحداث التي أدت إلى اغتيال الخليفة كانت تُجم عليه القضيّم لها ،
 واتخاذ موقف تجاه الخلافة بناء عليها بمنصره إن كان بحقاً في تصرفاته .
 أو بحجّله وقته إن كان قد هب بمقلدات الأمة .

وإذا كان الاعتبار الثاني قد سقط بقتله غيبة ، فلم يبق غير النظر في أمر القصاص له - وهو الاعتبار القائم الآن .

وقد حبل الخاصة بهذا مسئولية الممارسة لحقوق سياسية يلزمهم إلّاها ومنهم في الأمة حيث يقسم عليهم النظر في تصرفات الخلافة ، وهم إذا كانوا يمارسونها في تربط ارتكابه ، ولا يهملون ارتكاب تربط آخر يترك القصاص له إذا كان قد ظلم ، واعتبر ذلك أمانة دينية قومية .
 يجب أن تؤدي كاملة - وهي الآن تنمرض لمحاولات الحماية لها .

وهذا نمرض عن رأي أن الاغتيال كان فتنه طاغية عامة يحصل منها إيقاع القصاص في حقه لعدم التحقق من شخص القاتل بعينه .

و « معاوية » بهذا يكون قد أقام نفسه داعية للطالبة بأداء
الأمارة الدينية القومية بالتصاوص لـ « عثمان » والنصرة للظالمين به ،
ويعنى بها نفسه المزمعة لذلك — إذن — الخذل له فيه التحلل لهم من
يُقتل في سبيل إقرار هذا الحق وأداء تلك الأمانة ، والثلاثة الخاصة على
رأس المختارين لوزر — كما يرى في قوله :
فإن تنصرونا تنصروا أهل حرمه

وفي خذلنا لا قسم جِبُّ الخوارج
والقصيدة بتمامها استتارة شعورية يحاول بها تغيير حماس خاصة
الصعابة ليناصروه فيما يدعو إليه ، فعمد إلى الدعم القوي التأثير عذده
بجمع بين الإقناع الفكري والإجاء الشعوري بما سلكه في رسالته من
الجمع بين قوتَي المنشور والمنظوم .

« عبدالله بن عمر » يرد على « معاوية »

الوقوف السواسي : لم يقصر « ابن عمر » في الرد على ملبسه من رسائل
والى الشام إبان عفوان التراشق بها — فنراه على الرغم من أنه قد
سبق له الرد على « معاوية » و « عمرو » ^(١) مُشككاً في أمرها —
مقرحاً إياهما لدخولهما في أمر الخلافة — يتبنى لرد على معاوية مجيباً
على رسالته الخاصة إليه قائلا : « أما بعد — فإن الرأي الذي أطعمك
في هو الذي صرّك إلى ما صرّك إليه — أنى تركت « عليا »

(١) راجع رده السالف في « معاوية » ، يحاول تحييد أهل المدينة .
(١٩ - أمب سبلس)

في المهاجرين والأنصار و « طلحة » و « الزبير » و « عائشة »
أم المؤمنين وانسُتِك ۱۱

أما زعمك أني طعنتُ على « علي » فلهي ما أنا كـ « علي » في
الإيمان والهجرة ، ومكانه من رسول الله ﷺ ونكايته في البشر
ولكن حدث أمر لم يسكن من رسول الله ﷺ إلى فيه عهد ، فترعتُ
فيه إلى الوقوف ^(١) وقلتُ : إن كان هُدى ففضل تركته ، وإن كان
ضلالة فشر نجوت منه — فأغرين هنا نفسك ^(٢) .

ويدل لغوى الرسالة على ما على :

التعليق :

(أ) معجزة « ابن عمر » في صدر رسالته إلى القنديد بمنع والى
الثام في أسلوب ميكت له على طمعه في أن يزحزحه عن موقفه الجهادي
ومحاولة إيماله نحوه نزولاً على ما أغراه به .

(ب) التصميم على موقف الجهاد ، واستعانة مقابته لـ « معاوية » في
أي من عروضه استمسكاً منه بملازمته لأرومة خاصة المسلمين من
المهاجرين والأنصار بعامة ، و « طلحة » و « الزبير » و « عائشة »
بأعيانهم — وهو إذا كان لم يفارق ما أجمعوا عليه فيما مضى فلن يسوغ
له الآن بل يستعمل حايه بعد الشك في تحركاته أن يفارقهم بعد طول
ملازمة ويقمه .

وقد أدت الأداة (أني) دورها في إفادة الاستبعاد المقضي إلى

(١) إثروفت والنزيت انتظارا لجلال الأمور .

(٢) وقعة صفين ص ٧٢ — ٧٣ .

استعانة ترك الملازمة للتفتية فيما مضى ، والمستمرة على انقضاءها مستقبلاً
بصوابتها الأسلوبية القاطمة لسكل أمل لوالى الشام فى متابعتها بالاستعانة
الشكر العائى عليه تصرفاته وما يهتفون وراثتها .

(ج) يؤكد « ابن عمر » أن « عليا » قد لا تضاهى فى عظام
الإسلام - لا يمارى فيها أعداء ولا يبرز على إنكارها من : سبته
وهجرته وقربه ومكانته عند الرسول عليه السلام ؛ وعنفه على المشركين .
وبهذا قد أعطى « ابن عمر » « عليا » حقه فى القصد للسلمين
بشهادة لما قدرها كقيمة يقطع الطريق على كل من يحاول منافسته فى ذلك
ولو كان « ابن عمر » عينه ، وبالتالى فيها التجربة له من كل مطعن عليه
ولو أجمع عليه أهل الشام كلهم لضخامة رصيده الإسلامى .

(د) يذكر « ابن عمر » أن الأحداث التى أحاطت بالغلبة « عثمان »
وانتهت بمصرعه ما كانت إلا أموراً لم يكن للسلمين بها عهد من قبل
لم يستطعوا أن يقيموا فيها (الضلال من الهدى) فتعززوا عن الخوض
فيها طلباً للسلامة فى الحياض منها ، وصاحب الحق فى التصريف لما
كسبوا أول هو الخليفة وحده ، وهى فى نفس الوقت أحداث جديدة
تؤذن بتطورات جديدة تدخل حياة الأمة - لذا - آثروا فيها
التوقف قناعة منهم أنها حتماً ستنتهى إلى حلول مناسبة يبرمها
الخليفة .

ويبدو أنه لم يدرك بخلد أحد من كبار الصحابة أن الأمور ستزداد
جسداً فى تطورها حتى تبلغ حد العنف السامى الذى انتهى باغتيال

الخلافة وإلا ما توانوا من محض الرأي له في حينه، ونجدته عند إحدائق الخطر به .

ولم يكن موقفهم هذا سلبيّة منهم وإنما كان قناعة بأن يتروكوا الحق لصاحب الحق يسكون له فيه رأياً، ويتخذ فيه قراراً يتفذه طبقاً لمصالح العام للأمة تبعاً من التشريع الإسلامي الذي على أساسه تنصب ويأبى له الجميع .

ولربما اعتقدوا أن حيادهم إزاء تصرفات تتعلق بالخليفة وورثته طبقاً لما يقرره « ابن عمر » ، هو عين السلامة والبرادة والصواب سواء أكان هديّ أم ضلالة فليست لهم صلاحيات تؤهلهم للتدخل في التصرفات والأحداث وصاحب الحق الأول في التصرف والفصل فيها قائم بالأمر . وهو الخليفة فكيف يفتأون على حقه ؟!

هذا - ووضعهم السياسي في سلم الحكم رأوه لا يسوّغ لهم التدخل . حق وإن كانوا من أعيان الصعابة وكبار المستشارين ، ولا أن يقرضوا أنفسهم على الأحداث أو الخلافة فساداً لأنوفهم فيما ليس لهم بحق ، أو تحميل أنفسهم لمسؤوليات لم تؤكل إليهم .

(هـ) يقطع « ابن عمر » عن « معاوية » كل أمل له في رجاء العون منه بقوله : أخبرنا عننا قسك .

فهو يركّذه بأسلوب الأمر القاطع لكل مطامعه فيه بمعاودة الاستقامة أو التجهيد أو الإسكات عن التأييد لمنازعه الخلافة .

وبهذا الأسلوب يكون « ابن عمر » قد دسّه يسهداً عن ملاحقته

والخامسة ، وأزاحه صراحة عن نفسه إلى حيث يمكن أن يرجع لنفسه غناه في عون آخر بنفسه .

ولم يكتب « ابن عمر » رسالته الثانية على كل ما أمل لـ « معاوية » فيه وإنما نراه يمتد إلى الشعور ينشد فيه العون مماه يقتضى له أن يفتح بالابتذارات الشعورية فيه ما حاول الإقناع به من أفكار أوودها في رسالته جزئياً على التهج الذي سلكه جميع من قههم النزاع .

وتوصلاً إلى هذا الغرض يطلب « ابن عمر » من أشعر قريش « ابن أبي عزة » أن يجيب « معاوية » بشر يعوافق ومضمون رسالته مقال (١)

« معاوية » لا ترج الذي لست تأثلاً

وحاول كسراً غير « سعد بن مالك »

ولا ترج « عبدالله » واترك « عمدا »

ففي ما تريد اليوم جب الحسوارك

تركنا « علياً » في صحاب « محمد »

وكان لما يرجى له غير تارك

ليصير رسول الله في كل موطن

وفارسه المأمون عند المصارك

وقد خفت الأنصار منه وعصبة

مهاجرة مثل الأموث الشوابك (٢)

(١) وقعة صفين ص ٧٣

(٢) مشبكه الألياب قوية الانقراض

و «طلحة» يدعوه «الزبير» وأما
 قتلنا لها قول لنا ما هذا لك
 حذارِ أمورٍ شُبَّهَتْ وعلما
 موانع في الأخطار إحدى الهالك
 وتطمع فهنا يا «ابن حسد» سقاعة
 عليك بعلما حسدٍ والشكاسك^(١)
 وقوم يمانيون يعظوك نصراً
 بهم السؤالي والسيوف الهوانك
 البيان الأدبي :

ويدور حول التركيز على النقاط التالية :

(أ) « معاوية » يحاول الاستحصال في إيجانه المون من التلازمة الخاصة
 ليصنع من ورائه أهدافاً يتوحيها تميز الملاك الحقيقي على الأمة (فنيا
 تريد اليوم جب المواوك)

لذا - كرد (لا ترج) قطعاً لأمله في هذا، وإذا لم يتفصح بالسكف عما
 يريد مما لم يوافقه عليه الخاصة فعله نَشْدَانِ التعبير لدى تايبيه من الممانين .

(ب) « على » معقد آمال الأمة في أزمتها السياسية الراهنة ، وبملك
 سائر الخصائص التي تؤهله للتصدر لقيادة الأمة طيقاً لمنشد المسلمين في
 خليفتهم - فهو على الجادة في جمع محايبة النبي عليه السلام والمهاجرين
 والأنصار - من أجل ذلك نراهم قد خفوا منه رضى به وتصراً له - مما
 يضعه في السكفة الراجعة في ميزان القوى المادية والمعنوية .

(ج). الأحداث التي أدت إلى وقعة الجبل لم تكن إلا مهايات
نزعت بالأمه، وأحاطت بها الشبهات ولم تقدم بحقائق تبين وجه الحق
فيها فغيرها من الشكوك التي فشتها .

٢- رسالة معاوية « إلى سعد بن أبي وقاص » .

وقد كان الشأن مع « سعد » لا يختلف كثيراً من سابقه وإنما
يدور في نفس الإطار الذي نكج عليه فكه في مراسله مع الخليفة -
قد كتب إليه يقول :

« أما بعد - فإن أحق الناس بنصر « عثمان أهل الشورى من
قريش الذين أتبعوا حقه واختاروه على غيره » ، وقد نصره « طلحة »
و « الزبير » وما شريكك في الأمر ، ونظيرك في الإسلام ، وخفت
ذلك أم المؤمنين ، فلا تترك من مارتوا ، ولا تركن ما قبلوا - وإنما
تروعا شورى بين المسلمين » .

التعليق :

تصدر الرسالة هنا روح اليوم لـ « سعد » لعدم المسارعة
إلى نصر « عثمان » كما نصره « طلحة » و « الزبير » والثلاثة من أهل
الشورى، وعلى فكم المساواة في الإسلام وقد تأيدت مناصرتهم بخروج
أم المؤمنين معهما مسارعة ذلك وتقامس « سعد » مما أوجب عليه
اللامامة من بعد أن اعتبر الخروج على الإمام الخليفة مناصرة الخليفة

(١) هو سعد بن مالك بن أبيب بن عبد مناف بن كلاب القرشي الزهري
أحد الستة أهل الشورى - ولي الكوفة لدمر ، وهو بائعها ، وقد قول
هنا ثم وليها لـ عثمان ، توفي عام ٥٥ هـ .

المتنال . وبتطوى اليوم المدموم بالأداة على التتحيض والدفع الخفى
 لـ « سعد » أن بسلك ملكهما فى الخروج على الخليفة « على » وقد
 لاحت له الفرصة الآن ليلحق بركب (الخارجين المناصرين) ليشاوى
 مع أتداده من أهل الشورى ، إذا كانت الفرصة فى المناصرة قد فاته
 بالمشاركة لما فيها سلف من أحداث فلا أقل من أن ينضوى تحت لواء
 المطالبة بالتصاغن لـ « عثمان » الذى يتزعمه « معاوية » ليصيح موقفه
 ويسلم من اليوم وتلك هى المناصرة المرغوب فيها عند « معاوية » .

أما الخلافة فقد أصدر بحتمها حكماً أكدها بردها إلى الشورى
 وفى ظلال فكر الرسالة وتبعاً من مضمونها بصوغ « معاوية » قصيدة
 يرقها برسائله ليدعها فيها هى موجبة إليه فقال^(١) :

ألا يا مستنم قد أظهرت شكاً	وشك المرء فى الأحداث داء
على أذى الأمور وقتت حياء	يرى أو باطلاً فله كواء
وقد قال النسبى وحداً حداً	يحل به من الناس الدماء
ثلاث : قال تنسأ ، وزان	ومرتد معنى فيه القضاء
فإن يكن الإمام بلامها	بواحدة فليس له ولاء
ولأنا فى جفم حرام	وفاتله وخاذله سواء
ومذا حكمه لا شك فيه	كما أن الساء هى الهاء
وخير القول ما أوجزت فيه	وفى إكثارك الداء المياء

«أبا عمرو» دعوتك في رحال فجاز عزاق الدلو الرشاء^(١)
 فأما إذ أبيتَ فليس يني وبينك حرمة لأهب الرجاء
 يسوق قولى إذا اجتمعت قريش على «سعد» من الله اللقاء
 «بيان الأدبي» :

يلم الشاعر في القصيدة بالمعاني التالية :

- (أ) النفس على « سعد » توقفه في أمر « عثمان » وعدم التقصص
 له دون سعد من دليل قوى فاطم يرتكن عليه وإنما الأمر مجرد ريب .
 (ب) يسوق الشاعر قياساً مؤداه أن قتل النفس بإحدى ثلاث —
 ولما كان الخليقة « عثمان » لم يلج بواحدة منها .

فالتقصير في التقصص له ارتكاب لحرمة التطويل لحد من الحدود
 فيه الحياة للأمة .

- ويمثل هذا القياس المدح لـ «سعد» لتقصصه بالتقصص «عثمان»
 مع المتأدين به والتزعمين له ، والخروج عن التوقف والجهاد في هذا
 الحكم الديني الثابت الذي لا يخالطه شك (كما أن السماء هي السماء) .
 (ج) يعلق الشاعر عظيم الرجاء على استئثار حمة «سعد» بعينه
 على إصلاح الأمور التي اعتورها الخلل ، وعاهو قد مله واعتبره ودعاه
 مع الرجال ذوي الخطوة للإنجاد في حبه وإلا فلي «سعد» لثمة في مجامع
 قريش التي تمده من خيرة رجالها حمية ومجدة .

(١) عزاق الدلو — خشبتان متعامدتان في قم الدلو على هيئة الصليب
 يربط بها الحبل الذي ينزل ويرقع به من البئر — والمراد دعوتك بعد أن
 انقطع الأمل في صلاح الأمور .

رَدِّ سَمْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ

ولم يكن من « سمد بن أبي وقاص » إلا أن عهد إلى تحرير رسالة جوابية له قال فيها ^(١) :

« أما بعد - فإن « عمر » لم يدخل في الشورى إلا مَنْ يحمل له الخلافة من قريش ، فلم يكن أحداً حق بها من صاحبه إلا باجتماعنا عليه - غير أن « علياً » قد كان فيه ما فينا ، ولم يك فيه ما فينا . وهذا أمر كرهنا أوله وكرهنا آخره - فأما « طلحة » و « الزبير » فلورما بهوتهما كان خيراً لهما . والله يغفر لأهل المؤمنين ما أنت » .

التعليق :

والرسالة تنفذ وتصحح المفاهيم التي طرحها عليه « معاوية » :

(١) فهو يقرر أن الخلافة لا تتم إلا بإجماع شورى بين السبعة القرشيين للزعماء لها - وكلهم في حقها على قدم المساواة ، وقد أبرم هذا بقرار (عمرئ) لا يسوغ تحريفه أو المدول عنه من بعد أن صدر واضحاً لا لبث فيه .

وقد صدر بهذا الحكم الآكد رسالته ليصحح المفهوم الخاطي الذي عهد إليه (معاوية) بطرحها شورى عامة - مما يمثل خروجاً على قرار اعتد دستوراً للخلافة ، ومما يمرض الخلافة لأن تصبح مهابة للصراع والأهواء والتخلاف بين مَنْ لا يقدر خطورة للنصب - الأمر الذي يهين تيجيب الأمة مضاره .

(ب) «على» استوفى شرائط الخلافة ، وزاد فيها على ما لدى البقية
الباقية من أهل الشورى المؤمنين لما - ما يندفع به إلى التصديق لسائر
للرشحين ، وأصبح خليفة من جدارة كافية بسد الطريق على صواب
التنصيب لأى شخص آخر و«على» حيا !!

(ج) إسقاط دعوى المناصرة لـ «عنان» للتوبة إلى صنع «طلحة»
و«الزبير» ويبان أن الأجدد بهما كان اعتزال للشاركة في تلك الأحداث
التي لم تجز مفا أى رضى .

ولى ظلال للبادى والشخصية الرزينة الثابتة على صواب الراى
ينشأ قصيدة يفسح فيها من قوة المسود ثباتاً على ما يعتقد أنه للوقف
الأمثل فيقول :

«معاوى» داؤك الداء الممّاء فليس لسا نجى به دواء
طابت اليوم فهنا^(١) يا «ابن هذيل»

فلا تطمح قــــــد ذهب الرجاء

عليك اليوم ما أصبحت فيه فا يكفيك من مثل الإهاء !!
فا الدنيا بها قيسه لى ولا حى له فيها بقاء
وكل سروره فيها غرور وكل مقلعه فيها حباء^(٢)
أبدعنى «أبو حسن على» فلم أزد عليه بما يشاء !

(١) ورد في الأصل (فى) والأوفى بالمعنى والأصوب لموسيقى البيت
(فينا) التى أبتناها .

(٢) ورد فى الأصل (سرورها فىا) و(متاعها فيها) وتعديل الضمائر
المثبت فى النص السب .

قُلْتُ لَهُ اغْطِنِي سَيْفًا بَعِيرًا تَمُرُّ بِهِ لِلْعِدَاوَةِ وَالْوَلَاةِ (١)
فَإِنَّ الشَّرَّ أَصْنَرُهُ كَعَمِيرٍ وَإِنَّ الظُّهْرَ تَنْقُلُهُ الدَّمَارُ
أَتَطْمَعُ فِي الَّذِي أَتَمَّاءُ عَلَيْهِ عَلَى مَا قَدْ طَمِعْتَ بِهِ الْمَفَاءُ
لِيَوْمٍ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْكَ حَيًّا وَمَيِّتًا - أَنْتَ لَعْنَةُ الْقَدَاءِ
فَأَمَّا أَشْرُ « مَيَّان » فَدَعَهُ فَإِنَّ الرَّأْيَ (أَذْهَبَ الْهَلَاةُ)
البيان الآتي :

يدور الفكر في القصيدة حول ما يلي :

(١) يعيب « سعد بن أبي وقاص » على « معاوية » جُرأته عليه
وعلى خاصة الصداقة من أهل الشورى - تلك الجرأة التي ما كانت له
قبل أحداث الفتنة مما أطمعه فيهم يتهدم ويحاول فرض رأيه عليهم .
وعلى الرغم من ذلك فلا استعجابه له وإنما القطع لرجائه ومطمعه ،
ويكنى « سعدًا » حياده واحتزازه الأحداث إياه منه لمقارعتها ووجه
الحقيقة فيها لم يتضح بعد .

(ب) للوقوف الوقفي في القصيدة (الأبيات ٣ ، ٤) مساق تطبيعيًا
للداء العمى الذي يما في منه « معاوية » والذي عده فيه « سعد » والذي
لا يرجي له البرء منه من بعد أن أدخل نفسه في نزاع سياسي مع « معاوية »
« على » وضوحًا لسيطرة الداء العضال عليه .

(٢) روى عن « سعد » أنه قال في شأن النزاع : لا أقاتل حتى تأتوني
بسيف له حيتان ولسان وشفتان فيقول : هذا مؤمن وهذا كافر ، ابن
عبد البر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٦٠٩ ، ٦١٠ ط
نسخة مصر .

(ج) قوة الشخصية والثقة بالنفس يديهما الشاعر في استعساكه بما يعتقد أنه صواب وحق مهما دماه الموقف إلى مجاهبات عصية - حيث لم يستجب له «على» البطل والخليفة بالانضمام له ، ومانع ذلك على مستعيل (السيف البعير) المميز بين المستعق للقتل به والأبرأ منه. وفي هذا تنويه بقوته وصلابته التي لم ينك منها أحد حتى «على» القوي - الخليفة وصاحب السلطة والحق حيث لم يرهبه فيخرج عن حياده واعتزله ، فبالأولى لن تكون لتهديدات «معاوية» عنده كبير أثر ، وبناء على هذا فأطامحه فيه قد كوّنها الرياح ، ولن يتوقى على تحقيق ما يجرى من تحقيقه «على» منه !

(د) يثبت الشاعر مؤكداً (اليوم) وهو في معرض الموازنة بين «على» و «معاوية» على توفر الفضل والتجربة في «على» متمثلاً حتى في أقل القليل مما يصدر عنه لدرجة أنها كفهلة على الرغم من قلتها باستفراق كل «معاوية» في حياته وموته ، و«سعد» يتبنى هذه القلة ويرغبها ويؤثرها ويؤدى بها السكرة غير المنفضة عنده !! وقد ساق هذا المعنى في صورة قياس يمكن أن يفهم بأسلوب معادة رياضية :

مدد

١ يوم من حياة «على» على الرغم من قلته عددياً = كل حياة «معاوية» مهما طالت وحق وفاته

ولما كان الموت ليس فيه فضل غير انقطاع النزاع - لذا نستطيع أن نقول : إن العطف في (حياً وميتاً) يعطى انطباًحاً مؤداه : أن اليوم

من حياة « علي » أي يوم كان يفوق فاتح بكل حياة « معاوية » فيها بين أقصى حديثها من الميلاد وحتى الوفاة !!

(٥) ينظم الشاعر بأن الطالبة بالقصاص لـ « عثمان » أمر لا ينقص « معاوية » في قليل ولا في كثير وما عليه إلا أن يخرج نفسه منه ، غيابه ناسحاً (قدومه) ثم يصدر رأيه الأكيد في تقييده لتلك الأحداث التي ابتعثت بالاغتيال بأنها ما كانت إلا بلاء ذهب بالخليفة ، ولا أحد يرغب في عودة البلاء ولا في التذكير به .

٣ - زساعة « معاوية » إلى « محمد بن مسلمة »

وقد كان مع آخر « معاوية » مع الثالث من الخاصة أن بعث إليه يقول^(١) :

« أما بعد - لئن لم أكعب إليك وأنا أرجو مقابعتك^(٢) ، ولست أرى أردت أن أذكرك النعمة التي خرجت منها والشك الذي صررت إليه . إنك فارس الأنصار ، ومعدة المهاجرين - أدعيت على رسول الله ﷺ أمراً لم تقطع إلا أن تمضي عليه ، فهذا نهاك عن قتال أهل الصلاة - فهلا تهت أهل الصلاة عن قتال بعضهم بعضاً .

وقد كان عليك أن تسكره لهم ما كره لك رسول الله ﷺ - أو لم تر « عثمان » وأهل دار من أهل الصلاة ؟ فأما قومك فقد عصوا الله وخذلوا « عثمان » والله سائلك وسائلهم من الذي كان يوم القيامة » .

التعليق :

والرسالة في صميمها موجهة قصد اللوم لـ « ابن مسلمة » لعدم مسارعته إلى إنجاد « عثمان » على الرغم من فروسيته المتميزة بين قومه الأنصار والتي اعتُبرت قوة للمهاجرين أيضاً ، وكان الأولى بها أن تُستخدَم في هذا الوطن — لا أن يعزَل الأحداث هو وقومه حيث عرضهم للمشورية عن هذا التصعيد يوم القيامة أمام الله .
أما ما وراء ذلك من قصد للثأمة له فيها هو ناهض به فليس من مراده .

رد « محمد بن مسلمة »

ولم يتوان « ابن مسلمة » في الرد على « معاوية » مستجيباً له العوج فيما رماه به ، وكاشفاً له حقيقة قصده من تدخله في أحداث « عثمان » بذلك السكيفية فقال :^(١)

« أما بعد — فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل الذي في يدي ، فقد أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن قبل أن يكون ؛ فلما كان كسرتُ سنني ، وجلسْتُ في بيتي ، واتهمت الرأي على الدين — إذ لم يصح لي معروف أمرُ به ، ولا منسكراً نهي عنه .

وأما أنتَ فلمصرى ما طلبتَ إلا الدنيا ، ولا انبعتَ إلا الهوى —

(١) وقمة صفين ص ٧٦ ، ٧٧

فإن تَنَصَّرَ «عُثَان» مَيِّتًا قَدْ خَذَلْتَهُ حَيًّا . وما أخرجني الله مِنْ رِئْمَةٍ ،
ولا صَهْرِي إِلَى شَكٍّ ، وإن كنتُ أَهْمَرْتُ خِلَافَ مَا تَهْنِي بِهِ وَمَنْ
رَقِبْنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَنَحْنُ أَوَّلَى بِالصُّوَابِ مِنْكَ » .

التعليق :

ويبدو من ثنايا الرسالة أَنَّ «ابن مسلمة» قد استكثر على «معاوية»
خطاب اليوم والتقصير الذي ألحقه به وقومه فكان رده المنيف الذي
بَضَعْنَ مَا بَلَ :

(أ) كَتَفُ «ابن مسلمة» غَيْرِ أَنْشَى إِلَيْهِ مِنَ الرُّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
كَانَ فِيهِ الْإِعْلَامُ الْمُسَبِّقُ لَهُ بِأَحْدَاثِ الْفِتْنَةِ الَّتِي سَيُضْرِبُ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ .
بعضهم بعضًا ، وأعلمه بدلائلها ، وأشار عليه بالتزام المِزَّةِ عنها ، وقد
أَنَقَذَهَا امْتِنَانًا لِمَا أُصْدِرَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ ^(١) - وفي هذا إظهار لمدى
قرب «ابن مسلمة» من الرسول عليه السلام إلى حدِّ اختصاصه بمثل
هذا الخبر ومدى بُعد «معاوية» عن فضيلة هذا الاختصاص .

(ب) النَّشَى عَلَى الْوَالِي «معاوية» بِأَنَّهُ مَا تَدَخَّلَ فِي الْأَحْدَاثِ عَلَى
هَذَا الْوَجْهِ إِلَّا وَكَانَ قَصْدُهُ الدُّنْيَا وَلَيْسَ الدِّينُ - إِنَّمَا هِيَ رَغْبَةٌ تَمَكَّنَتْ
مِنْهُ يَرِيدُ تَحْقِيقَهَا ، ثُمَّ يَفْتَدِ دَعْوَاهُ فِي النُّهُوضِ لِمَطَالِبَةِ الْإِخْتِصَاصِ لَهُ .

(١) روى عن «ابن مسلمة» قوله : «أعطاني رسول الله ﷺ سيفًا

فقال : قَاتِلْ بِهِ الْمُشْرِكِينَ مَا قَاتِلُوا ؛ فَإِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي يُضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
قَاتِلْ بِهِ أَحَدًا فَاضْرِبْ بِهِ حَتَّى يَنْكَسِرَ ، ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ حَتَّى تَأْتِيكَ يَدُ
خَاطِنَةٍ أَوْ مَقِيَّةٍ عَاطِنَةٍ ، الإِصَابَةُ ص ٧٨ :

يتمتع منها الدليل على أنها لم تُردِّجها حقيقةً الدينية من بعد أن أثبت على سبيل التوكيد أنه قد خذله في الوقت الذي كان يجدر به أن ينصره (فقد خذله حياً) .

(ج) الرد على زعم (الشك والمصمان) الذي اتهم به وقومه بأن للوقف الذي وقفه المهاجرون والأنصار كان وما يزال هو للوقف الأصوب دائماً ، والأولى بالأمة الاقتداء بهم فيه لالتزام جادة الصواب في الدوجية للأمة ولا قيمة لأي رأي يقول بخلاف ذلك مهما كان مصدره حتى ولو كان والي الشام !!!

ورسالة « ابن مسلمة » هذه هي الوحيدة من بين الرسائل الجلوية التي لم تُشَمَّعْ بقصيدة تدور في فلك معناها ، وقد كان مزوف « ابن مسلمة » من قول الشعر هو السبب في وحدة رسالته وتفردها بطابع النثر فقط . وقد صرح منه الطالب من أحد الحضور « مروان بن عقبة » الأصارى أن يجيبه شعراً فقال : أجبه يا « مروان » فاعتذر بأنه لم يسكن عند بني عقبة شيراً ، فأُنذِرَتْ الرسالة على ما هي عليه .

إِلْهَابُ بَيْرَانَ الْفِتْنَةِ

الموقف السياسي : يبدو أن التسامح يتزعم والي الشام للمداواة بالقصاص للخليفة « حنان » قد أحدثت أثرها في نفوس مَنْ يميلون إلى هذا الرأي ، فتدانت ركبائهم إلى الشام موطن الزعامة يستعشون ويستنبهون — وهم بين هذا وذاك يفرقون في إلهاب بيران الفتنه بما يتساقط من ألسنتهم من صواعق الكلمات التي تغلغل فاعلاً في الإغضب (٢٠ - أدب سياسي)

والإحياء والاستثارة، وبما يُصِفُونَهُ عَلَى وَائِي الشَّامِ مِنْ أَلْقَابِ تَدْنِفُ إِلَى
تَطْلُغَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ تُعَدُّ لِلوَاقِفِ وَلَا عَمَلًا، وَتُصَكِّرُ الصَّفَاءَ وَلَا تُبْقِي
عَلَيْهِ أَوْ تَحَاوِلُ تَرْوِيْقَهُ مِنْ شَوَائِبِ التَّمَكُّكِيرِ - فَيَبْقَى «مَعَاوِيَةَ» جَالِسًا
إِذْ أَهْبَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مُعَلِّقٌ حَتَّى إِذَا مَا انْتَهَى إِلَيْهِ قَالَ الرَّجُلُ:
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) - أَعْرِفْنِي؟

مَعَاوِيَةُ: أَنْتَ وَالْحِجَابُ بْنُ خَزِيمَةَ بْنِ الصَّغَةِ - فَأَيْنَ تَرِيدُ؟
الرَّجُلُ: إِلَيْكَ الْقُرْبَانُ - أَنَّنِي إِلَيْكَ «ابْنُ عَفَانَ» ثُمَّ أَشَدُّ ^(٢)
إِنَّ نَبِيَّ عَمَّكَ مِمَّنْ دُخِلَ عَلَيْهِ «مَرْفَعُوا شَيْخَكُمْ غَيْرَ الْكَذِبِ»
وَأَنْتَ أَوَّلُ النَّاسِ بِالْوَثْبِ فَتُبَّ
وَإِغْصَبَ «مَعَاوِيَةَ» لِلَّهِ وَاحْتَسِبَ
وَسِرَّ بِهَا سِرَّ الْجَرِيءِ الْمُتَحَسِّبِ ^(٣)
وَانْهَضَ بِأَهْلِ الشَّامِ تَرَشُّدًا وَنُصْبًا
ثُمَّ أَهْزَزَ الصَّعْدَةَ ^(٤) لِلنَّاسِ السَّكَلَبِ ^(٥)

(١) هذه هي المرة الأولى الذي يُلقَّبُ بِهَا إِلَى الشَّامِ «مَعَاوِيَةُ» بِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ التَّسْلِيمِ عَلَيْهِ وَقَدْ لَقِبَهُ بِهَذَا الْحِجَابُ بْنُ خَزِيمَةَ بْنِ الصَّغَةِ، وَقَدْ
افْتَتَحَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ بِهَذَا التَّلْقِيْبِ وَالتَّسْلِيمِ - رَاجِعْ ص ٧٧، ٨٠ وَقَعَهُ
صَفِيحِينَ.

(٢) وَقَعَهُ صَفِيحِينَ ص ٧٧ - ٧٨

(٣) الْمُسْتَقِيمُ الْمُرَدُّ

(٤) الْقِنَاءُ الْمُسْتَوِيَّةُ

(٥) الْمُرْتَفِعُ عَنِ النَّاسِ الْمَسْمُورِ تَحْرِقًا إِلَى الْقَتْلِ

حماوية : عنك مَرَز ؟

الرجل : نعم (ثم أضاف)

يا أمير المؤمنين — إني كُنتُ فُهْمَنَ خُرج مع يزيد بن أسد القسري ،
مُخَوِّمًا لَهُ مَنَان ، فَقَدِمْنَا أَنَا وَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ ، فَلَقِينَا وَجِلَاءَ زَعَمِ
أَنَّهُ مِنْ قَتْلِ « مَنَان » فَقَتَلَاهُ .

وإني أخبرك يا أمير المؤمنين أَنَّكَ كَتَبْتَ عَلِيَّ « عَلِيٌّ » بِدُونِ مَا يَقْوَى
بِهِ عَلَيْهِكَ — لِأَنَّ مَعَكَ قَوْمًا لَا يَقُولُونَ إِذَا قُلْتَ ، وَلَا يَسْأَلُونَ إِذَا
أَمَرْتَ .

وإن مع ذلك « عَلِيٌّ » قَوْمًا يَقُولُونَ إِذَا قَالَ ، وَيَسْأَلُونَ إِذَا أَمَرَ ، فَنَقَابِلُ
مِنْ مَعَكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ مَعَهُ .

واعلموا أَنَّهُ لَا يَرْمِي « عَلِيٌّ » إِلَّا بِالرَّضَى وَإِنْ رَضَاهُ سَكَنُكَ — وَلَسْتَ
وَ « عَلِيٌّ » سِوَا .

لَا يَرْمِي « عَلِيٌّ » بِالرَّاقِ دُونَ الشَّامِ ، وَرِضَاكَ الشَّامَ دُونَ الْعِرَاقِ .
التعليق :

إن في الكثير مما أتاه « الحجاج بن خزيمة » مِنْ أُنْصَالٍ وَأَقْوَالٍ
مُدْعَاةً لِلتَّسَاوُلِ مِنَ الْغُرَضِ مِنْ وَفُودِهِ ، وَتَسْوَرِهِ مُتَقَلِّفًا مُسْتَغْنِيًا
وَتَسْلِيمِهِ عَلَى وَالِي الشَّامِ بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ لِمَرَّةٍ الْأُولَى مَا يَمْنَعُهُ احْتِرَافًا
بِالْخِلَافَةِ ، وَغَرَّهُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ بِسَبْقِهِ إِلَى هَذَا التَّقْلِيْبِ فِي التَّسَامِيحِ وَتَوَثُّرِهِ
الْأَلْفَاظَ النَّارِيَّةَ النَّثِيرَةَ فَيَا أَلَسَدَهُ مِمَّا يُحْسِنُ مَعَهُ أَنَّ وَفَادَةَ الرَّجُلِ قَدْ
اسْتَهْدَفَتْ غَرَضًا مُعَوَّنًا يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَشْفَهُ مِنْ بَيَانِهِ عَلَى النَّصْرِ التَّالِيِ :

(أ) استغضب والي الشام ليتخذ خطوات عملية في مسألة التعصبات

لـ « عيان » بالتأهب للوثوب على أبناء عومعه (بنى عبد المطلب) الذين صرح بأنهم القتل لـ « عيان »

(ب) ليس غير الحرب من وسيلة لتحقيق هذا الغرض . فهى . لذلك جندك من أهل الشام وسيرهم في جُراة للالاة «على» تحقق مأمرك .

(ج) الألفاظ النارية تنطى العنق تترى إثر صدور الحكم فى القضية . بأن « بنى عبد المطلب » هم الالاة ، وكلها ألقاظ للأمر باتخاذ إجراءات مرمية لا تحمل أى تأخير ، ويسوقها للدفع إلى القتال فى أسلوب ملتبب ففراء يقول : ثب و اغضب واحسب وسر وانفض واحرز وفى الألفاظ حركة وجراة وتدافع وتقفز وتداع للقتال مدعوم بمجمة استغضبته وهزيمة استغضبت .

والمباراة تنصو إلى نفس التمسد من الإثارة والمهاب للوقف فتراها :
بنو حك فتقوا شيخكم — أنت أولى الناس بالوثوب — اغضب للإله .
واحسب — سر بنا سير الجرى — انهض بأهل الشام — احرز
الصعدة للترقم المسور ١١١

هذا — والرجل مُعْصِل على الإمام فى نعمة إياه بأنه التزمع التجماع على الناس (العلب) وبأنه المسور يُنْزِيه القتل بالقتل (السكيب)
وقد قوم (الحجاج) عوامل النصر والهزيمة فى الحركة الموقفة بين الظلمة الإمام والى الشام من بد أن أسكده أنها واقعة حنا نتيجة لتحليله الموقف بين الإمام والوالى بدقة متناهية تُضاهى أصح التحليل وأصدق النتائج الترتبة عليها التى يتوصل إليها المحللون السمايون الماصرون .

قد أثبت أن « عليا » لا يرضى إلا بالرضى الشام يعني أنه لا يرضى
بأنصاف الحلول ، والقبول بالهض والمغاضمين من البعض الآخر -
غيره لا يرضيه إلا القليل لما هو حق له كاملا ، ثم فرغ على هذا القول بأن
ما فيه رضى « علي » هو يسقط نفوذه على أصناف الخلافة كلها وهذا :
يستوجب الضغط من « معاوية » لحربه على أن يكون واليا على
أقل تقدير على الشام .

ولما كان الظلمة الإمام لا يرضى بانتقال إلقام الشام من أرض
الخلافة و « معاوية » لا يرضى أن يُنزع عن الشام موقع رضاه - إذن
الحرب واقعة لا محالة بين الظلمة والوالى لقدر مصيرهما .

ولم ينف « الحجاج بن خزيمة » عند حد بيان حكمة الحرب ، وإنما
أراه قد كشف عن عوامل النصر والهزيمة المتاحدين كل من للتنازع
حيث أثبت لوالى الشام أن القوة إلى جانبه كقوله بإحراز النصر على
السكرترة السكايرة التي مع الإمام .

قال هذا بناء على نظرة فاحصة قِيَمَتْ (الموقف الاستراتيجى) على
كلا الجانبين ، وقدم الدليل على صحة الاستنتاجات التي توصل إليها بما
ذكره من أن قوة القلة تعود إلى أمر جوهرى ينبى عليه نصر الجيوش
وهو ما يعرف حديثا بـ (الضبط والربط) وقد رآه « الحجاج » عسكرا
بين أنصاف « معاوية » حيث يصغون تماما إلى كلامه ، وينفذون أوامره
دون نقاش (لا يقولون إذا قلت . ولا يسألون إذا أمرت) والأمر على
خلاف ذلك تماما لدى الإمام !!!

ولاشك أن مثل هذا التحليل والتقييم كان له كبير الأثر في دفع
والإشام إلى الحرب من بعد أن صرح له بأن (بنى عهد الطلب) هم
القبيلة لـ « عثان » ومن بعد أن أوضح له إمكان النصر عليهم على
الرغم من قلة الجند .

ويمكن إدراك أثر الإحياء الدافع إلى الحرب من رثاء « معاوية »
لـ « عثان » حيث قال :^(١)

أَتَانِي أَمْرٌ فِيهِ لِنَفْسِي غَمَةٌ وفيه بُكَاءٌ لِلْمَيُومِ طَوِيلٌ
وفيهِ نَفْسٌ شَامِلٌ وَخَزَائِفٌ وفيهِ اجْتِدَاعٌ لِلْأَنْوَابِ أَصِيلٌ
نَصَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهَلْدَةٌ كَسَادٌ لَهَا صُمٌّ الْجِبَالِ تَزُولُ
ظَهْرُ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ هَالِكٍ أَصِيبَ بِهَا ذَنْبٌ وَذَلِكَ جَلِيلٌ
تَدَاعَتْ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ مَضَبَةٌ فَرِيقَانِ مِنْهَا : قَائِلٌ وَخَذُولٌ
دَعَامَ نَفْسُوا عَنْهُ عِنْدَ جَوَائِهِ وَذَا كَمْ حَلَى مَا فِي النَفُوسِ دَلِيلٌ
لَدُنْتُ حَلَى مَا كَانَ مِنْ تَهَيُّ الْمَوِيِّ
وَقَصْرِي فِيهِ حَسْرَةٌ وَمَوِيلٌ
سَأْنِي^(٢) وَأَبَا مَرْوَةَ^(٣) بِكُلِّ مَنَاقِبٍ
وَبِهِمْ^(٤) لَهَا فِي الدَّارِ عَيْنِ مَلِيلٌ

(١) وقعة صفين ص ٧٩ - ٨٠

(٢) ساطالب بنأره

(٣) كنية الخليفة « عثان بن ضان »

(٤) السيوف

تَرْكُكَ قَنُومٍ مُمٌّ فَأَذا بَعْدَ ذَاكَ أُنْصُولُ
فَلَسْتُ مَنِيغًا مَا حَبِيتُ بِبِلْغَةٍ أَجْرُهَا ذَلِيلُ وَأَنْتَ قَعِيلُ
فَلَا تُؤَمِّمْ حَتَّى تَشْجُرَ^(١) الْخَيْلَ بِالْقَنَا

وَيَسْقِي مِنَ الْقَنُومِ الْفُؤَادَ قَلِيلُ
وَيَطْعَنُهُمْ لَحْنُ الرِّحَى بِتَقَالِيسِ^(٢)

وَذَاكَ بِمَا أَسَدُوا إِلَيْكَ قَلِيلُ
سَأَلْتَهَا حَرْبًا عَوَاكًا مَلْعَةً وَإِنِّي بِهَا مِنْ عَامِنَا لَبْكَيْلُ
الْبَيَانُ الْأَدَبِيُّ : يُعَبَّرُ

القصيدة من ضرب الرنادر فوه « معاوية » عن كُفَّة وحزنه الذي
أصابه نتيجة لاغتيال الخليفة « عثمان » مما سيقرب عليه الدخول في
معارك مَقْبِيَّة وإلا فدون ذلك أحوال الخزي والمآر ، ثم يَنْبَغُ أَنْ الْخَلِيفَةُ
قد اغتيل بدون وجه حق وأن قتلته عصاة تأمرت عليه ، وصح منهم
الاتفاق الجنائي عليه وإن كانت أديارهم قد توزعت إلى مباشرة القتل
، وإلى حرمانه النجدة باعتزال الأحداث وتركها تلقه وتقبض عليه ،
وسيجد في الأخذ بثأره خلاصاً من عوار أحوال دمه ، وسيدخل لذلك
في معارك قتالية ضارية يسارع إليها .

لقد طغى عاطفة الحزن على الشاعر فاندفع يستخدم عبارات ليست
من طابع العصر الإسلامي مثل : الأخذ بالثأر ، وشن حرب عوان

(١) يطعن الفرسان بالرمح

(٢) ما يفرش من جلد تحت الرحى ليستقبل عليه الطحين

طاحنة نوصلاً لهذا الغرض ، وتقطع حبال الود إلى الأبد بين الأقرباء .
وقد اجتمعت على الشاعر مآلم الحزن والندم والغنى لتقصيره في حق
« عثان » (تركك) بما جملة ينهض مهدداً بحرب لا تُنتهى ولا تُذكر
تمريضاً عما فرط منه .

البينة لـ « معاوية »

للوقف السياسي : يبدو أن نيران الفتنة اللاتهابية عند ما نظارت
ألسنتها نهلت الشام قد أحدثت آثارها السيئة ضيقاً وندماً^(١) في صدر
« معاوية » كما أنها قد جعلت باتخاذ الإجراءات العملية نحو (إعلان
حركة المطالبة بالانفصال) واتخاذها الشكل الرسمي والقانوني تقوم عليه
السواقة في ولاية الشام بزعامة واليها المأزول من قبل الخليفة « علي »
قد خرج « معاوية » إلى المسجد ، ثم نادى في الناس أن يحضروا ،
فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه السلام
ثم قال :^(٢)

« يا أهل الشام — فقد علمتُ أنّ خليفة أمير المؤمنين « عمر بن
الخطاب » وخليفة « عثمان » وُجِّلَ مظلوماً وقد تملكون أنّي وليه ، والله
يقول في كتابه : « ومن قُتل مظلوماً قد جعلنا لوليّه سلطاناً »
وأنا أحبُّ أن تملكون ما في أنفسكم من قتل « عثمان » فقام
« كعب بن مرة السلمي » فقال :^(٣)

(٢) وقعه صفين ص ٨١

(١) وقعه صفين ص ٧٩

(٣) نفس المرجع ص ٨٢

« والله لقد قُتُ مقامى هذا وإنى لأعلم أَنَّ فىكم مَنْ هُوَ أقدم صحبة
لرسول الله ﷺ وآله منى ^(١) - ولكنى قد شهدت مِنْ رسول الله
مَشْهُداً لعل كثيراً منكم لم يشهده .

وإنا كنا مع رسول الله ﷺ نصف النهار فى يوم شديد الحرارة
« لتسكونن فنته حاضرة » فَرَجُلٌ مَقَمٌ فقال رسول الله ﷺ : هذا
للقنع يؤمئذ على الهدى .

قال « كب » فَعَمْتُ فَأَخَذْتُ بِمَكْبِيهِ وَصَرَعْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَإِذَا
« عثان » فَأَقْبَلْتُ بِوَجْهِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ قُلْتُ : هذا يا رسول الله ؟ قال :
نعم !!!

فإِذَا كَانَ مِنَ الْحُضُورِ إِلَّا أَنْ أَطْبَقُوا عَلَى « معاوية » وبأيموه على
الطالب بدم « عثان » أميراً لَا يَطْمَعُ فِي الْخِلَافَةِ ، ثُمَّ الْأَمْرُ شُدَّ بِدَمِ
الْقَصَاصِ مِنْ خُفَّارِ الْأُمَّةِ لَهَا خَلِيفَةٌ ، وبأيمه البعض على كتاب الله وسنة
نبيه ^(٢) ، ثُمَّ أَقْبَلَ « مالك بن عبيدة البكلى » ولم يسكن قد حضر
الهيئة ، ولكنه قد تسمع بها أنها قد عَمَّتْ عَلَى الْخِلَافِ ^(٣) فِي الْأَمْرِ
لِلْهَاجِ عَلَيْهِ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَحْزَرْضَاهُ فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ سَارَعَ إِلَى حَيْثُ
« معاوية » وَوَقَفَ خَطِيْباً وَقَالَ ^(٤)

(١) قيل كان فى المسجد نخراً من أربعمائة من أصحاب النبی علیه السلام
(٢) ورد فى حديث « عثان بن عبيدة الجرجاني » ص ٨٠ صفين
(٣ ، ٤) أنظر ص ٨٠ وقعة صفين

« يا أمير المؤمنين ^(١) - أخذت ^(٢) هذا لك ، وأندت الناس »
وجئت للسفهاء مقالاً .

وقد عرفت العرب أنا حتى فقال ، ولست بحى مقال ، وأنا نأتى بمظلم
فصالحنا على قليل مقالنا ، فابسط يلك أهابك على ما أحببنا وكرمنا »
ثم تبعه « الزرقان بن عبدالله السكونى » فأنشد ^(٣)

« معاوى » أخذت الخلالة بأتى

شَرَطْتُ قَسْدَ بَوَا لَكَ الْمَلِكُ مَاؤِ

بيمة فعلى ليس فيها غيبة ألا كل ملك منه الشرط ماك
وكان كبيت المنكوبت مذهباً

فأصبح مجبوراً عليه الأرائك

وأصبح لا يرجوه راج لصة

ولا تنهى فيه الرجال الصمالك

وما خيد ملك يا « معاوى » مخدج

تجمع فيه الخيط والوجه حالك

إذا شاء رفته الشكون وحده

وهندان والحق الخفاف الشكاك

البيان الأولى :

يبدو أن البيعة لـ « معاوية » كانت مسرحاً لظهور خبايا

(١) يبدو من التعليق لوالى الشام المخلوع بأمر المؤمنين أنه سيابمه خليفة
على الأمة لاختصاص هذا القرب بذلك (٢) أنقصته وذبحت بكائه

النفوس — فبينما كانت في أساسها وعلى فرض التسليم بصحتها كانت مباينة على الأخذ بدم « عثان » في ظاهرها الأعم — غير أن « مالك بن هبيرة السكندی » لم يفهمها إلا ملسكا يمكن أن يُصار إليه فباع عليه بيعة عامة ، ثم يأتي الشاعر « الزبرقان السكوني » فيرى أن اللك وثقة ساقها الله إليه في صورة خلقة — فلا يبنی الانتقاص لهذا اللك أو تمريره للضعف والفساد بأي شرط يُدخله ما دامت البيعة عليه قد تمت واضحة لا مطن عليها ، ويرى الشاعر أن التقصير إلى الهدف في صراحة ووضوح أفضل من اصطناع أساليب الدووان حوله وثباته في النعمة الانتقاضي عليه فلربما كان ذلك سببا في احتيازه ناقصا — وما أروع الاحتواء له كاملا !!!

ولذا كان « معاوية » قد نعى هذا للنقي لضعف في موقفه السياسي وقدراته القتالية فشاوره ابن من : السكون وغيره وهكذا والشكاسك أقدر على معاونته .

إنه عرض للمساعدات الحربية لاحتياز الملك كاملا حيث لا جدوى في ملك متقصص .

بين « عبيد الله بن عمر » و « معاوية »

الموقف السياسي : قُتِم « عبيد الله » على « معاوية » في الشام وكان قدومه مشارا لتساؤل — غير أن والي الشام رأى في ذلك القدوم فرصة يجب ألا تُفقد وإنما يبنی أن يتم قبل لحسابه في النزاع الناشب بينه وبين الخليفة الإمام — فإما كان منه إلا أن سارع في طلب مستشاره « عمرو »

وَمَا أَنِ وَاللَّهِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْفُلَانُ : (١)

معاوية : يَا « عمرو » إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْبَبَكَ « عمر بن الخطاب » بالشام
 يندوم « عبدالله بن عمر » وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ أَقْبَمَ خَطِيْبًا فَيُشْهِدُ
 عَلَى « عُلَى » يَقْتُلُ « عَنَانَ » وَيُنَالُ مِنْهُ
 عمرو : الرَّأْيُ مَا رَأَيْتُ .

وَمَا أَنِ اتَّفَقَ الرَّأْيُ حَتَّى يَبْتَكَ « معاوية » إِلَى « عبيد الله » فَأَتَانَا
 فَقَالَ ه :

معاوية : يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ لَكَ اسْمَ أَيْمِك فَانْظُرْ بِمَلَأْ عَيْنِيكَ وَتَكَلِّمْ بِكَلِّ
 فِيكَ فَانْتَ لِلْأَمَوْنِ الصَّدَقِ فَاصْغُرِ لِلْأَمْرِ وَاشْتَمِ « عليا » وَاشْهَدْ
 عَلَيْهِ أَنَّهُ قَتَلَ « عَنَانَ »

عبيد الله : أَيُّهَا الْأَمِيرُ (٢) أَمَا شَتَّيْتَهُ فَيَانَهُ « علي بن أبي طالب » وَأَمَهُ -
 « فاطمة بنت أسد بن هاشم » فَأَعْسَى أَنِ أَقُولَ فِي حَبْنِهِ ،
 وَأَمَّا بَأْسُهُ فَهُوَ الشَّجَاعُ الطُّرُقُ ، وَأَمَّا أَيَامُهُ فَاقْدِرْهُ -
 وَلَكِنِّي مُلْزِمُهُ دَمَ « عَنَانَ »

عمرو : إِذَا وَاللَّهِ قَدْ تَكَاثَرَتِ الْقَرْصَةُ !

وَمَا أَنِ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ حَتَّى قَالَ « معاوية » :

معاوية : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا قَتْلُهُ « المرزبان » وَخِيفَتُهُ « عليا » عَلَى نَفْسِهِ
 مَا أَتَانَا أَبَدًا - أَلَمْ تَرِ إِلَى تَقْرِيطِهِ « عليا »

عمرو : يَا « معاوية » إِنَّ لِمِ تَقْلَبَ فَاخْلُبْ . فَتَرَامِي حَدِيثَهُمَا إِلَيْهِ

(١) وقعة صفين ص ٨٢

(٢) نسخة ابن أبي الحديد - راجع مصطلحات (صفين)

ثم خرجا في إثره فلما قام خطيباً تكلم فيها شاء أن يشكم حتى إذا
 ما أتى إلى آخر « على » أمرك وأنهى مقالته فعاتبه « معاوية » قائلاً :
 ابن أخي إنك بيني وبين أو خيانتك .

فاحتدل عتابه وانصرف ، ثم بعث إليه قائلاً : « كرهت أن أقطع
 الشهادة على رجل لم يقتل » فحان « وعرفت أن الناس يحملوها عني
 فتركها »

فهمزه « معاوية » واستغف بجمعه وتناول عليه «
 وما أن بلغ ذلك « حبيد الله » حتى ثارت نفسه فأنشد :

« سَاوِي » لم أحرص بخطيب خاطب
 ولم أك معاً في رلوى بن غالب
 ولكني زلوت قنناً أبيت

على قلف شبيخ بالعراقين غائب
 وقلف « علياً » به « ابن علقان » جهرة
 محمد بالشعنا أنوف الأكارب
 فاما احتفاني أشهد اليوم وثمة

فلت لكم فيها « ابن حرب » بصاحب
 وإكفه قد قرب القوم جهده ودوا حواله ديب المقارب
 فقال أحسنتم ، ولا قد أسأتم
 وأطرق أطراق الشجاع المواب

خاماً ابن « حنان » فأشبهه أنه أُصِيبَ بِرَبِّئَا لَا يَسُ ثَوْبَ تَائِبٍ
 حرامٌ على آحاله أَتَفُ شَمْسِرِه فكيف وقد جازوه فَرَبَّةً لَا زَبَّ؟
 وقد كان فيها « الزبير » عَجَاجَة و « طلحة » فيها جَاهِدٌ غَيْرَ لَا مِيب
 وقد أظهروا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَوْبَةً فَبَالَيْتَ شَرَى مَا مَا فِي الْمَوَاقِبِ
 البيان الادبي :

القصيدة وثيقة صادرة من شخص موثوق به يسجل فيها المواقف
 والأحداث التي أساطت باغتيال الخليفة « حنان » وفيها يقرر ما يلي :
 (١) الإمساك عن اللهاجة للإمام لم يكُ ناجحاً أو نجر من كذب ؛
 ولكنه الإلها النفس الذي حله على عدم ارتكاب جريمة التذف في
 حق الخليفة النائب الذي بذل غاية جهده في محاولة التقريب والتوفيق
 بين الآراء ولسكنها النفقة كانت تدور حوله لتفعل ففعلها في الغناء ،
 والتزم الجملة منها من بعد أن أخفقت مساعيه ، ومحاوَلتكم انطروج
 والانتفاض عليه واتهامه بجريمة هو منها براء أنا لست لكم في كل
 ذلك بصاحب .

(ب) « طلحة » والزبير كمياً دوراً خطيراً في التغليب على « حنان »
 بلغ حد الـ (عجاجة) وبذل غاية الجهد ، ثم أظهروا التوبة عما فعلوا من
 بعد أن كان ما كان ووقع ما وقع ، وأشهد على أن « حنان » قُتِلَ بِرَبِّئَا
 من بعد أن تاب من الممارسات التي أجبت عليه نيران النفقة .

وتبلغ القصيدة « معاوية » فيهنر غلظورها التي تهدد دعواه التي
 ينهض بها في الصميم وتُسقطها من أساسها لإنهائه براءة الإمام من تهمة
 القتل واعتزاله الأحداث من بعد أن لم تغلج جهوده في الوساطة ،

وما كان من « معاوية » إلا أن بعث إلى « عبيد الله » ورضاه وقربه وقال: حشبي هذا منك .

وبهذا منك « يكون عبيد الله » قد بلغ بشعره ما لم يستطع أن يبلغه بغيره من إقناع — وما ذلك إلا غلشية « معاوية » من أن تتناقل الألسن القصيدة فتفقد عليه ما هو فيه .

وَفَدُّ الْمَصَالِحَةِ

للووقف السياسي : قدم على « معاوية » وقد من قراء الشام وأداروا معه نقاشاً حول وجهة نظره في نزاعه مع الإمام وشيخهم إقبال بعضهم بعضاً عسافم يتوصلون إلى تعديل لوائف الطرفين ، والكشور على نقطة التقاء ، وللمصالحة بدل الاحتراب — فكان الحوار التالي :

الوفد : يا « معاوية » هلاكم تقاتل « علياً » . وليس لك مثل محبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته ؟

معاوية : ما أقاتل « علياً » وأنا أدعى أن لي في الإسلام مثل محبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته — ولكن خيروني عنكم —

السُّمُّ تعلمون أن « عثمان » قُتل مظلوماً ؟

الوفد : بلى

معاوية : فليخُ إلينا قتلته فنقتلهم به ، ولا قتال بيننا وبينه .

الوفد : فاكْتُبْ إليه كتاباً يأتيه به بعضنا .

ونعلا — أنجز « معاوية » رسالة موجهة إلى « علي » أسلمها إلى « أبي

سلم الخولاني » جاء فيها : ^(١)

«مِنْ» معاوية بن أبي سفيان «إلى» علي بن أبي طالب :
 سلامٌ عليك — فإن أحد إليك الله الذي لا إله إلا هو :
 أما بعد — فإن الله اصطفى محمداً بعلمه ، وجعله الأمين على وحيه ،
 والرسول إلى خلقه ، واجتنبى له من المسلمين أقرباً إليه الله بهم ،
 فكانوا في منازلهم على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضلهم في
 إسلامه وأنصحهم لله ورسوله الخليفة من بعده ، وخليفة خليفته ،
 والثالث الخليفة المظلوم «عثمان» فكلهم حسدت ، وعلى كلهم بعثت .
 عرفنا ذلك في نظرك الشر ، وفي قولك الجبر ، وفي تدسك الصمداء ،
 وفي إبطائك عبيد الخلفاء — تُباد إلى كل منهم كما يُقاد النحل
 الخشوش^(١) حتى تباع وأنت كاره ، ثم لم تكن لأحد منهم بأعظم
 حسداً منك لابن عمك «عثمان» وكان أحفهم ألا تفعل به ذلك في
 قرابته وصهره — فقطعت رحمه — وقبعت محاسنه ، وألقت الناس
 عليه ، وبطنت وظهرت حتى مُرِبَتْ إليه أباطة الإبل ، وقُيِدَتْ إليه
 انطول العرب ، وجعل عليه السلاح في حرم رسول الله ، فقتل مذك في
 الحلة وأنت تسمع في داره المائنة — لا تزدع الظن والثمة عن نفسك
 فيه بقول ولا فعل .

فأقسم صادقاً أن لو قت فيما كان من أمره مقاماً واحداً تمننه
 الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً ، ولما ذلك عندهم

-
- (١) المحزوم الذي حُرِمَ بوضع حلقة في أنفه ليسهل قياده
 (٢) الصوت المرتفع



